القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10314 الأحد 4 تموز (يوليو) 2021 – 24 ذو القعدة 1442 هـ
Volume 33 - Issue 10314 Sunday 4 July 2021

غرور مبابي يودي بأبطال العالم إلى الهاوية

داقوق العراقية: مدينة التركمان والأساطير العريقة

آدم حنين: معرض لراهب النحت المصري

أزمات تونس: استحقاقات الداخل ودعم الخارج 06
حريات: الصحافيات الفلسطينيات ما بعد الصدمة 18
تحقيق: آفاق الأزمة بين الرباط ومدريد 28

لبنان: أزمة مفتوحة وحلول معلقة

تعود موجة الاحتجاجات الشعبية في لبنان على خلفية معيشية لا تبدأ من استمرار هبوط العملة الوطنية ولا تنتهي عند أزمات الغذاء والدواء والكهرباء، تحت وطأة عجز رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري عن تشكيل فريق وزاري بسبب استمرار رئيس الجمهورية في الاعتراض على التشكيلة. مبادرة الاتحاد الأوروبي وقبلها المبادرة الفرنسية وسلسلة المفاوضات مع صندوق النقد الدولي والمانحين على اختلافهم، ظلت تصطدم برفض الطبقة الحاكمة تقديم مقترحات إصلاحية ملموسة، وفي الغضون يسجّل البلد واحدة من أسوأ ثلاث أزمات كساد عرفتها الإنسانية منذ سنة 1850، وتنذر مصاعب الحياة اليومية واستعصاء الحلول بأشد العواقب.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

قمة لافروف-أوغلو في أنطاليا
كلام روسي لا يبرد قلب المهجرين السوريين

إدلب

لم توقف روسيا العمليات العسكرية من أجل استعادة مناطق خفض التصعيد طوال فترات انعقاد جلسات مسار أستانة، بل أنها تجاهلت ما يحصل هناك واكتفت دائما باتهام الإرهابيين بخرق الهدنة.

منهل باريش

في تنويه مقتضب، خلق بلبلة في أوساط المعارضة السورية والمهجرين قسرياً، أشار وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف إلى مستقبل إدلب، خلال المؤتمر الصحافي الذي جمعه بنظيريه التركي، جاويش أوغلو، الأربعاء، في مدينة أنطاليا التركية جنوب البلاد. حيث لفت إلى تشكيل منطقة منزوعة السلاح في إدلب من دون تحديدها، ما ترك الباب مفتوحا على التأويلات والفهم المتعدد. وانتهى الجدل حول تفسير كلام لافروف، مع بيان الخارجية الروسية الذي حدد بشكل أكثر دقة الحديث عن الملحق الإضافي لاتفاق سوتشي بين تركيا ورسيا في 17 أيلول (سبتمبر) 2018 والقصد هو اتفاق وقف إطلاق النار أو ما عرف باتفاق موسكو اصطلاحاً، الذي وقعه الرئيسان فلاديمير بوتين ورجب طيب اردوغان، في الكرملين، يوم الخامس من آذار (مارس) 2020 لافتا إلى ضرورة تطبيق الملحق.

ورغم إشادة لافروف بـأدوار تركيا «الصديقة» لبلاده في ليبيا وأذربيجان وترحيبه بامتلاك أنقرة الفوج الأول من صواريخ اس–400 إلا أن كلامه حول سوريا وبالأخص إدلب ظل مبهما كالعادة، فقد اقتصر حديث لافروف على نقطتين، الأولى تتعلق بمصير إدلب وربطه بمبادئ برتوكول وقف إطلاق الدفاع المدني السوري «الخوذ البيضاء». وشكل شعار قتال الإرهابيين الحجة الروسية المستمرة للأعمال الحربية الهجومية منذ تدخلها في سوريا في تشرين الأول/نوفمبر 2015 إلى جانب النظام السوري.

وحول التجديد لتفويض الأمم المتحدة بالآلية الدولية الخاصة بالمساعدات الإنسانية عبر الحدود، كرر لافروف موقف بلاده التي ترفض بمقايضة تجديد ادخال المساعدات بقضية العقوبات على سوريا. ولم يعلن صراحة أن موسكو ستستخدم حق النقض في مجلس الأمن «الفيتو» ضد مقترح التمديد لإدخال المساعدات عبر معبر باب الهوى، أو عبر المعابر التي ترغب واشنطن بفتحها مجددا في اليعربية أقصى شرق البلاد، ومعبر باب السلامة الذي يدخل المساعدات إلى منطقة ريف حلب الشمالي كاملا بالإضافة إلى عفرين.

في سياق متصل، علمت «القدس العربي» من مصادر أممية انه سيتم التصويت على مقترحات التمديد للعمل في معبر باب الهوى يوم الخميس، في حين تجري بعض الدول محاولات لتقريب وجهات النظر مع روسيا وإبعاد الملف الإنساني عن المفاوضات السياسية بين الدول، قدر الإمكان. وكانت السفيرة الأمريكية في مجلس الأمن، ليندا توماس غرينفيلد، أقرت بـ«الهزيمة» أمام روسيا وعدم مقدرة مجلس الأمن للتوصل إلى تسوية بشأن التفويض. وأعربت عن سعي أمريكا من «أجل المحافظة على معبر باب الهوى، شمال إدلب، مفتوحا بعد انتهاء تفويض آلية إدخال المساعدات إلى سوريا في 10 تموز(يوليو) الجاري».

وشكلت المناطق منزوعة السلاح في منطقة خفض التصعيد الرابعة إدلب وما حولها التحدي الأبرز بالنسبة لتركيا أولاً، منذ تشرين الأول (أكتوبر) 2018 كونها فشلت في فصلها على الفصائل الراديكالية، وبعض فصائل الجيش الحر. حيث رفضت سحب السلاح الثقيل بداية، ثم عادت وقبلت شريطة عدم السماح للشرطة العسكرية بالدخول في مناطق سيطرة المعارضة وتفتيش مقرات الفصائل، وأنزلت فتح الشام رايتها ورفعت رايات الفصائل الأخرى.

في الحراك الدولي ضد روسيا، عقد في مدينة روما في إيطاليا، اجتماعات على مستوى وزراء خارجية دول «التحالف الدولي ضد داعش» وأكدت وزارة الخارجية الأمريكية من خلاله على ضرورة ضمان وصول المساعدات الإنسانية الحيوية إلى جميع السوريين المحتاجين، والوصول إلى حل سياسي من شأنه أن يضع نهاية للصراع السوري المستمر منذ عقد من الزمن بما يتفق مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254 ولتعزيز المسألة عن الفظائع المستمرة التي يرتكبها نظام الأسد. وأعلن أن الولايات المتحدة تقدم أكثر من 436 مليون دولار كمساعدات إنسانية إضافية للسوريين المستضعفين في أنحاء سوريا والبلدان المجاورة والمجتمعات السخية التي تستضيفهم، ويشمل ذلك ما يقرب من 99 مليون دولار من المساعدات للاستجابة لجائحة كوفيد–19 منذ بداية الصراع الذي دام عقدا من الزمن.

لكن وزير الخارجية الأمريكية، انتوني بيلنكن، لم يشر إلى طريق ادخال المساعدات الإنسانية إلى سوريا في ظل العقبات المتمثلة باحتمال استخدام موسكو حق الفيتو، ما يعزز القناعة بان أمريكا لا تمتلك تصورا لمرحلة ما بعد إغلاق معبر باب الهوى.

ويفرض الحديث الروسي حول الالتزام بتنفيذ خطوات اتفاق موسكو في آذار (مارس) 2020 على أنقرة اتخاذ خطوات عاجلة لإنشاء الممر الأمني على جانبي طريق حلب– اللاذقية/M4 وإخراج الفصائل التي تصنفها موسكو والأمم المتحدة كمنظمات إرهابية من ذلك الطريق. وفي حال المراهنة على حسن الظن بروسيا وأن ما يجمع البلدين من مصالح مشتركة، أكبر من أن يدفع الأخيرة إلى شن هجوم في إدلب، هو أقرب ما يكون إلى الرغبات والأمنيات منه إلى الحقيقة. فروسيا لم توقف العمليات العسكرية من أجل استعادة مناطق خفض التصعيد طوال فترات انعقاد جلسات مسار أستانة، بل أنها تجاهلت ما يحصل هناك واكتفت دائما باتهام «الإرهابيين» بخرق الهدنة.

وتعتبر الأيام القليلة المقبلة اختبارا حقيقيا جديدا لشكل العلاقة الروسية التركية، ففي حال مهاجمة النظام والروس والمليشيات الإيرانية، فان ذلك سيعيد التوتر إلى مرحلة ما قبل الاتفاق في 2021.

إدارة بايدن تحاول الفصل بين محاولة العودة للاتفاق النووي والضربات الجوية ضد الجماعات المدعومة من إيران في سوريا والعراق

الحشد الشعبي العراقي يشيع قتلاه في الغارات الأمريكية

الولايات المتحدة يجب أن تناقش قضية الأسلحة الجديدة، التي تستخدمها إيران، وخاصة فيما يتعلق بالطائرات بدون طيار، والصواريخ الدقيقة التي يمكن أن تصل إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا.

واشنطن–«القدس العربي»: رائد صالحة

تحاول إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن تحقيق توازن دقيق في المقاربة مع إيران عقب القرار بضرب الميليشيات المدعومة من طهران في العراق وسوريا، حيث برهنت الغارات على استعداد البيت الأبيض لاستخدام القوة للدفاع عن المصالح الأمريكية مع الحفاظ على علاقات دبلوماسية هشة منفتحة في محاولة العودة إلى الاتفاق النووي لعام 2015.

وفي العلن، أصر مسؤولو إدارة بايدن على أن المسألتين منفصلتان، وقالوا إن بايدن تصرف بموجب سلطاته الدستورية للدفاع عن القوات الأمريكية من خلال شن غارات جوية على المواقع المستخدمة لشن هجمات بطائرات بدون طيار على القوات الأمريكية في العراق، وأكدوا أن ذلك لا يتعارض مع الجولة الأخيرة في محاولة العودة للاتفاق النووي.

ووفقا لرأي الكاتب ديفيد إي سانجر في تحليل أعده لصحيفة «نيويورك تايمز» فإن المسيرة الإيرانية نحو القدرة على بناء سلاح نووي كانت جزئياً محاولة لإثبات أن طهران قوة لا يستهان فيها في الشرق الأوسط وخارجه، مشيراً إلى أن البلاد عززت من قوتها بترسانة من الطائرات بدون طيار عالية الدقة والصواريخ بعيدة المدى والأسلحة الإلكترونية المتطورة بشكل متزايد، والتي تتضمن تقنيات لم تكن متاحة في طهران عندما تم التفاوض على اتفاق 2015.

واستنتج محللون أن الضربات الجوية الأمريكية كانت تهدف، ايضاً إلى طمأنة حلفاء وشركاء الولايات المتحدة بأن محاولة العودة للاتفاق النووي لا تعني منح إيران «التفويض المطلق» في المنطقة.

ومن الواضح أن بايدن يريد استخدام محاولة العودة للاتفاق النووي كخطوة أولى لمعالجة قضايا أخرى، بما في ذلك دعم الجماعات في المنطقة، وأشار الخبراء إلى أن الضربات الأمريكية للمليشيات ليست أكثر من انتكاسة مؤقتة لطهران، وفي الواقع، هناك مخاطر من التصعيد، حيث ردت هذه الجماعات على الغارات بإطلاق صواريخ على القوات الأمريكية في سوريا والجماعات الكردية الموالية لها.

ووفقا للعديد من المحللين الأمريكيين، ومن بينهم سانجر، فإن بايدن سيواجه في المستقبل، حتى إذا نجح في العودة للاتفاق، تحديات فيما يتعلق بنشاطات طهران في المنطقة، وهي خطوة قال عنها الرئيس الإيراني المنتخب الجديد، إبراهيم رئيسي، إنه لن يوافق عليها أبداً.

ويواجه بايدن مشكلة أخرى مع الكونغرس فيما يتعلق بالضربات الجوية ضد الميليشيات الموالية لإيران، حيث قال العديد من الديمقراطيين أن الضربات العسكرية هي استمرار لنمط التجاوز الرئاسي في استخدام سلطات الحرب دون استشارة الكونغرس أو موافقته، وتساءل السيناتور كريستوفر مورفي (ديمقراطي عن كونيتيكت) عما إذا كانت الهجمات الأخيرة ترقى إلى حد ما أسماه «حرباً منخفضة الحدة». وقال إنه لا يمكن الاستمرار في إعلان سلطات المادة الثانية مراراً وتكراراً، مشيراً إلى السلطة الدستورية التي استشهد بها بايدن لتبرير الضربات. وحجة بايدن تتلخص في أن الضربات المستهدفة ومحاولة العودة إلى الاتفاق النووي، الذي نسحب منه الرئيس السابق دونالد ترامب، هي تجنب الحرب، ووصف وزير الخارجية الأمريكية، أنتوني بلينكن، الضربات بأنها إجراء ضروري ومناسب ومدروس مصمم للحد من مخاطر التصعيد، وإرسال رسالة ردع لابس فيها.

وبحسب ما ورد في وسائل الإعلام الأمريكية، بما في ذلك تقرير «تايمز» فقد شكلت الضربات أيضاً جزءاً من رد بايدن على الجمهوريين، الذين عارضوا بأغلبية ساحقة اتفاق 2015 وتطلعوا لتصوير بايدن إلى أنه ضعيف في مواجهة «العدوان» الإيراني.

وأقرت إدارة بايدن بأن من بين أوجه القصور في الاتفاق النووي القديم أنه يجب أن يكون «أطول وأقوى» وأن يعالج برنامج تطوير الصواريخ الإيراني ومزاعم دعم الإرهاب، ولكن الفجوة تتسع بشكل أكبر في الوقت الحاضر، حيث أكد العديد من المحللين أن الولايات المتحدة يجب أن تناقش قضية الأسلحة الجديدة، التي تستخدمها إيران، وخاصة فيما يتعلق بالطائرات بدون طيار، والصواريخ الدقيقة التي يمكن أن تصل إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا. ولم يتم التعامل مع هذه الأسلحة في اتفاقية 2015 على الرغم من وجود اتفاقية صاروخية منفصلة ومتزامنة، أقرها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ووفقاً للخبراء، فإن هناك حاجة بأن تشمل الاتفاقية الجديدة العديد من الأسلحة وليس الصواريخ فقط. وأشار المحللون إلى أن هناك بعض العلامات المقلقة بشأن رغبة الحكومة المتشددة الجديدة في طهران بالتفاوض مع الولايات المتحدة، ولكنهم أشاروا، أيضاً، إلى رغبة طهران بشدة في الوصول إلى الأنظمة المصرفية الدولية، وقالت مجموعة من المحللين إن رئيسي المتشدد أعرب عن دعمه للانضمام إلى الاتفاق النووي.

وأكد المحللون أن عودة إيران إلى الاتفاق النووي ورفع العقوبات ضرورية للغاية لمنع الاقتصاد الإيراني من الانهيار.

وبالنسبة لكيان الاحتلال الإسرائيلي، الذي يريد تحقيق المزيد من المكاسب من حملته لمنع العودة للاتفاق النووي على الرغم من إصرار بايدن على تحقيقها، فقد تلقى تعهداً من بايدن بأن لا تحصل إيران على سلاح نووي أثناء ولايته، وكان من الواضح أن هناك تفاهمات سيعلن عنها لاحقاً لتقديم المزيد من المساعدات العسكرية للاحتلال في المستقبل القريب، بحجة الحفاظ على «التفوق النوعي العسكري» في المنطقة.

إلى ذلك، تدرس إدارة بايدن رفع العقوبات عن المرشد الأعلى الإيراني في إطار المفاوضات غير المباشرة، وعلى الرغم من أن هذه العقوبة ليس لها أي تأثير مادي، إلا أن المسؤولين في طهران يرون أن الإجراءات ضد أقوى شخصية في البلاد غير مبررة وإهانة لإيران.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10314 الأحد 4 تموز (يوليو) 2021 – 24 ذو القعدة 1442 هـ

العراق: تحالف الشام الجديد هل يصمد أمام العواصف الدولية؟

القمة الثلاثية تجمع الرئيس المصري والعراقي والملك الأردني

أثارت القمة الثلاثية سؤالا حول امكانية العراق الغارق بالأزمات والخاضع للقوى الولائية، أن يكون فاعلاً في صياغة القرارات الإقليمية، وله دور يتجاوز موقع الوسيط لتحقيق أهداف بعض القوى.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

جاءت القمة العربية الثلاثية لحكومات العراق ومصر والأردن، كمحاولة لإيجاد مجالات للتعاون المشترك، ومواجهة ظروف اقتصادية وسياسية صعبة تعيشها البلدان الثلاثة، وسط تعقيدات إقليمية ودولية تعصف بالمنطقة.

واتفق قادة الدول الثلاث بحسب البيان الختامي للقمة على «التنسيق الأمني وضرورة تعزيز مشروع الربط وتبادل الطاقة الكهربائية بينها وربط شبكات نقل الغاز وإتاحة منفذ لتصدير النفط العراقي عبر الأردن ومصر من خلال المضي باستكمال خط الغاز العربي وإنشاء خط نقل النفط الخام البصرة– العقبة». كما أكدوا على «ضرورة التعاون في مختلف مجالات مشاريع الطاقة الكهربائية والطاقة المتجددة والبتروكيميائيات وبناء القدرات وتبادل الخبرات، والعمل على تهيئة مناخ الاستثمار لدعم شركات القطاع الخاص لتنفيذ المشاريع في الدول الثلاث».

وعقب اللقاء أكد رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي أنه «تم الاتفاق على إقامة سكرتارية دائمة لتنسيق العمل بين الدول الثلاث، في الملفات الإقليمية الرئيسية، كالملف السوري والليبي واليمني وفلسطين، وأن نبلور تصوراً مشتركاً تجاه هذه القضايا، كي نساعد إخوتنا في هذه البلدان على عبور التحديات والأزمات».

وإذا كان الجانب الاقتصادي، هو المهيمن على اللقاء الثلاثي، فإن الجوانب السياسية وقضايا المنطقة كان لها حضور في العلاقة الجديدة، حيث أكد البيان الختامي للقمة، ضرورة مواصلة التنسيق بين الدول الثلاث في إطار ما يسمى «بمشروع الشام الجديد» بما يحقق مصالحها ويعزز استقرار المنطقة، ليشير إلى محاولة ضم العديد من دول المنطقة لهذا المشروع، وخاصة النظام السوري الذي يكاد يخنقه حصار عربي ودولي بسبب سياساته القمعية المدمرة تجاه شعبه، وهو استكمال لسعي بعض الحكومات العربية مؤخرا لإعادة دمج النظام السوري في الجامعة العربية، بدعم إيراني روسي.

وقد كشف وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي، أن «القضية السورية نوقشت أيضاً في مؤتمر القمة الثلاثي» وأن الحل في سوريا «يجب أن يكون سياسياً لتخليصها من الإرهاب» من دون ان يحدد طبيعة الحل وما المقصود بالإرهاب وهل يشمل المعارضة السورية. كما أضاف أنه «يجب تحييد العراق عن أي خلافات وتداعيات إقليمية» مع ملاحظة تجنب البلدان الثلاثة الإشارة إلى الإصرار الإيراني على جعل العراق ساحة لصراعها مع الولايات المتحدة وما تترتب عليه من تأثيرات سلبية خطيرة على استقلال البلد.

كما انتشرت تسريبات بأن الملك الأردني والرئيس المصري عبد الفتاح السيسي يسعيان لدعم رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي وانفتاحه على الدول العربية، بما يوحي بمنح غطاء من بعض الزعماء العرب لدعم بقاء الكاظمي في السلطة، رغم ان المتحكم بهذا الأمر في العراق معروف جيدا للجميع. ولذا لم تكن مصادفة قيام الملك عبدالله الثاني، وقبيل عقد القمة، بزيارة لمقامات الصحابة من آل البيت، بالمزار الجنوبي في محافظة الكرك والصلاة في مسجد جعفر بن ابي طالب، ليرسل إشارات السعي لكسب رضا، أصحاب النفوذ الأقوى على حكومة بغداد.

وفي الوقت الذي حظيت به القمة الثلاثية بدعم الجامعة العربية والولايات المتحدة، وروسيا وأوروبا ، فإن العديد من الإجراءات والخطوات كانت تجري على الأرض لتعزيز التعاون بين البلدان الثلاثة وتطبيق الاتفاقيات التي تم عقدها في اللقاءات السابقة. وأعلنت وزارة التجارة العراقية، حجم التبادل التجاري مع مصر والأردن عام 2020 إذ بلغ «حجم التبادل التجاري بين العراق ومصر والأردن نحو 440 مليون دولار أمريكي» فيما ذكرت ان «حجم التبادل التجاري بين العراق ومصر بلغ نحو 386 مليون دولار أمريكي».

وفي الوقت الذي تركز حكومة الكاظمي، هذه الأيام، على تحسين قطاع الكهرباء في العراق ومحاولة إيجاد مصادر جديدة للطاقة، خصوصا مع تجاوز درجات الحرارة 50 درجة، ومع تزايد الحاجة الملحة لإيجاد حل لهذه الأزمة المزمنة ، فإن شكوكا قوية لدى المراقبين، من قدرة التعاون الثلاثي على حل هذه القضية التي تعتبر سياسية بامتياز، لأن خيوط اللعب فيها ليست محصورة بيد بغداد فقط. وبهذا السياق، فقد انطلقت تظاهرات حاشدة ومواجهات مع القوات الأمنية وإغلاق طرق في بعض المحافظات بسبب أزمة الكهرباء التي أدت إلى استقالة وزير الكهرباء، وسط حرب حرائق محطات توليد الطاقة وتعرض أبراج نقل الكهرباء، إلى عملية تخريب واسعة ومنظمة، إضافة إلى تعمد إيران قطع الكهرباء عن العراق للضغط عليه لتسديد الديون، وهو ما عزز قناعة المطلعين، بان أزمة الكهرباء في العراق تندرج ضمن أجندات قوى سياسية وإقليمية لخلق أزمات وضغوط على الحكومة.

ولم تكن بعيدة عن هذا الإطار، تداعيات تبادل القصف بين الولايات المتحدة والفصائل الولائية في العراق، كمؤشر على تدهور العلاقة بين واشنطن وطهران وخاصة مع تعقد مفاوضات النووي الإيراني، ومواصلة إدارة جو بايدن لسياسة فرض العقوبات والضغوط على إيران، وبعد مجيء رئيس إيراني متشدد، بما يترتب عليه من نتائج سيئة على العراق.

وتبقى ثمة تساؤلات أثارتها القمة الثلاثية حول مدى امكانية ان يكون العراق الغارق بالأزمات والخاضع كليا للقوى الولائية، صانعاً أو فاعلاً في صياغة القرارات الإقليمية، وهل يمكن أن يكون له دور يتجاوز موقع الوسيط لتحقيق أهداف بعض هذه القوى؟ ومنها محاولة تشكيل توجه عربي لفك الحصار عن النظام السوري، في وقت تلوح واشنطن بقانون عقوبات قيصر ضد سوريا والدول الداعمة له. وبالتالي فالتوقع ان مصير الحلف الثلاثي سيكون كمصير مجلس التعاون العربي بين العراق ومصر والأردن واليمن، ويبقى في حدود التعاون الاقتصادي الذي يعتمد على استفادة بعض الحكومات من الامكانيات الاقتصادية الكبيرة للعراق، لفك أزماتها، مع توقعات ببروز معوقات من القوى الولائية للمشروع كون انفتاح العراق عربيا سيخصم من رصيد طهران اقتصاديا، وهو ما لن تسمح به أبدا.

Volume 33 - Issue 10314 Sunday 4 July 2021

لجنة الإصلاح الأردنية من الداخل: محاولات صمود ونصائح «قيمة» تم تجاهلها

الأصوات الخبيرة والمسيسة التي يمكن الرهان عليها في تقديم وصفات إصلاحية دسمة وجدت ان التيارات المحافظة والاعتبارات الشخصية تكالب على مواقع الصف الأول.

النقيب أحمد سمارة الزعبي

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

حاول نقيب المهندسين الأردنيين الاستثمار في الممكن عبر توزيع منصف له دلالات سياسية ووطنية لعمل الآليات والبرامج داخل لجنة الحوار الوطني للإصلاح السياسي.

مبكرا تحدث النقيب أحمد سمارة الزعبي مع رئيس اللجنة سمير الرفاعي وغيره من الأعضاء عن ضرورة توجيه رسائل محددة لها معانيها بدلا من تزاحم أصحاب الألقاب من الوزراء السابقين أو غيرهم على مواقع الصف الأول في اللجنة الأم وفي اللجان الفرعية.

حاول الزعبي اقتراح مقاربة وطنية توافقية تقضي بالتوافق على تسليم إحدى اللجان الست الفرعية من حيث الرئاسة إلى عضو ممثلي طبقة الوزراء السابقين وإيداع لجنة أخرى لرئيس يمثل النقابات المهنية وثالثة للنواب السابقين ورابعة لعنصر شاب وجديد وخامسة للمرأة على ان تترك اللجنة السادسة وهي التعديلات الدستورية على الأرجح لممثل للأسرة القانونية المختصة.

حاول الزعبي بخبراته السياسية والنقابية مساعدة اللجنة الملكية وإبعادها عن التجاذبات والزحام والاحتكار ومساعدتها في تمثيل شيء يؤدي إلى التوافق، لكن مراكز القوى على الأرجح أحبطت مثل هذه المقترحات، وشوهد الوزراء بحالة تقدم نحو رئاسة اللجان فيما لم تراع هذه التركيبة في تمثيل المكونات السياسية أيضا عند اختيار ممثلي اللجان ومساعدي ونائبي رئيس اللجنة في المكتب التنفيذي. ذلك بتقدير الخبراء مسألة ستؤثر في مجريات الأحداث، فقد أقصيت أيضا بعض الوجوه التي يمكن ان يعني وجودها شيئا سواء في اللجان المهمة أو في الصف المقابل مما قد يدفع بالنتيجة ووفقا لقواعد الاستقطاب الفيزيائي السياسي لولادة شرائح ومجموعات من ضحايا عملية الترتيب والهندسة داخل اللجنة. وهو وضع مربك جدا قد يؤدي إلى غرق في التفاصيل مجددا بين فكي كماشة شريحتين، الأولى إصلاحية متقدمة والثانية محافظة وزاحفة نحو الإصلاح، ما يخرج السياق كله عن مساره خصوصا وسط القناعة التي يعبر عنها عضو البرلمان سابقا والناشط السياسي والإعلامي نبيل الغيشان وهو يصر في حديثه مع «القدس العربي» على عدم الشخصية تتكالب على مواقع الصف الأول.

وتلك الأصوات فهمت مسبقا بأن الرئيس الرفاعي وعلى طريقة مخاوف التفكيك والتركيب والتبديل اجتهد في محاولة إرضاء جميع الأطراف. لكن النتيجة كانت اليوم ان اللجان وتمثيلها في المكتب التنفيذي بين يدي القوى الكلاسيكية والمجربة سابقا، الأمر الذي يمكن ان يؤثر على المخرجات والتوصيات في حال عدم التوصل إلى صيغة تحسم التوافق وبصورة قد تقود إلى صيغة تحسم بالتصويت مما يعتبره البعض غير لائق في لجنة ملكية مفعمة بعدم الانسجام وبالخبرات المتعاكسة وهدفها أصلا التأسيس لتوافقات.

التزاحم الذي حصل نتج عنه عمليا عدم التجديد وإقصاء بعض الوجوه التي يمكن ان يعني وجودها شيئا سواء في اللجان المهمة أو في الصف المقابل مما قد يدفع بالنتيجة ووفقا لقواعد الاستقطاب الفيزيائي السياسي لولادة شرائح ومجموعات من ضحايا عملية الترتيب والهندسة داخل اللجنة. وهو وضع مربك جدا قد يؤدي إلى غرق في التفاصيل مجددا بين فكي كماشة شريحتين، الأولى إصلاحية متقدمة والثانية محافظة وزاحفة نحو الإصلاح، ما يخرج السياق كله عن مساره خصوصا وسط القناعة التي يعبر عنها عضو البرلمان سابقا والناشط السياسي والإعلامي نبيل الغيشان وهو يصر في حديثه مع «القدس العربي» على عدم وجود ترقب لجان جديدة وعلى ان الخسائر ستكون فادحة إذا أخفقت اللجنة الحالية.

يريد الغيشان من جميع أطراف المعادلة التعاطي بجدية بالغة حتى تنجح اللجنة الملكية الحالية ويصر على القول بأن الاخفاق مكلف وينبغي ان ينتج شيء ملموس بدلا من الجلوس الوطني مطولا في الركود والاستعصاء.

تحدث الغيشان بهذه الغة مع بعض أعضاء اللجنة لكن الاصطفافات بدأت تتخذ مسربا مقلقا، فاللبراليون على ندرتهم في اللجنة قد لا يجدون شريكا في الأفكار الكبيرة إلا الإسلاميين، ومن يمثلون ما يسمى بالتيار الحكومي قد يضطرون للتحالف مع المحافظين، والمتوجسون من منهجية المواطنة قد يجدون انفسهم قسرا في زاوية إطلاق النار العشوائية سياسيا.

الوضع معقد لكن الجميع يريد اللجنة ان تنجح وبالنسبة للقيادي الإسلامي البارز والمسيس الشيخ زكي بني ارشيد وعلى هامش نقاش حضرته «القدس العربي» ثمة عناوين للنجاح وأي تغيير يسقط المعلبات الكلاسيكية تحديدا في قانوني الأحزاب والانتخابات خطوة في الاتجاه السليم ومن العبث تهميشها.

عناصر متقدمة ومسيسة وتمثل مكونات أساسية في التفكير الاستراتيجي أو في المؤسسات النقابية والحزبية تترقب دورها الآن بعد ما اختطف الميكروفون مبكرا من طامحين أو مستوزرين وبعدما ظهرت صعوبات ملامح إدارة مجموعة سياسية عريضة بالنسبة للرئاسة والمكتب التنفيذي.

مجددا وفي الخلاصة حاول سمارة الزعبي وآخرون المساعدة، لكن صوتهم انخفض مع تفاصيل والخشية موجودة من تجاذبات لاحقا عند الوصول إلى خط النهاية ومن حالات تبرؤ محتملة من مخرجات بهدف النجاح والبقاء تمت المجازفة بطبيعتها في مرحلة التكوين الأول.

مجددا وفي الخلاصة حاول سمارة الزعبي وآخرون المساعدة، لكن صوتهم انخفض مع تفاصيل والخشية موجودة من تجاذبات لاحقا عند الوصول إلى خط النهاية ومن حالات تبرؤ محتملة من مخرجات بهدف النجاح والبقاء تمت المجازفة بطبيعتها في مرحلة التكوين الأول.

هل ستجري الانتخابات العامة في ميقاتها المحدد، أم ستعمل حكومة الدبيبة، بالتعاون مع أعضاء في ملتقى الحوار السياسي، على تمديد المرحلة الانتقالية، بلا ضبط سقف زمني لها؟

رشيد خشانة

مع تكثيف الضغوط الأمريكية، الظاهرة والخفية، على جميع الفرقاء الليبيين، تحركت مواقف أعضاء «ملتقى الحوار» بعد تعطيلات مديدة، لتُحقق تقدما نسبيا نحو اختيار القاعدة الدستورية للانتخابات المقررة لآخر السنة. وأفاد رئيس البعثة الأممية إلى ليبيا يان كوبيش أن أعضاء الملتقى صوتوا على ثلاثة خيارات وفاز الأول منها، ما شكل حلحلة للخلافات التي عطلت المسار ووصلت إلى حد التهجمات الشخصية بين أعضاء الملتقى. وقد وافق 25 عضوا، أي ثلث الأعضاء، على الخيار الأول، ما جعل كوبيش يُعلن اعتماد ذلك الخيار.

ومن الواضح أن هذه التطورات همشت الجنرال حفتر، وقضت تقريبا على أحلامه بالتوشيح لرئاسة ليبيا، إذ أن «ملتقى الحوار» يستعد لإقصاء ذوي الجنسية المزدوجة من الترشيح للرئاسة. ويحمل حفتر وأبناؤه جنسية الولايات المتحدة بعدما أقاموا فيها أكثر من عشرين عاما.

ليبيا: مناورات لتأجيل الانتخابات

ولوحظ في هذا السياق أن مؤتمر برلين2 لوح بفرض عقوبات على المُعرقلين للانتخابات ومنتهكي حقوق الإنسان، ومن بينهم حفتر، من دون ذكره بالاسم. في المقابل عزز المؤتمر من شرعية الهيئات التنفيذية الحالية، وخاصة المجلس الرئاسي وحكومة الوحدة الوطنية، وعمق في الوقت نفسه الانتقادات لقوات حفتر، التي باتت تُعتبر «جماعات مسلحة غير منضبطة توشك على الخروج من التوافق الليبي والدولي». وتُعدُّ خسارة حفتر التعاطف الأمريكي مُتغيرا بارزا في الصراع الليبي.

في السياق عبر الرئيس جو بايدن عن تقديره لـ«الشراكة والجهود الثنائية بين الجزائر والولايات المتحدة لدعم الاستقرار في المنطقة، وبخاصة في ليبيا ومنطقة الساحل الأفريقي». أتى هذا الموقف في رسالة هي الأولى من الرئيس الأمريكي لنظيره الجزائري عبد المجيد تبون، منذ توليه السلطة في كانون الثاني/يناير الماضي خلفا لدونالد ترامب. وبعث بايدن بالرسالة لتهنئة تبون لمناسبة احتفال الجزائر بالذكرى الـ59 لعيد الاستقلال المصادف ليوم 5 تموز/يوليو الجاري.

وأتت تأكيدات مُتكررة لهذا الدور الأمريكي، من خلال إعلان السفارة الأمريكية لدى ليبيا أن الكونغرس والبيت الأبيض «يراقبان ملتقى الحوار السياسي الليبي، المُجتمع في جنيف». وحضت السفارة أعضاء الملتقى على إيجاد إنهاء الصراع في ليبيا، مثلما ذكر ذلك جوي هود، الذي انتقد ميليشيات حفتر، مُعتبرا إياها جزءا من الأزمة.

ويشير الرد الأمريكي على حفتر، من دون ذكره بالاسم، إلى أن واشنطن تعتبره أحد المُعرقلين للحل السياسي. وقد الشيوخ بوب مينينديز والسيناتور الجمهوري جيم ريش بيانا مشتركا عبرا من خلاله، عن دعمهما جهود أعضاء ملتقى الحوار للتوصل إلى مرجعية دستورية للانتخابات. ويدل مثل هذا البيان المشترك على وحدة المواقف بين الجمهوريين والديمقراطيين في الملف الليبي، ما لا يدع مجالا لاستثمار الخلافات بين الحزبين، مثلما كان الشأن في ظل إدارة دونالد ترامب السابقة.

أكثر من ذلك، باتت واشنطن تُواكب أولا بأول، مسار تنفيذ خريطة الطريق، المُعتمدة في مؤتمر برلين، إذ علق مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى، جوي هود، على غلق قوات الجنرال المتقاعد حفتر معبرا حدوديا مع الجزائر، مُعتبرا تلك العملية قرارا أحاديا «لا يحظى بدعم المجتمع الدولي» وهو نوع من الإدانة المبطنة.

تدل هذه المواقف، معطوفة على الاتصالات الأمريكية المباشرة مع أطراف النزاع المحليين والإقليميين، على نهاية الوكالة التي كانت واشنطن تمنحها لإيطاليا، في السنوات التي قررت خلالها الابتعاد عن أجواء الصراع الليبي. بالمقابل كان لافتا إبراز واشنطن دورا محتملا للجزائر في إنهاء الصراع في ليبيا، مثلما ذكر ذلك جوي هود، الذي انتقد ميليشيات حفتر، مُعتبرا إياها جزءا من الأزمة.

وكان لافتا أن واشنطن لم تكتف بذلك الإعلان الواضح، بل أصدر أيضا رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس تكون ماضية في تنفيذ بعض العقوبات في حقه، إذا ما أصر على تعطيل المسار، وتمسك بالدعوة إلى القتال مجددا، رافضا القبول بمخرجات جنيف، خصوصا بعدما تخلت عنه معظم القوى الدولية، وأبرزها روسيا ومصر.

جدل حول الصلاحيات

الخاصة بأرقام مراكز الانتخاب على واجهات المدارس، التي تم اختيارها لإجراء عملية الاقتراع بها في كافة أنحاء البلد.

وقد استُكملت هذه العمليات، بحسب المفوضية، في مدن كبرى، من بينها العاصمة طرابلس ومصراتة وطبرق وتورهونة ومسلاتة. وفي خطوة تعكس الاستفادة من وسائل الاتصال الجديدة، أفادت المفوضية أنها تعتزم نشر أسماء مراكز الانتخاب وأرقامها على صفحات «فيسبوك» الخاصة بمكاتب الإدارة الانتخابية، في نطاق مدنهم، للتعرف على أسماء المراكز المخصصة لهم.

هكذا تسير الأمور على خطين متناقضين، الأول يُسرع الخطى نحو الانتخابات، والثاني يضع العرقيل في الطريق كي تبقى حكومة الدبيبة بعد 24 كانون الأول/ديسمبر.

أما في الجانب الجزائري فعزا مسؤولون، من بينهم وزير الخارجية صبري بوقادوم، غلق المعابر الحدودية مع ليبيا إلى حالة الطوارئ الناجمة عن تفشي جائحة كوفيد–19. وأكد بوقادوم عزم بلاده على إعادة فتح المعابر الحدودية مع ليبيا، عبر فتح نقطة أو نقطتين حدوديتين، وهما معبر الدبداب – غدامس، والمعبر الذي يربط جانت الجزائرية بمدينة غات جنوب غرب ليبيا.

وزار مؤخرا وفد جزائري رفيع المستوى، ضم مسؤولين حكوميين من وزارة الداخلية والخارجية والتجارة والبنية التحتية والنقل والجمارك والحماية المدنية، معبر الدبداب – غدامس، من أجل الوقوف على آخر الاستعدادات اللوجستية والتقنية لإعادة فتحه. وما من شك بأن وجود حكومة ليبية قوية ومنتخبة في المستقبل، سيكرس الاستقرار على الحدود المشتركة مع الجيران. إلا أن ذلك يتوقف على مدى التقدم في تنفيذ خارطة الطريق وإجراء الانتخابات العامة في ميقاتها.

واستمرار حكومة الدبيبة

مسودة العباني

يجدر التوقف هنا عند المبادرة التي قدمها عضو مجلس النواب محمد عامر العباني، والمتمثلة بطرح مشروع قاعدة دستورية لانتخاب رئيس الدولة من الشعب. وميزة مشروع العباني أنه حسم الخيار بين النظام الرئاسي، الذي يُفضله، والنظام البرلماني الذي تسبب بتعقيدات كبيرة في ليبيا وتونس.

ومما جاء في المشروع أن رئيس الدولة هو الأعلى، ويمثل سيادتها العليا، وأن رئاسة الدولة تقوم على التداول، فلا يتولاها الا تزيد فترة الرئاسة عن خمس سنوات، ويتم اختيار الرئيس بالانتخاب المباشر من بين أفراد الشعب الليبي. وأسوة بالدستورين الأمريكي والفرنسي لا يجوز انتخاب الرئيس لأكثر من فترتين زمنيتين متصلتين أو منفصلتين.

كما تعرض العباني لمسألة شائكة في ليبيا تتمثل في مزدوجي الجنسية، إذ شدد مشروعه على ضرورة تحدُر أصول رئيس الدولة من ليبيا، وأن يكون والداه ليبيين، وألا تقل سنه عن أربعين سنة ميلادية، ولا تزيد على ثمانين سنة ميلادية، وألا يحمل جنسية ثانية إلى جانب الجنسية الليبية. وتُثير النقطة الأخيرة جدلا واسعا حاليا في صفوف النخب السياسية الليبية، التي يطالب بعضها بمراعاة اضطرار المعارضين للزعيم الراحل معمر القذافي للجوء إلى الخارج، هربا من البطش، وحصولهم على جنسيات البلدان التي أقاموا فيها.

في ثنايا هذا الجدل حول شروط الترشيح لرئاسة الدولة، برزت أصوات تدعو إلى إرجاء الانتخابات إلى تاريخ لاحق لم تُحدده، وهو الموقف الذي سبق أن رفضه مؤتمر برلين2 وأيده في ذلك الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. أما روسيا وتركيا فتميلان إلى الإرجاء كي تستمر قواتهما وقتا أطول في ليبيا، خدمة لغايات استراتيجية واضحة.

وأتت الدعوة إلى التأجيل من 21 عضوا في ملتقى الحوار السياسي، الذين اقترحوا إجراء الاستفتاء على الدستور في اليوم المُقرر لإجراء الانتخابات العامة. وإمعانا في إطالة عمر المرحلة الانتقالية اقترح أصحاب المبادرة أن يسبق الاستفتاء تشكيل عدة لجان دستورية وسياسية للنظر في إقرار مشروع الدستور، الذي سبق أن أعدته اللجنة التأسيسية المنتهية ولايتها، منذ العام 2017. وفي حالة عدم إقراره تُعتمد القاعدة الدستورية المعدة من قبل ملتقى الحوار السياسي.

لكن الأرجح أن هذه الفكرة ستُجابه بالرفض من غالبية الليبيين الذين انتظروا بفارغ الصبر انتهاء المرحلة الانتقالية وانتخاب سلطات جديدة تُباشر إصلاح أوضاع البلد وتعالج الاختلالات الكبرى التي يُعاني منها. ويعتقد مراقبون أن هذه الفكرة تستهوي رئيس الحكومة المؤقتة عبد الحميد الدبيبة، الذي يوجد عمُهُ رجل الأعمال علي الدبيبة في مقدم الموقعين على هذا الطلب. وما تُخفيه هذه الدعوة هو التمديد لحكومة الوحدة الوطنية المؤقتة إلى تاريخ غير محدد، بعد 24 كانون الأول/ديسمبر المقبل.

وهذا ما أغضب ممثل الأمين العام للأمم المتحدة لدى ليبيا يان كوبيش، الذي خاطب أعضاء ملتقى الحوار الوطني، مُشددا على ضرورة التوافق حول آلية لإجراء الانتخابات في موعدها «لأنه تفويض من الشعب الليبي لا يمكن الرجوع عنه» كما قال.

واعتبر كوبيش، في الكلمة التي ألقاها، في اجتماع أعضاء ملتقى الحوار المنعقد في جنيف، أواخر الأسبوع، أن ما هو على المحك هو «وحدة ليبيا واستقرارها وسلامها وسيادتها».

وكلما تعفنت الأوضاع في ليبيا، خرج أصحاب المقاولات السياسية بمشاريع وردية، ترمي إلى إبراز الأشخاص الذين يُمهدون لعودة الاستبداد، بالوجوه القديمة نفسها، ومن بينها سيف الإسلام نجل معمر القذافي، المطلوب للمحكمة الجنائية الدولية. وأعلن سيف الإسلام في حديث أدلى به إلى صحيفة «ذا تايمز» اللندنية أخيرا، أنه يعتزم العودة للحياة العامة، والترشح للانتخابات الرئاسية. وأفادت الصحيفة أن سيف الإسلام باشر مؤخرا سلسلة من الاتصالات مع دبلوماسيين غربيين وروس، لإثبات اعتماده عقب عودته للظهور في الحياة العامة، بالرغم من أنه ما زال مطلوبا للمثول أمام المحكمة الجنائية. لكن هل يقبل الليبيون أن يُلدغوا من الجحر مرتين؟

الأزمة السياسية التونسية
في ظل استحقاقات الداخل ودعم الخارج

الرئيس قيس سعيد وشارل نيشيل
رئيس المجلس الأوروبي

أشد ما يخشاه التونسيون، هو أن يأتي الحل من الخارج بتدخل أطراف أجنبية لفرض جلوس الفرقاء مع بعضهم البعض للخروج من هذه الأزمة.

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

استفحلت الأزمة السياسية في تونس بشكل لافت حتى باتت مصدر قلق وانزعاج كبيرين لعموم التونسيين بعد أن أثر السياسي على الاقتصادي والاجتماعي والصحي والثقافي وغيره. ويبدو أن حكام تونس الجدد أعجز من أن يجدوا المعادلة الكفيلة بحلحلة هذه الأزمة في ظل التعنت والتعصب للرأي الذي يميز أغلب الطيف السياسي في بلد فشل مسار عدالته الانتقالية في تحقيق المصالحة بين مختلف فئاته.

إلا أن اللافت هذه الأيام، هو أن الراغبين في تغيير النظامين السياسي والانتخابي بدأوا يتظمون ويعبرون عن وجودهم الفعلي ويجدون مساندة من أطياف عديدة فاعلة ومؤثرة في المشهد السياسي، سواء تعلق الأمر بأحزاب سياسية أو جمعيات ومنظمات أو بمستقلين من المثقفين والفنانين والمهنيين وغيرهم.

وتتقاطع مطالب هؤلاء مع مطالب رئيس الجمهورية قيس سعيد التي عبر عنها في وقت سابق ولقي نتيجة لذلك معارضة واسعة وشديدة من الفريق المعارض له والذي تقوده حركة النهضة.

ويرغب هؤلاء في العودة إلى الشعب، صاحب السلطة الأصلية، لاستفتائه حول شكل النظام الأمثل من بين النظامين الرئاسي والبرلماني، بدون فرض نظام بعينه يستفتى حوله بالقبول أو الرفض. ولم تتعرض هذه الأطراف إلى النظام المجلسي الذي تعتمده بعض البلدان على غرار الكونفدرالية السويسرية وله جذور في التاريخ التونسي القديم.

بين الرئاسي والبرلماني

ويشار إلى أن هناك أطرافا تسعى لإخافة التونسيين من النظام الرئاسي وتوهمهم بأن في اعتماده ستكون هناك عودة إلى الاستبداد، وأن نظام بن علي كان رئاسيا شأنه شأن نظام بورقيبة.

والحقيقة، أن الأمر يتعلق بمغالطة كبرى باعتبار أن نظام بن علي يسمى في القانون الدستوري «النظام الرئاسوي» وهو تحريف للنظام الرئاسي باعتبار أن رئيس الدولة كان يجمع فيه صلاحيات عديدة ومنها رئاسة المجلس الأعلى للقضاء، وهو أمر لا وجود له في النظام الرئاسي القائم على التفريق بين السلط وعلى رقابة بعضها على البعض.

فلا يمكن في النظام الرئاسي، الذي تعتمده فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، أن يرأس رئيس الجمهورية المجلس الأعلى للقضاء، وتؤول الرئاسة لهذا الجهاز المشرف على القضاء إلى رجل قانون منتخب من أهل الاختصاص شأنه شأن الأعضاء وذلك لضمان الفصل بين السلط والتوازن فيما بينها. كما تبقى للبرلمان في النظام الرئاسي إمكانية سحب الثقة من رئيس الجمهورية شريطة توفر بعض الشروط ومنها المرور إلى المحكمة الدستورية العليا للتثبت من جدية طلب سحب الثقة وهو ما يضمن الرقابة بين السلط على بعضها البعض ويمنع الرئيس صاحب الصلاحيات التنفيذية الكبرى من الاستبداد.

ويرى البعض أنه إذا تم الاستفتاء واختار الشعب التونسي النظام البرلماني فإنه يتم إلغاء الانتخابات الرئاسية ويقتصر الأمر على انتخاب أعضاء البرلمان الذين سيختارون رئيسا للجمهورية مجردا من الصلاحيات يكون رمزا لوحدة البلد لا غير، وتمنح الصلاحيات التنفيذية بالكامل لرئيس الحكومة الذي يكون ممثلا للحزب الأغلبي، وذلك خلافا للنظام التونسي الحالي الذي ينعت بأنه هجين. ففي هذا النظام يؤتى بشخص غير منتخب لا هو ولا حزبه، جاءت به توافقات هشة ويمنح أغلب الصلاحيات التنفيذية بينما رئيس الجمهورية المنتخب مباشرة من الشعب بالاقتراع العام والمباشر يبقى محدود الصلاحيات وبإمكان رئيس الحكومة حشره في الزاوية متى تراءى له ذلك.

كما يقتضي إقرار النظام البرلماني في تونس وضع آليات دستورية تحفظ استقراره وتضمن عدم انهيار الحكومات خلال مدة زمنية قصيرة كما يحصل في النظام الحالي، الهجين، الذي هو أقرب إلى النظام البرلماني منه إلى الرئاسي. وتصنف هذه الآليات الدستورية في خانة ما يسمى في القانون الدستوري بـ«الترشيد» الذي تحتاجه دولة مثل تونس تبحث عن الاستقرار السياسي وتروم الهدوء لضمان انتعاش الاقتصاد المرتبط بالسياسة وأزماتها. والحقيقة أنه لا حل يبدو في الأفق في ظل فشل مبادرة الاتحاد العام التونسي للشغل للحوار بسبب إصرار الرئيس قيس سعيد على عدم الجلوس إلى خصومه الذين نعتهم بأقذع النعوت. وحتى المساعي التي قام بها الوزير والقيادي النهضوي السابق لطفي زيتون لإذابة الجليد وتقريب وجهات النظر بين رئيس الجمهورية قيس سعيد ورئيس البرلمان راشد الغنوشي يبدو أنها باءت بالفشل وتركت دار بقمان على حالها.

دعم خارجي

ويبقى أشد ما يخشاه التونسيون، وهو ما سيحصل على ما يبدو، هو أن يأتي الحل من الخارج بتدخل أطراف أجنبية لفرض جلوس الفرقاء مع بعضهم البعض للخروج من هذه الأزمة باعتبار أن الأمر يتعلق بأطراف دائنة للدولة التونسية بأموال طائلة تدرك أن تعطل عجلة التنمية وتوقف الإنتاج في البلد سيعرقل عملية خلاصهم لأقساط قروضهم. فهذا التدخل سيظهر التونسيين بمظهر العجزة غير القادرين على إدارة خلافاتهم سلميا وفي الإطار الديمقراطي الداخلي، وبأنهم لا يختلفون عن بعض أشقائهم الذين حملوا السلاح بوجه بعضهم البعض وفتحوا الأبواب على مصراعيها إلى التدخلات الخارجية لإيجاد الحلول لمشاكلهم.

وتأتي في طليعة البلدان المهتمة بالحل في تونس فرنسا، المستعمر السابق، وأيضا الولايات المتحدة الأمريكية التي تقدم منذ سنوات ضماناتها لصندوق النقد الدولي حتى تتمكن تونس من الاقتراض بعد أن تراجع التصنيف السيادي الائتماني للخضراء إلى درجات دنيا لا تمكنها من الاقتراض متى شاءت ودون ضامن. وقد أكدت ويندي شيرمان نائبة وزير الخارجية الأمريكي مؤخرا التزام الإدارة الأمريكية بدعم جهود تونس في إنجاح مسارها الديمقراطي وإرساء مؤسساتها الدستورية لأنها شريك متميز لبلادها بينه وبين واشنطن قيم مشتركة على غرار الالتزام المتبادل بمبادئ الديمقراطية، على حد تعبيرها.

وفي هذا الإطار يبدو أن هناك دعما صحيا واقتصاديا سيصل من واشنطن إلى تونس في القريب العاجل مشروطا بالتفاهم بين الفرقاء السياسيين لتجاوز هذه الأزمة السياسية واستكمال البناء الديمقراطي. فقد أكدت شيرمان أن الولايات المتحدة بجرعات لقاح ضد كوفيد–19 إلى دول العالم وستكون تونس في صدارة البلدان التي ستتمتع بهذه الجرعات، كما تم رصد أموال لتونس لدعم قطاعات عديدة وهو ما سيساهم، على حد تعبيرها، في خلق مواطن شغل عديدة ويعزز الاقتصاد التونسي.

ويؤكد البعض على أن هذه الإغراءات المالية الأمريكية الهامة ستسيل لعاب الفرقاء السياسيين خلافا للمساعدات الصحية التي قد تعنيهم في شيء باعتبارها تهم صحة عموم التونسيين التي لا يبدو أن الطبقة السياسية، ومن خلال تعاملها مع أزمة الكوفيد، توليها الاهتمام اللازم. فالمرجح إذن أنهم سيجنحون إلى السلم لضمان وصولها إلى تونس لتنتعش الجيوب قبل الاقتصاد، ولا يصل بالنهاية إلى المواطن البسيط من هذه الأموال إلا الفتات، وفي أفضل الأحوال، وذلك قياسا على مبالغ سابقة صرفت من دول صديقة لتونس من مختلف أنحاء العالم وانتهت إلى وجهات غير معلومة.

انتخابات مناطق فرنسا:
عزوف قياسي عن التصويت وانتكاسة لحزبي ماكرون ولوبان

ماكرون ولوبان

المقاطعة القياسية قد تكون رسالة تدعو الطبقة السياسية إلى إحداث تغيير في المؤسسات، أو ملل الفرنسيين من السياسة والوعود الانتخابية الزائفة.

باريس – «القدس العربي»: آدم جابر

على بعد نحو عشرة أشهر من موعد الانتخابات الرئاسية في فرنسا، ألقى عزوف الفرنسيين عن التصويت بظلاله القوية على انتخابات الأقاليم والمناطق التي شهدت البلاد دورتيها الأولى والثانية يومي الأحد 20 يونيو/حزيران الماضي والأحد الـ20 من الشهر نفسه. فيما مني حزبا الرئيس إيمانويل ماكرون وزعيمة اليمين المتطرف مارين بهزيمة مدوية، في مواجهة الأحزاب التقليدية التي أثبتت أنها لم تمت بعد.

فكما كان الحال في الدورة الأولى حيث امتنع عن التصويت 66.7 في المئة من بين نحو 48 مليون ناخب تمت دعوتهم للإدلاء بأصواتهم، عرفت الجولة الثانية يوم الأحد الماضي عزوفاً عن التصويت بلغت نسبته 65.5 في المئة، وذلك على الرغم من الدعوات إلى التعبئة من قبل كافة المترشحين، والحملة التي قامت بها الحكومة على وسائل التواصل الاجتماعي لحث الناخبين الشباب على التصويت. وهي نسبٌ تؤكد الأزمة الديمقراطية في الانتخابات المحلية بفرنسا.

رأى بعض المحللين أن هذه المقاطعة القياسية هي رسالة من الفرنسيين تدعو الطبقة السياسية إلى إحداث تغيير في المؤسسات، فيما تحدث البعض الآخر عن احتمال ملل الفرنسيين من السياسة والوعود الانتخابية الزائفة، وتفضيلهم الاستفادة من رفع الحجر الصحي لقضاء عطلة نهاية أسبوع مع المقربين في أجواء صيفية. وتحمل المعارضة الحكومة الحالية المسؤولية في هذا الامتناع القياسي عن التصويت، لرفضها فصل هذا الاقتراع كلياً عن الأزمة الصحية المرتبطة بجائحة كوفيد–19 ولاسيما تحديد عمليات الاقتراع. علاوة على مقاطعة الاقتراع التي فرضت نفسها كالفائز الأكبر في انتخابات الأقاليم والمناطق هذه، فقد تمكن اليمين التقليدي ممثلا في حزب «الجمهوريون» من الحفاظ على المناطق السبع التي كانت تحت قيادته، بما في ذلك منقطة باريس الكبرى. وكذلك فعل اليسار، الذي نجح في الفوز بالمناطق الخمس التي كانت تحت قيادته. وبالتالي باختصار، لم تتغير خريطة فرنسا لانتخابات المناطق، باستثناء في جزيرة لا ريونيون التي تحولت إلى اليسار.

حزب ماكرون يعجز عن يرسخ نفسه

وعلى غرار الانتخابات البلدية الأخيرة، نجح العديد من المنتخبين المنتهية ولاياتهم في الحفاظ على مناصبهم؛ أي أن ما بات يسمى بـ«العالم القديم» (الأحزاب التقليدية: اليمين المحافظ والحزب الاشتراكي) صمد في وجه «العالم الجديد» ممثلاً بحزب الرئيس إيمانويل ماكرون الفتي «الجمهورية إلى الأمام» الذي ما يزال عاجزاً عن ترسيخ نفسه محليًا، إذ أنه لم ينجح طوال فترة رئاسة ماكرون في التحول إلى حزب سياسي حقيقي.

فكما هو الحال في الانتخابات الأوروبية، وبشكل أكبر في الانتخابات البلدية، فإن حزب الأغلبية في الجمعية الوطنية في حالة من الفوضى والاندحار. وأقر حزب «الجمهورية إلى الأمام» بأن نتائج هذه الانتخابات المناطقية تشكل «خيبة أمل للأغلبية الرئاسية» وبعد فشله في الفوز بأي منطقة.

لكن الرئيس إيمانويل ماكرون سبق أن أعلن أنه يستخلص أي عواقب وطنية من هذه الانتخابات المحلية. وهو ما فسره بعض المراقبين بأنها طريقة للتوضيح أنه لن يقوم بإجراء تعديل وزاري كبير.

فشل مدوي لحزب لوبان

أما حزب «التجمع الوطني» اليميني المتطرف، بزعامة مارين لوبان، فقد فشل مرة أخرى في انتخابات المناطق، والأسوأ من ذلك، أنه بعد أن تصدر في ست مناطق في الجولة الأولى من الانتخابات نفسها في عام 2015 تمكن هذه المرة من التصدر في منطقة واحدة فقط (منطقة بروفانس ألب كوت دازور). وهو انتصار رمزي لم يدم طويل، حيث تعرض مرشح الحزب تييري مارياني لهزيمة مدوية في الجولة الثانية، أمام مرشح اليمن ووسط اليمن رينو موسيلير المنتهية ولايته. وباستثناء هذه المنطقة كان حزب مارين لوبان خارج المنافسة في المناطق 12 الأخرى.

وانطلاقاً من نتائج الدورة الثانية لانتخابات المناطق هذه، يتضح أن ما يعرف بـ«الجبهة الجمهورية» لم تعد تماماً لدى الأحزاب السياسية وكذلك بين الناخبين. علاوة على ذلك، سيكون على مارين لوبان تحديد مكان ناخبيها، لاسيما أن حزبها هو الأكثر تضرراً من الامتناع عن التصويت في الانتخابات المناطقية.

فبعد صدور نتائج الجولة الأولى لهذه الانتخابات، لم تتردد لوبان في توجيه اللوم لناخبي حزبها، قبل أن تغير استراتيجيتها بعد صدور نتائج الجولة الثانية مساء الأحد الماضي، حيث شكرت الناخبين الذين توجهوا إلى صناديق الاقتراع، واصمة بدل من ذلك ما وصفته بـ«التنظيم الكارثي لهذه الانتخابات من قبل وزارة الداخلية». وتحدث جوردان باردیلا، مشرح حزبها في منطقة باريس الكبرى، عن «فضيحة دولة».

أي درس بالنسبة للانتخابات الرئاسية؟

بين هذا وذاك، يبدو اهتمام الناخبين الفرنسيين أقل على المستوى المحلي منه على المستوى الوطني. ومع ذلك، فإنه يمكن أن نستخلص بعض الدروس من انتخابات المناطق هذه بالنسبة للانتخابات الرئاسية العام المقبل: في صفوف اليسار، أظهر الاتحاد فيما بين مرشحيه في ست مناطق خلال الجولة الثانية، أظهر أن اليسار قابل للتوفيق، خلافاً لما يقول الكثيرون، وإن كان اليسار الموحد (الحزب الاشتراكي وحركة فرنسا الأبية) فاز بمنطقتين فقط، هما بورغين–فرانش–كومتي وسانترو–فال دو لوار.

وبالنسبة لليمين المحافظ التقليدي ممثلا في حزب «الجمهوريون» كانت الأنظار موجهة إلى ثلاثة أسماء يتم تداولها كمرشحين محتملين لخوض الانتخابات الرئاسية المقبلة: لوران فوكيه وفاليري بيكريس وغزافييه برتران. وقد خرجوا ثلاثتهم بمعنويات مرتفعة بعد أن أعيد انتخابهم رغم المنافسة الشرسة. وهذا الفوز الذي حققه اليمين المحافظ على أنقاض حزبي ماكرون ولوبان، رأى الصحافي والمحلل السياسي محمد كلش أنه «سيبدل من طبيعة المواجهة في الانتخابات الرئاسية، المتوقع في الأساس أن تكون محصورة بين ماكرون ولوبان. إلا أن المرشح المحتمل لليمين التقليدي لا يمكنه الاعتماد على نتائج انتخابات المناطق هذه، التي عرفت نسبة مقاطعة قياسية».

ومع ذلك، اعتبر الرئيس الحالي لحزب «الجمهوريون» أن هذا الحزب يمثل «القوة الوحيدة القادرة على التناوب على السلطة».

حدث الأسبوع

لبنان: الحريري أمام خيارات أحلاها مرّ والكلام بات عن مرحلة ما بعد الاعتذار

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

لم يعد الكلام في بيروت عن اعتذار الرئيس المكلّف سعد الحريري عن عدم تأليف الحكومة بل عما بعد الاعتذار، هذه هي المعادلة التي باتت تحكم الواقع الحكومي في ضوء التعقيدات التي برزت في وجه التشكيلة الحكومية وعدم مبادرة الأطراف المعنية وخصوصاً فريق العهد لتقديم التنازلات كي تقلع حكومة الانقاذ التي ينتظرها اللبنانيون، علّها تسهم في الحد من المزيد من الانهيار الاقتصادي والاجتماعي والحياتي.

وباتت أسفار الحريري في الخارج أكثر من حضوره في الداخل، ولعلّه بهذا الغياب يعوّض عن حالة الضياع التي يعيشها بين الاستمرار بتكليف صعب أو اعتذار أشدّ صعوبة، وهذا ما يفسّر غياب أي مؤشرات جدية حول هذا الاستحقاق، في وقت تتعاظم الاحتجاجات وتنذر بتمدّدها وتفاقمها بعد المشهد الذي حصل في طرابلس، والخوف من استغلال أطراف داخلية معينة حالة الفقر والجوع واليأس لوضع أهل المدينة في مواجهة مع الجيش بهدف تحويل الاحتجاجات إلى فوضى وتحقيق اختراقات على الساحة الطرابلسية والسنّية.

ولا يمكن فصل قرار الحريري بالاعتذار أو عدمه عما يمكن أن يحدث بعده، ولاسيما إذا لم تكن الخطوة مدروسة بظروفها ومنسّقة مع الرئيس المكلّف في توقيتها، كي لا يؤدي أي قرار إلى نتائج عكسية وخصوصاً في حال عدم نضوج الحل وعدم التوافق على هوية الشخصية التي ستخلف الحريري في رئاسة الحكومة، والتي ستحظى بمباركته وبرضى دار الفتوى ورؤساء الحكومات السابقين.

ويبدو الحريري عالقاً بين خيارين أحلاهما مرّ: الخيار الأول رغبته الفعلية في الاعتذار نظراً لشعوره بغياب الدعم العربي والدولي الذي كان يعوّل عليه للاستمرار في تكليفه الأمر الذي سيجعل مهمته مقيّدة، لكن هذه الخطوة تصطدم لغاية الآن بعدم مبارکة رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي لا يرى عن الحريري بديلاً، الخيار الثاني عدم رغبته في أن يكون اعتذاره عن عدم التأليف بمثابة هدية إلى رئيس الجمهورية ميشال عون وصهره رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل اللذين سيعتبران إزاحته انتصاراً لهما وانكساراً للممثل الأكبر للطائفة السنية في لبنان الذي يحظى بتأييد دار الفتوى ورؤساء الحكومات السابقين وشريحة شعبية واسعة.

وفي كلا الحالتين، فإن الحريري سيخسر من رصيده، سواء إذا استمر بتكليفه ونجح في التأليف وبقي مكبّلاً نظراً لعدم التجانس بينه وبين العهد ووضع المطبّات أمامه، وسواء إذا اعتذر بعد تسعة أشهر من عدم القدرة على التأليف رغم تمتّعه بالميثاقية السنّية والتمثيلية.

الجيش اللبناني في احتجاجات طرابلس

أفشل العهود

وليس العهد بأقل خسارة، فهو مع كل يوم يمرّ من دون حكومة تقترب الولاية من نهايتها من دون تحقيق أي انجازات، وسيسجّل التاريخ أن هذا العهد كان من أفشل العهود وشهد على أكبر كارثة اقتصادية ومالية واجتماعية وعلى ثالث أكبر انفجار في العالم. وإذا كان الحريري بعلاقاته العربية والدولية قادراً على انتشال العهد من مأزقه وإعطاء نفخة أمل بإمكانية الحد من الانهيار في حال تطبيق برنامج إصلاحات، فإن خروجه من المشهد الحكومي ومجيء شخصية سنية غير وازنة على غرار الرئيس حسان دياب سيعمّق المأزق.

ويبدو العهد وتياره حالياً في شبه عزلة داخلية وعربية ودولية، فباستثناء حليفه حزب الله الذي بدأ يشعر بالإحراج جرّاء المواقف المتصلّبة للتيار العوني ومحاولة تخييره بين حليفه المسيحي وحليفه الشيعي، انقطعت علاقات هذا العهد بمعظم الأفرقاء على الساحة اللبنانية وخصوصاً على الساحة المسيحية من الحزب الأقوى مسيحياً وهو القوات اللبنانية إلى تيار المردة فحزب الكتائب وحزب الوطنيين الأحرار، في وقت ترتسم علامات استفهام كبيرة حول العلاقة بين رئاسة الجمهورية والبطريركية المارونية التي لولا خوفها على استحداث سابقة خطيرة من نوعها لرفعت الغطاء عن رئيس الجمهورية ليسقط في الشارع.

من هنا، وانطلاقاً من معادلة توزيع وتخفيف الخسائر، قد يبدأ التفكير لدى مَن بيدهم الحل والربط بسيناريو جديد يقوم على تأليف حكومة انتخابات واختيار رئيس لها غير مرشح لا هو ولا وزراؤه إلى الانتخابات النيابية المرتقبة على أن يكون لسعد الحريري كلمة في تسمية هذه الشخصية مع عدم استبعاد إعادة تسمية السفير اللبناني لدى المانيا مصطفى أديب تشكيل هذه الحكومة في حال وافق على هذه المهمة، ولاسيما أن إسمه كان محل توافق غالبية الكتل النيابية، حتى الكتل التي لم تسمّه كالقوات اللبنانية أبدت تقديرها واحترامها له عندما قدّم اعتذاره عن عدم التأليف بعد انقضاء المهلة التي حدّدها لنفسه بناء للمبادرة الفرنسية التي رعاها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون.

وحده مثل هذا السيناريو الذي لا يقوم على مبدأ غالب ومغلوب يمكن أن يبصر النور في حال رغب العهد وتياره، أما استمرار التعنّت والتمسّك بالشروط ومن يسمّي الوزيرين المسيحيين فيعني أن ولاية عون ستنتهي إلى أسوأ مما هي عليه اليوم، وسيخرج رئيس الجمهورية عاجلاً أم آجلاً من قصر بعبدا وسيفتقد جبران باسيل إحدى أوراق قوته وهي ورقة توقيع عمّه على مرسوم تشكيل الحكومة، كما سيفتقد الورقة الثانية وهي رئاسته لأكبر كتلة نيابية مسيحية.

طاسة لبنان وسلال «حزب الله»

صبحي حديدي

قد لا يبالغ مراقب ملمّ بالشأن اللبناني، ملفات ومنعرجات وتقلبات، إذا رأى أنّ لائحة الاستجواب التي استقر عليها المحقق العدلي طارق بيطار أقرب إلى مضبطة اتهام تشمل معظم «القرطة»، بحسب التعبير الشهير لأشقائنا اللبنانيين؛ التي يمكن بالفعل أن تكون متورطة في كارثة انفجار مستودع النترات في مرفأ بيروت. والتي يصحّ، أيضاً، النظر إليها كـ«عصابة» حاكمة متسلطة فاسدة، عالية التفاهم حول نهب البلد وإفقاره؛ بصرف النظر عن مستويات التدني أو التكامل بين أجنداتها السياسية والمالية، وارتهاناتها الإقليمية والدولية.

ورغم احتواء اللائحة على أسماء رئيس حكومة تصريف الأعمال، فضلاً عن وزراء سابقين، وقائد سابق للجيش ومدير أسبق للمخابرات العامة ومدير الأمن العام الحالي ومدير عام أمن الدولة والمدير العام للجمارك، وأنّ اللائحة تصلح مرآة، غير شاملة وغير متكاملة، لاستطالات الأحزاب والطوائف في مختلف مفاصل الدولة العميقة (إذا جاز الحديث هكذا)؛ فإنّ ما تعثر فيه المدعي العام السابق القاضي فادي صوان، قبل تنحيته، هو المآل الذي ينتظر أشغال المحقق الحالي.

لقد أسمعتَ لو ناديت حياً، وذلك رغم أنّ المنادَى ليس حياً يتمتع بكلّ أسباب القوّة والمنعة والحصانة والقدرة على تنظيم هجومات مضادة شتى، فحسب؛ بل كذلك لأنه حيّ يُرزق، ضمن أسوأ ما يعنيه الارتزاق من نهب وفساد وجشع وطمع واستهانة بأبسط مقتضيات الانتماء إلى بلد وشعب، تقول المؤسسات المالية الدولية إنه يعيش واحدة من أسوأ ثلاث أزمات اقتصادية ومالية ومعيشية لم تعرفها شعوب الأرض منذ عام 1850.

ثمة من يساجل، مع ذلك أو بسبب ذلك على وجه التحديد، أنّ القوى الإقليمية والدولية التي أتاحت ولادة لبنان في الأساس، وأرادته على هذه الشاكلة التي تطورت وتبدلت وتقلبت من دون أن تغادر الصيغة الطائفية والسياسية التي بُني عليها؛ لن تسمح بانهيار كامل لهذا الـ«لبنان»، المطلوب والمرغوب والخادم الملبّي لسلسلة اعتبارات لا تخرج البتة عن ضرورات جيو – سياسية عابرة للمحليّ، أو حتى الإقليمي. ومَن يساجل هكذا، يتوجب أن يقرّ أيضاً بأنّ في طليعة المحرّضات على الانهيار عجز رعاة لبنان عن تفكيك عُقَد «حزب الله»، وهي في صيغة الجمع لأنها ليست عقدة واحدة تنبثق من سلّة النفوذ الإقليمي الإيراني، بل تتراكم مجاميعها من سلال الحزب اللبنانية ذاتها. وهذه لا تبدأ من سلطة السلاح والأمر الواقع والدولة فوق ما تبقى من ركام «دولة لبنان الكبير»، وتمرّ بالطبع من حقيقة توزّع السكان على 18 طائفة ومذهبا، ولا تنتهي عند التحالف العجيب الشيعي – المسيحي الذي ينخرط فيه الجنرال الرئيس ميشيل عون.

والراغب في عدم استرجاع مبادرة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، حتى من باب تشييعها إلى مثواها، لن يعدم مبادرة بابا الفاتيكان في تخصيص «يوم التأمل والصلاة من أجل لبنان»؛ الذي شارك فيه عشرة من قادة الكنائس اللبنانية، وبدا أنّ أية «طاسة» مخلصة مقدسة ليست مرشحة للضياع في الزحمة هذه، وأنّ لبنان الملقّب بابوياً بـ«عطية السلام» لا يدير حروبه من روما، ولم تعد شبكات دمشق أو الرياض أو طهران ضرورية لكي تنقلب الشرارة إلى حرائق؛ لأنّ ما تحت الرماد من اضطرام معيشي يومي كفيل بتصدير اللهيب، وليس الشرارة وحدها.

وبين أحدث العجائب، في مضمار راهن على الأقل، أنّ الثنائي الشيعي منقسم حول مبادرة نبيه بري لتسهيل ولادة حكومة سعد الحريري، وأنّ الأنظار أكثر شخوصاً إلى مفاوضات فيينا منها إلى التراشق اللفظي بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة المكلف. وليست لائحة اتهام المحقق العدلي الجديد سوى العجيبة المرادفة للحال المعلّقة إياها، حين تتوجه أصابع الاتهام إلى ممثلي «القرطة» من دون أن يهتز رأس كبير أو يُرمى أحد «الكلّن يعني كلّن» بوردة؛ أو طاسة لمن يشاء، من ركام الطاسات الضائعة المتلاطمة وسط سلال «حزب الله».

الفاتيكان قلق على الحضور المسيحي في لبنان ولن يقبل بزوال الشراكة الفريدة مع المسلمين

بابا الفاتيكان في لقاء البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي

بيروت – «القدس العربي»:

الصلاة التي رفعها البابا فرنسيس في الفاتيكان مع رؤساء الكنائس المسيحية من أجل «بلاد الأرز» كما يحلو للحبر الأعظم تسمية لبنان، تأتي لتعكس مدى الاهتمام بـ«وطن الرسالة» والخوف على بلد الشراكة المسيحية الغسلامية في وقت يشهد الحضور المسيحي الأبرز في منطقة الشرق الأوسط تراجعاً سياسياً وديموغرافياً، الأمر الذي يهدّد بتراجع الدور الذي لعبه المسيحيون ولاسيما الموارنة منذ تأسيس لبنان الكبير عام 1920. وليست المرة الأولى التي يبدي فيها الكرسي الرسولي اهتماماً بهذا البلد حيث دعا البابا يوحنا بولس الثاني عام 1997 إلى سينودوس من أجل لبنان تلاه توقيع الارشاد الرسولي في خلال زيارته في ايار/مايو 1997 ثم كانت زيارة للبابا بنديكتورس السادس عشر في ايلول/ستمبر 2012 وقبلها بسنوات وتحديداً عام 1964 محطة للبابا بولس السادس في مطار بيروت.

وإذا كانت فرنسا اعتُبرت على مدى عقود بمثابة «الأم الحنون» للموارنة، فهي لم تعد تلعب فعلياً هذا الدور وبانت لها مصالحها في المنطقة، ولم تعد طريق فرنسا تمرّ بالضرورة في بكركي، إذ إن التقليد التاريخي كان أن يخصّص الرئيس الفرنسي زيارة إلى الصرح البطريرك للقاء البطريرك الماروني عند أي زيارة إلى لبنان، فيما لوحظ أن الرئيس إيمانويل ماكرون بدّل هذا التقليد والتقى البطريرك مار بشارة بطرس الراعي في قصر الصنوبر، فيما لم يزُر وزير خارجيته جان إيف لودريان بكركي في آخر زيارة إلى بيروت، الأمر الذي سبّب امتعاضاً في الصرح تمّت معالجته بالطلب من السفيرة الفرنسية آن غريو الاجتماع بالبطريرك وإطلاعه على نتائج المحادثات الفرنسية اللبنانية.

ومع انتخاب العماد ميشال عون رئيساً للجمهورية وتحالفه مع حزب الله ومحور المانعة، تدهورت العلاقة مع الدول العربية وخصوصاً الخليجية، ما انعكس سلباً على الوضع المسيحي الذي بسبب سياسات «التيار الوطني الحر» ورئيسه جبران باسيل بات يُحسَب في الخانة الإيرانية والسورية، ما جعل العلاقة الرسمية بين لبنان والمملكة العربية السعودية تشهد فتوراً ووقفاً للدعم الذي دأبت عليه دول الخليج منذ إقرار اتفاق الطائف، وبدلاً من أن يتخذ الرئيس اللبناني مواقف وسطية تحافظ على علاقات لبنان بأشقائه العرب زاد التصاقه بحزب الله المصنّف كمنظمة إرهابية في عدد من الدول الخليجية.

وإذا كان المسيحيون يقوون في دولة قوية وقادرة، فإن تلاشي الدولة ومؤسساتها لصالح الدويلة انعكس سلباً على الحضور المسيحي فزادت الهجرة في السنتين الأخيرتين ولاسيما بعد الانفجار المدمّر في مرفأ بيروت الذي أصاب الجزء المسيحي من العاصمة، وترك أضراراً جسيمة في المستشفيات والمدارس التي تميّز بها المسيحيون، وباتوا عاجزين حالياً عن إعادتها إلى تألقها بسبب الأوضاع الاقتصادية والمالية المنهارة بعد انهيار القطاع المصرفي الذي يُعتبر أيضاً من أهم المؤسسات التي يقف وراءها رجال أعمال مسيحيون.

ومع الواقع الذي بلغه الموقف الفرنسي الراعي التاريخي للمسيحيين، ومع الواقع الذي بلغه الموقف العربي الراعي الأساسي لاتفاق الطائف الضامن للمناصفة، بات المسيحيون اللبنانيون لأول مرة يشعرون بأن مصيرهم في البلد الذي أسّسوه مهدّد، وبأن مستقبلهم في بلاد الأرز غير مستقر. أكثر من ذلك فإن الخطاب العوني الذي يوصف بالتحريضي ضد اتفاق الطائف وضد بعض الطوائف بات يثير الغرائز والأحقاد والانقسامات ويهدّد بالعودة إلى لغة الحرب.

من هنا، استشعر البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي الخطر وبدأ رفع الصوت بضرورة تحرير الشرعية والقرار الوطني وإعلان حياد لبنان ورفض أي تسوية على حساب لبنان أو أن يكون جائزة ترضية لأحد مؤكداً التمسك باتفاق الطائف والمناصفة ورفض المثالثة، وجاءت زيارته إلى الفاتيكان حيث وضع البابا فرنسيس في صورة الواقع اللبناني بشكل عام والمسيحي بشكل خاص. ولم يتأخر بابا روما في تلقّف الرسالة والتنبيه من خطورة إضعاف المكوّن المسيحي في لبنان الذي كما قال في خطابه أمام السلك الدبلوماسي «يهدّد بالقضاء على التوازن الداخلي» مؤكداً «على ضرورة أن تحافظ بلاد الأرز على هويتها الفريدة من أجل ضمان شرق أوسط تعددي متسامح ومتنوّع، يقدّم فيه الحضور المسيحي إسهامه ولا يقتصر على كونه أقلية فحسب» ومتبنياً فكرة الحياد من خلال التحذير من «الانغماس في التجاذبات والتوترات الإقليمية».

لقاء تفكير

وكان البابا يرغب وما زال في زيارة لبنان، لكنه يرهن هذه الزيارة بتشكيل حكومة، وهو لا يترك مناسبة إلا وتكون له لفتة تجاه هذا الوطن الصغير. ويعوّل كثيرون على أهمية الزيارة البابوية ولو معنوياً لأنها كما زيارة البابا يوحنا بولس الثاني في زمن الوصاية السورية والإحباط المسيحي عام 1997 تعطي أملاً ودفعاً للحضور المسيحي في البلد، وتؤسّس للتغيير، وهو ما تحقّق بعد 5 سنوات على إطلاق البطريرك الراحل مار نصرالله بطرس صفير نداء المطارنة الموارنة الشهير في ايلول/سبتمبر من عام 2000 والذي طالب بجلاء الجيش السوري عن لبنان. وإلى أن تتشكّل حكومة وتتم زيارة البابا، استضاف الفاتيكان رؤساء الكنائس المسيحية في لبنان من أجل عقد لقاء تفكير وصلاة من أجل بلاد الأرز.

وهذه الصلاة ليست البداية ولن تكون النهاية، بل ستكون محطة في مسار جهود فاتيكانية لمساعدة لبنان على بقائه وطن الشراكة المسيحية الإسلامية وتلاقي الحضارات ودولة الممارسة الحرة والديمقراطية. وكان معبّراً كلام البطريرك الراعي قبيل مغادرته إلى روما عندما قال «لا نذهبُ إلى الفاتيكان حاملين همَّ المسيحيين وحدهم، بل همَّ جميع اللبنانيين، نحمل قضيةَ لبنان بما هي قضية الحريةِ والحوارِ والعيش المشترك المسيحيِ الإسلامي بالمساواة والتضامن والتعاون في هذا الشرق. إنَّ صحَّةَ الشرقِ من صحَّةِ لبنان. نذهب لنؤكد لقداسته حرصَ اللبنانيين على الحياةِ معًا رغم جميع الخيبات والحروب التي مروا فيها بسبب تعدّدِ الولاءات، أو بسببِ أخطائهم أو خصوصًا بسبب التدخّلِ الخارجيّ المقيت في شؤونهم».

ولم يكن طرح «حياد لبنان» غائباً عن الفاتيكان ولا الدعوة إلى مؤتمر دولي انطلاقاً من رغبة بكركي في تحقيق الاستقرار السياسي وعودة الازدهار الاقتصادي الذي لطالما تميّز به لبنان قبل عقود إلى حد توصيفه بـ«سويسرا الشرق». وتشير أوساط بكركي إلى «رفض أي تشويه للنظام اللبناني وميثاقه الوطني وأي اختلال في علاقات لبنان العربية والدولية ورفض إلصاق أي هويات تتناقض مع الهوية اللبنانية».

هل ستكون هناك حلول فورية للأزمة؟

قد لا تكون هناك حلول سحرية وسريعة لهذه الأزمة في ظل وجود» شياطين» السياسة في لبنان وحالة الإنكار الغريبة لدى من بيدهم زمام السلطة، لكن الأهم أن القضية اللبنانية التي يحمل همّها البطريرك الماروني وصلت إلى أعلى مرجعية روحية مسيحية في العالم، وهذه المرجعية لن تقبل بزوال التجربة اللبنانية التعددية وبزوال آخر وجود مسيحي فاعل في الشرق وفي الدول العربية. والأهم أن البابا فرنسيس صوّب البوصلة في كلمته في ردّ ضمني على من ينادي بحقوق المسيحيين ويثير الغرائز ويفتح دفاتر الماضي بتأكيد انفتاحه على»إخوتنا المسلمين والاستعداد للتعاون لبناء الأخوّة وتعزيز السلام. السلام ليس فيه غالبون ومغلوبون بل إخوة وأخوات يسيرون من الصراع إلى الوحدة، رغم سوء التفاهم وجِراح الماضي» مضيفاً «بكوننا مسيحيين نجدّد التزامنا ببناء مستقبل معاً، نحن المسيحيين مدعوون لأن نكون زارعي سلام وصانعي أخوّة والا نعيش على أحقاد الماضي والتحسّر، والا نهرب من مسؤوليات الحاضر» ومؤكداً على تحييد لبنان عن النزاعات بقوله «كفى استخدام لبنان لمصالح ومكاسب خارجية».

لبنان: كارثة وطنية وتصديات متقطعّة وأوهام «مدنوية»

وسام سعادة

مرفأ بيروت

استبق المحقق العدلي في قضية تفجير مرفأ بيروت طارق بيطار ذكرى مرور عام كامل على تلك الكارثة الإجرامية التي تمثّل أوضح إدانة لنظام الأوضاع الجائم على صدور اللبنانيين منذ نهاية الحرب الأهلية وأعصاها على العدالة إلى اليوم، باستدعاء رئيس الحكومة المستمرة في تصريف الأعمال رغم استقالتها نتيجة لانفراط عقدها والغضب الشعبي عليها في إثر تفجير المرفأ، وعاود ما قام به من سبقه بالإمساك بالملف قبل تنحيته، القاضي فادي صوان، وسطّر أذونات وطلبات رفع حصانة، تتيح ملاحقة قادة أمنيين وعسكريين وقضاة، ووزراء سابقين هم نواب حاليون، في موضوع الإهمال المتراكم، تحت سمعهم وعلمهم، والمتصل بتخزين هذه الكمية الهائلة من نيترات الأمونيوم في عنابر المرفأ، و»بجناية القصد الاحتمال لجريمة القتل».

ويستمد «قرار» القاضي بيطار عنصر قوة من اقتراب اكتمال العام الأول بعد المرفأ من دون تحقيق تقدم نوعي في عملية إجلاء الحقائق حتى الآن، وبعد ذلك بشهرين، ذكرى مرور عامين على أزمة «شح الدولار» التي دفعت باتجاه الانسداد السياسي من جهة، والانهيار المالي المتواصل من جهة ثانية، وما بينهما من انتفاض شعبي استثنائي لم يلبث أن تضعضع، لعدم تمكنه بشكل أساسي من التصالح مع ازدواجية المهام السياسية من جهة، والاجتماعية من جهة ثانية، وانشطاره بين خطابين.

فمن ناحية خطاب «سياسوي»، يقول بالتغيير السياسي فقط، دونما اقتراب من التغيير الاجتماعي والثقافي، لتكون النتيجة من ثم أنّ سياسويته تتحول إلى إلغاء للسياسة، من خلال المناداة على الحلول التكنوقراطية، أو إلى إلغاء السياسة من خلال طرح الأهداف من دون الوسائل، وهذه حال من يريد حل مشكلة «حزب الله» وسلاحه بالتداعي المتواصل لاختفائهما «بلا كيف». وثمة من ناحية مقابلة، خطاب «اقتصادوي» ينظر إلى المعركة كما لو كانت في جزيرة معزولة، وليست في بلد على خارطة الصراع بين المحاور المتصادمة في منطقة الشرق الأوسط، وينقسم ناسه بحده، مع وضد سلاح «حزب الله».

والخيبة الثانية تعلقت بمصير محاولات عديدة حاول فيها بعض القضاة تحصيل حقوق الناس من الغول المصرفي من دون نتائج «حرزانة»، بل وتحمل هؤلاء القضاء التجني الإعلامي عليهم، نظرا لخضوع الإعلام التلفزيوني برمته لأقطاب الأوليغارشية المتعددين. وقد أتى قرار مجلس شورى الدولة مؤخراً بعدم قانونية التعميم 151 من مصرف لبنان الذي يبيح للمصارف تسديد مبلغ محدود شهرياً من الوديعة بالدولار الأميركي لكل زبون بسعر يفوق السعر الرسمي بضعفين، لكنه لا يتجاوز ربع سعر الدولار في السوق السوداء (والآن خمس هذا السعر) فكانت النتيجة أن سهل للمصارف تطويق القرار وقلب مضمونه، بحيث وافقوا على الرحب على إلغاء التعميم، فيكون السحب على السعر الرسمي فحسب (أي ثمانية في المئة من السعر الفعلي الآن). فتحول المواطنون المغلوبون على أمرهم إلى مطالبين بسلبهم مالهم وفقا لتعميم 151، إذا كان كسر هذا التعميم سيرتد عليهم بهذا الشكل، واستقبلوا ضرب عرض الحائط بقرار مجلس شورى الدولة، بارتياح مسجون في معتقل بأنه نقل إلى آلة تعذيب مسائية أشد وطأة من تلك الصباحية.

ولم يجر إعلان إفلاس هذه المصارف في نفس الوقت للقول بأنها ضاعت، أو على صعيد كارثة ومجزرة 4 آب/اغسطس أو على صعيد الانتهاكات المتزايدة ضد حقوق الإنسان، في إطار قمع منتفضي 17 تشرين الأول/أكتوبر والمحتجين على وقائع التجويع والإفقار.

وقد أصيب التعويل على دور انقاذي للقضاة بخيبتين، أولها الإطاحة قبل أشهر معدودة بالقاضي صوان حين سعى لملاحقة أسماء سياسية وأمنية في ملف المرفأ، وحينها تضامن في وجهه، وبيافطة محض مذهبية، الرئيس المكلف المستدام لتشكيل حكومة في البلد غير المستدام سعد الحريري نفسه يتضامن مع رئيس تصريف الأعمال المتبختر في عز الكارثة بأن حكومته حققت إنجازات هائلة، حسان دياب، المهووس بمعاداة الحريرية.

تأتي المراسلات الحالية للقاضي بيطار، بهدف تمكينه من توسيع رقعة الملاحقة، وثقة الناس بالقضاء «يا محلاها» ثقتهم بمستقبل البلد. ومع ذلك، يمكن القول إن «قرار بيطار» نال احتضاناً معنوياً لديهم، ويقينا في نفس الوقت بأن العصابات المتشاجرة والمتواطئة التي دمرت المعاش اللبناني ستتمكن من صدّ هذا القرار. والحق انه قرار لا يمكن المحافظة عليه من دون إسناد شعبي حقيقي، ولا يمكن إسناده إلا بالمطالبة بالمزيد، وهذا المزيد له اتجاه أساسي واحد، المساهمة في وضع حد ختامي لهذا العهد الرئاسي، ووضع حد اختتامي للجمهورية الثانية، جمهورية الأوليغارشية ذات المئة تبعية، الذي جاء الشؤم ينادي بإصلاحها، فكان ان زاد من الحمولة المتراكمة لكوارثها قبله، وكابر على ذلك، ووصلنا حيث نحن، أي حفرة كبيرة يمنح فيها قرار بيطار فرصة لوقف المزيد من الحفر.

أن تتحرك الإوليغارشية مرة أخرى للوي ذراع القضاة، فهذا له مع الوقت تبعات وخيمة أكثر. وان يعزل بيطار كما صوان من قبله وفي الذكرى السنوية الأولى لتفجير المرفأ، فهذا سيكون استفزازا أكثر من وقت لبلد بأكمله. لكن، أعداء الشعب اللبناني عودونا، خاصة في العامين الأخيرين، ان لا شيء يمكن أن يردعهم سوى غضب الناس إذا ما ارتفعت وتيرته، وهو ما حصل، وإذا ما سلك مساراً ممنهجاً، وهو ما لم يتحقق بالحد الأدنى اللازم. ويأتي تحرك بيطار القضائي في وقت تتهاوى فيه الليرة أكثر فأكثر، وتحبس فيه الناس في طوابير الانتظار الاستلابي لها عند محطات البنزين، وتفتقد فيه الأدوية من الصيدليات، ويرفع فيه الدعم عن السلع، وتخرج فيه الاحتجاجات مجددا من بوابة طرابلس ليجري التعامل معها بفظاظة، كما لو كانت طرابلس الشعبية مستعمرة مغضوب عليها من «دولة المركز».

ليس دولة المركز فقط، قوى ما يسمى بالمجتمع المدني أيضاً، تنظر إلى فقراء طرابلس كأبناء مستعمرة، يتضامنون معهم من بعيد، وينصحونهم بأن لا ينتخبوا زعماءهم مرة أخرى، وهذا من قبيل التضامن بالتشفي. وهذا جزء من مشكلة أساسية، وهي غربة المجتمع المدني عن الأكثرية الشعبية من الناس، وتحولها إلى شيء مرئي بالنسبة له، إلا كتهويم يروق له، وقت المشاهد التظاهرية المليونية و»الفوتوجنيك» يجري محو الطبقات الشعبية في مرآة المجتمع المدني. بل يمكن المجازفة بالقول إن الطبقات الشعبية غير المرئية عند الدونيين الخلص، هي «مرئية بشكل أفضل نسبياً» عند الأحزاب الطائفية. الأوليغارشية الصغرى التي يقيمها المسيطرون على هيئات وجمعيات وقنوات تمويل المجتمع المدني في البلد، تلعب دوراً فعلياً في الحيلولة دون التماس بين ما هو مدني وما هو شعبي و»عامّي».

وهذا يذكرنا، بأن كل فكرة المجتمع المدني في الغرب، من خلال طرحه بإزاء الدولة والكنيسة، ومن ثم ردم الهوة بين المجتمع المدني وبين «العامة»، أما بإنكار هذه الهوة من الأساس، وأما باقتضاء العمل على ردمها لكي يصير المجتمع المدني هو عموم الناس في نشاطيتهم. في المقابل، الهوة بين «المجتمع المدني» وبين «العامة» هي الشكل الأساسي لحضور المجتمع المدني في المجتمعات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية.

مثلما أن قوى المجتمع المدني أسيرة ثقافة البحث عن النقاط المشتركة. والحق ان ابتغاء «تكتيل القوى التغيير» بأي شرط وأي ظرف لا هيه وجاهة ولا فيه ظرف، أحيانا، بل في أحيان كثيرة، بل في معظم الأحيان، ينبغي بالعكس تماماً ضرب عملية تكتيل القوى التغييرية وإعطاء الأولوية للفرز، إذا ما أريد إفساح المجال لتغيير أكثر جدية، أي أكثر شقلبة للوضع في اتجاه يتفلت من إعادة إنتاج المعادلات الممسكة بهذا الوضع.

احتجاجات شعبية في عدد من المناطق اللبنانية

أقدم عدد من المواطنين في لبنان أمس على قطع الطرقات في عدد من المناطق بسبب تردي الأوضاع المعيشية والاقتصادية. وشهدت محطات الوقود في شمال البلاد وجنوبها مشاجرات على خلفية تعبئة البنزين بعد انتظار المواطنين في طوابير لساعات أمامها.

يذكر أن بعض محطات الوقود في عدد من المناطق توقفت عن العمل منذ أيام بسبب عدم توفر مادة البنزين، فيما شهدت محطات أخرى اصطفاف المواطنين بسياراتهم في طوابير أمامها لتلبية احتياجاتهم بما لديها من مخزون.

بالرغم من رفع سعر المحروقات بعد أن أعطى رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب منذ أيام موافقة استثنائية على اقتراح وزير المالية بالسماح بتمويل استيراد المحروقات على أساس تسعيرة 3900 ليرة لبنانية بدلا من 1500 ليرة لبنانية لدولار الواحد، لفترة ثلاثة أشهر المقبلة، إلا أن أزمة توافر المحروقات متواصلة.

واتخذ أصحاب المولدات الخاصة للكهرباء قراراً بإطفاء مولداتهم في معظم المناطق اللبنانية لحوالي 8 ساعات في اليوم بسبب نفاد مادة المازوت من خزانات المحطات، في حين بلغت ساعات انقطاع التيار الكهربائي الذي تؤمنه مؤسسة كهرباء لبنان نحو 22 ساعة يوميا في معظم المناطق اللبنانية.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10314 الأحد 4 تموز (يوليو) 2021 – 24 ذو القعدة 1442 هـ

الأمن الاجتماعي مفقود واللبنانيون من جلجلة إلى أخرى فهل يخرج الوضع عن السيطرة؟

بيروت – «القدس العربي»: ناديا الياس

لا معاناة تعلو على معاناة اللبنانيين في هذه الأيام بعد استفحال الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والمالية والحياتية غير المسبوقة التي تنغّص حياتهم وأوضاعهم المعيشية والصحيّة، فبات من الصعب عليهم العيش بهناء ورخاء وبحبوحة وكرامة بعد الذل الذي لحق بهم من جرّاء انقطاع الكهرباء بصورة متواصلة، وعجز أصحاب المولدات الكهربائية عن تشغيل مولداتهم بشكل متواصل بسبب فقدان مادة المازوت وارتفاع أسعار الصفيحة في السوق السوداء وارتفاع أسعار قطع الغيار، الأمر الذي دفع كثيرين منهم مرغمين إلى إطفاء مولّداتهم لأكثر من ست ساعات مداورة صباحاً ومساء في العديد من المناطق التي حلّت فيها العتمة، وشهدت أيضاً انقطاعاً للمياه بسبب غياب الكهرباء ومادة المازوت لتشغيل المولدات لضخّ المياه إلى المشتركين، كما تمّ الخوف من انقطاع الإنترنت بعد الصرخة التحذيرية التي أطلقها مدير هيئة أوجيرو عماد كريدية لتزويد قطاع الاتصالات والإنترنت بالطاقة، أو بتزويدهم بمادة المازوت التي شحّت في المراكز لتشغيل المولدات الكهربائية لدى هيئة أوجيرو لتتمكن من استكمال تقديم خدماتها.

وانسحبت أزمة الكهرباء وعدم توفر مادة المازوت على الأوضاع الصحيّة حيث بدأت القطاعات الاستشفائية والغذائية والأساسية للمواطنين رفع الصوت تحذيراً من انقطاع المادة نهائياً وتوقّف كل خدماتها، حتى أن بعض مديريات ومؤسسات الدولة التي نفد منها مازوت المولدات فتوقفت أعمالها، وأطفأ مستشفى رفيق الحريري الحكومي مكيّفات التبريد في أجزاء من المستشفى، وأرجأ بعض العمليات بسبب انقطاع الكهرباء، ودقّ ناقوس الخطر لتزويده بالمازوت ليتمكّن من تشغيل المولدات.

صرخة تحذيرية

وأطلقت نقابة أصحاب المستشفيات في لبنان صرخة تحذيرية بشأن عدد من المستشفيات التي استنفدت المخزون الموجود لديها من مادة المازوت وما تبقّى لديها لا يكفي لتأمين حاجة 24 ساعة، وناشدت النقابة المسؤولين المعنيين كافة بضرورة تأمين هذه المادة للمستشفيات فوراً، وإلا فهي مقبلة على كارثة صحية مع عدم قدرة المستشفيات على تأمين التيار الكهربائي.

وكادت السوبرماركت تتهدّد وتتضرّر السلع الغذائية التي تحتاج إلى تبريد متواصل لولا طمأنة نقيب أصحاب السوبرماركت نبيل فهد إلى أن السوبرماركت ستفتح أبوابها ولن تقفل إلا في حال وجود قوة قاهرة لناحية عدم تأمين وجود المازوت لتأمين الكهرباء.

بدوره، ناشد رئيس نقابة الدواجن وليم بطرس السلطات المعنية وجوب تسليم مادة المازوت إلى منتجي ومزارع الدجاج، محذّراً من كارثة كبيرة قد تقع في القطاع من جراء هذه الحالة التي قد تقضي على الدجاج الحي الموجود في المزارع والدجاج الموجود في برادات المسالخ.

هكذا، بدأت علامات الإرتطام تتجلّى لمعظم الناس البائسة التي أصبحت أحلامها تختصر بتعبئة صفيحة البنزين وتأمين حليب الأطفال المفقود من السوبرماركت، وفقدان الدواء في الصيدليات، وتأمين أبسط أنواع المواد الغذائية التي باتت نادرة وغير موجودة على الرفوف في المحلات، فعَلَت الصرخات واحتجاجات المواطنين الغاضبين تعبيراً عن الخوف والقلق لما ينتظرهم من مصير قاتم مجهول، فنزل البعض منهم في طرابلس وصيدا وجبل لبنان والبقاع احتجاجاً على طوابير الذّل أمام محطات المحروقات لتعبئة القليل القليل من البنزين، فقطعوا الطرقات واشعلوا إطارات السيارات تعبيراً عن غضبهم.

وتزامن هذا المشهد السوداوي مع التباينات السياسية الحادة وصراعات المسؤولين في ما بينهم على المحاصصة والتجاذب حول الصلاحيات غير آبهين بأوجاع وقهر الناس الجائعة بسبب تآكل القدرة الشرائية للعملة اللبنانية أمام تقلبات الدولار الذي وصل إلى عتبة الـ 18000 وفوضى والتهاب أسعار معظم المواد الأساسية والحيوية بسبب ارتفاع أسعار المحروقات، حيث بلغ سعر صفيحة البنزين 71 الف ليرة والمازوت 54 ألفاً.

الغضب الشعبي

وفور صدور جدول اسعار المحروقات اعتمدت تسعيرة جديدة للسلع والخدمات بزيادة تراوحت ما بين 3 إلى 5 في المئة، من دون احتساب الزيادة التي طرأت نتيجة ارتفاع سعر الدولار في السوق الموازي مقابل الليرة كما ارتفعت أسعار الخضار والفاكهة بحدود3000 ليرة للكيلو.

ولفت رئيس تجمع أصحاب المولدات الخاصة في لبنان عبدو سعادة إلى أن ارتفاع أسعار المحروقات سينعكس تلقائياً على المولّدات، وفاتورتها تتأثر بسعر المازوت وصرف الدولار والتقنين الحاصل، واستناداً لما هو مطروح أعلن أن سعر الـ 5 أمبير سيتخطى الـ 500 ألف ليرة، وطالب بدعم حصة أصحاب المولدات من المازوت على سعر 1500 للدولار وهو ما سينعكس مباشرة على المواطن من خلال الفاتورة.

وما كان ينقص اللبنانيين وسط هذه الأزمات المتشعّبة والمترابطة إلا تهديدا إضافيا للأمن الغذائي الذي نبّهت منه مجدداً الغرفة الدولية للملاحة في بيروت التي تخوّفت من أن تدخل سلسلة استيراد الأمن الغذائي إلى لبنان في دائرة الخطر في حال استمر ارتفاع عدد الرافعات الجسرية المعطلة في محطة الحاويات في مرفأ بيروت، وأصبح المزيد منها خارج الخدمة، ولفتت إلى انخفاض عدد الرافعات الجسرية الصالحة للعمل حالياً إلى 5 رافعات من أصل 16 رافعة مجهّز بها الرصيف الرئيس رقم 16 في المحطة لتأمين تفريغ وشحن سفن الحاويات، وناشدت الرؤساء الثلاثة التدخل سريعاً مع حاكم مصرف لبنان لتمكين الشركة المشغّلة لمحطة الحاويات BCTC من تحويل أموال من ودائعها بالعملة الصعبة إلى الموردين في الخارج لشراء قطع الغيار المطلوبة لإصلاح معدات المحطة من رافعات جسرية وآليات ومقطورات، قبل فوات الأوان والوقوع في المحظور.

واحتواء لتداعيات الغضب الشعبي المتوقّع ان يتصاعد نتيجة الارتفاع الجنوني للأسعار، انعقد المجلس الأعلى للدفاع في قصر بعبدا برئاسة رئيس الجمهورية ميشال عون الذي أوضح أن الغاية الأساسية هي البحث في الوضع الأمني، ورأى أن ما حصل أمام محطات المحروقات هو أمر غير مقبول، وإذلال المواطنين مرفوض تحت أي اعتبار، وعلى جميع المعنيين العمل على منع تكرار هذه الممارسات ولاسيّما أن جدولاً جديداً لأسعار المحروقات صدر، ومن شأنه أن يخفّف الأزمة. وأضاف عون ان إقفال الطرقات أمام المواطنين يتسبب بمعاناة كبيرة لهم تضاف إلى ما يعانونه نتيجة الأوضاع المالية والاقتصادية الصعبة، لافتاً في الوقت عينه إلى أن التعبير عن الرأي مؤمن للجميع ولكن لا يجوز أن يتحول إلى فوضى وأعمال شغب، وعلى الجهات الأمنية عدم التهاون في التعاطي معها حفاظاً على سلامة المواطنين والاستقرار العام.

بناء على كل هذه الوقائع والأزمات المعيشية والاجتماعية والخدماتية، هل ينطبق القول المأثور«إشتدّي أزمة تنفرجي» أم يكون الوضع «إشتدّي أزمة تنفجري»؟.

Volume 33 - Issue 10314 Sunday 4 July 2021

عندما تكون الهجرة هي الحل من يرحل أولا صناع الأزمة في لبنان أم ضحاياها؟

إبراهيم نوار

يعيش اللبنانيون منذ سنوات أسوأ أزمة اقتصادية في تاريخهم منذ تأسس لبنان الحديث كدولة مستقلة، وهي أزمة يصنفها البنك الدولي ضمن أسوأ ثلاث أزمات اقتصادية شهدها العالم منذ منتصف القرن التاسع عشر. ولولا إغلاق المطارات والقيود المفروضة على السفر عبر الحدود، لغادر عشرات الآلاف من الشباب الباحثين عن مستقبل فقدوه في وطنهم، بعد أن فشلت محاولات الإصلاح والتغيير. ومن المرجح أن نشهد صعودا في أعداد المغادرين لأغراض العمل والإقامة في الخارج، مع تخفيف القيود على حركة السفر بالترافق مع زيادة القدرة على وضع فيروس كورونا تحت السيطرة. آخر إحصاءات السكان الرسمية المتاحة تشير إلى أن عدد اللبنانيين المقيمين في الخارج يبلغ 2.2 مليون شخص مقابل 3.8 مليون في الداخل. ويتناقص عدد اللبنانيين المقيمين في وطنهم عاما بعد آخر. ففي خلال الفترة من 1975 إلى 2011 بلغ عدد اللبنانيين الذين غادروا لغراض الهجرة أو الإقامة في الخارج أكثر من 1.5 مليون شخص، في حين بلغ عدد الوافدين حوالي مليون شخص، معظمهم من فلسطين وسوريا والعراق. كما تظهر الإحصاءات أيضا انخفاض معدل الزيادة الطبيعية بين اللبنانيين، وهو ما أدى إلى انخفاض متوسط عدد أفراد الأسرة طبقا لإحصاء 2019 إلى 3.8 فرد مقابل 4.3 فرد في إحصاء عام 2004 بنسبة انخفاض تقترب من 12 في المئة.

هذا يعني عمليا أن لبنان يتحول تدريجيا إلى دولة «أوفشور» بكل ما يعنيه ذلك من دلالات سياسية واقتصادية. أهم هذه الدلالات أن النسبة الأعظم من الدخل القومي يتم توليدها في الخارج، وتحويلها إلى الداخل لإعالة الأسر المقيمة، وأن الإغاثة العالمية وبرنامج المساعدات النقدية للفقراء الذي يديره البنك الدولي يبلغ حوالي 6 آلاف ليرة للدولار. وهكذا فإن البنك المركزي اللبناني قد أنشأ غابة عشوائية من تعدد الأسعار في سوق الصرف الأجنبي، وهو ما يسهم في زيادة حدة الأزمة الاقتصادية، ويؤدي إلى تبخر قيمة المدخرات بالعملات الأجنبية والتحويلات المرسلة من الخارج. الأكثر من ذلك، أن البنك المركزي يفرض أيضا قيودا على السحب من البنوك بواسطة أصحاب الودائع أنفسهم، وحدد الحد الأقصى للسحب بما لا يزيد عن 400 دولار فقط كل شهر، على أن يحصل المودع على المبلغ المسحوب بالعملة المحلية، بالسعر المحدد من البنك المركزي لأصحاب الودائع وهو 3900 ليرة للدولار.

الفساد المالي

وبسبب الفساد المالي داخل البنك المركزي، والسياسات العشوائية التي يسير عليها، فإن احتياطي النقد الأجنبي القابل للتصرف انخفض إلى ما دون المليار دولار في بداية العام الحالي، بعد أن كان حوالي 2.4 مليار دولار في العام الماضي. وقد انخفضت قيمة الاحتياطي خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام الحالي إلى 16.3 مليار دولار، مقابل 19 مليارا في كانون الأول/ديسمبر و 36.8 مليار دولار في نهاية عام 2017. ويتضمن الاحتياطي حوالي 16.7 مليار دولار مستحقات للبنوك التجارية على البنك المركزي، وهي تمثل نسبة الـ 15 في المئة الإجبارية من ودائع الأفراد والشركات لدى البنوك التجارية. ويقوم البنك المركزي باستخدام الاحتياطي في تمويل احتياجات لبنان من القمح والوقود والأدوية، وهي قطاعات تسيطر عليها احتكارات قوية متشابكة مع الطبقة السياسية. ويحصل المستوردون على احتياجاتهم من العملة الأجنبية عن طريق البنك المركزي بسعر الصرف الرسمي، في حين يقومون ببيع السلع المستوردة بأسعار السوق السوداء، ويحصلون بذلك على أرباح فاحشة بمساعدة البنك المركزي اللبناني. وتعتبر تحويلات المغتربين أكبر وأهم مصادر السيولة بالنقد الأجنبي في لبنان.

ونظرا لتدهور التصنيف الائتماني السيادي، فإن لبنان لا يستطيع عمليا الحصول على قروض من الخارج، إلا إذا تمكنت البنوك من ترتيب قروض بأسعار فائدة فلكية. كما أن موارد البنك المركزي تأثرت سلبا بوقف صادرات لبنان من الخضروات والفواكه إلى السعودية، بسبب الكشف عن استخدام الشحنات الواردة من لبنان أو عن طريقه كوسيلة لتهريب المخدرات. ولذلك فإن البنك المركزي لا يملك حاليا أموالا لتمويل استيراد القمح والوقود، بعد أن كان قد أعلن التخلي عن التزامه بدعم استيراد الأدوية. هذا يفسر ظاهرة إغلاق ما يقرب من أربعة أخماس محطات الوقود في لبنان، وارتفاع أسعاره بأكثر من الثلث خلال الأيام الأخيرة. وتقاوم الطبقة السياسية اللبنانية حتى الآن فكرة اللجوء إلى صندوق النقد الدولي من أجل الحصول على حزمة تمويل لإعادة بناء الاقتصاد، لأن الصندوق يشترط تطبيق معايير الإفصاح والشفافية والمسؤولية، وهي معايير لا تحبها الطبقة السياسية، واقرار برنامج شامل للإصلاح تقوم على تنفيذه حكومة مسؤولة.

طوابير على محطات التعبئة

نظرة عامة سلبية

وتبدو الصورة العامة للاقتصاد اللبناني في وضع شديد السوء، كما أن مؤسسات التمويل والتصنيف الائتماني تضع تقديراتها للمستقبل على أساس نظرة عامة سلبية، وهو ما يصطدم مع كل أحلام اللبنانيين في تحسن الأوضاع في وقت قريب. وطبقا للتقديرات الأخيرة للبنك الدولي في بداية الشهر الماضي، فإن الاقتصاد سينكمش في العام الحالي بنسبة 9.5 في المئة، ليهبط تحت 30 مليار دولار، وهو ثالث انكماش على التوالي، بعد أن سجل انكماشا بنسبة 20.3 في المئة في العام الماضي، وبنسبة 6.7 في المئة في العام 2019. وكان البنك قد قدر قيمة الناتج المحلي للعام الماضي بحوالي 33 مليار دولار، مقارنة بنحو 55 مليار دولار في العام 2018 وهو ما يعني انخفاض نصيب الفرد الناتج المحلي بحوالي 40 في المئة خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

وقال البنك الدولي أن سعر الليرة تدهور بنسبة 120 في المئة في العام الماضي، وأن التضخم العام أكل 84.3 في المئة من قيمتها، وترتفع هذه النسبة بأكثر من الضعف في حال السلع الغذائية. ولذلك فإن البنك يرى أهمية كبيرة في استمرار برنامجه لتقديم مساعدات نقدية طارئة لما يقرب من مليون شخص في لبنان يعيشون تحت خط الفقر، أكثر من نصفهم تقريبا يعانون من الفقر المدقع. وتبلغ قيمة برنامج التحويلات النقدية العاجلة للفقراء الذي أقره البنك الدولي في أول العام الحالي 246 مليون دولار، يتم تقديمها في صورة مساعدات نقدية إلى حوالي 800 ألف مستفيد بواقع 100 ألف ليرة شهريا للفرد إضافة إلى 200 ألف ليرة شهريا لكل أسرة. ومن المقرر أن يستمر هذا البرنامج حتى نهاية العام 2023. وكان البنك المركزي اللبناني يشترط على البنك الدولي تحويل هذه الأموال عن طريقه، ثم يقوم بتسديدها إلى المستفيدين عبر الجهاز المصرفي بالسعر الرسمي 1507 ليرة للدولار، وهو ما يعتبر سرقة مفضوحة لأموال المساعدات الفردية التي تذهب للمواطنين من موارد البنك الدولي. وبسبب تدهور سعر الليرة، فإن منظمات الإغاثة والبنك الدولي دخلوا في مفاوضات مع البنك المركزي لسداد قيمة المساعدات إلى المستفيدين مباشرة بالدولار الأمريكي، لكن البنك رفض، ثم وافق في النهاية على تحويل أموال المساعدات إلى الأفراد بسعر يبلغ 6240 ليرة للدولار، وهو ما يعادل 50 في المئة أو أقل من سعر السوق السوداء، كما يقل عن السعر الذي حدده البنك المركزي عبر المنصة الإلكترونية وهو 12 ألف ليرة للدولار.

حالة الدولة الفاشلة

ويمكن القول بأن دور البنك المركزي اللبناني في دورة الدخل والانفاق على الاحتياجات هو دور يرسخ حالة الدولة الفاشلة، ويتربح من سرقة أموال المودعين وأصحاب التحويلات ومنظمات الإغاثة الدولية والبنك الدولي، لأنه يحتكر تجارة العملة عبر المؤسسات المصرفية الرسمية، وهو الذي يحدد قواعد تداولها، سواء من حيث تحديد أسعار صرف المختلفة التي تقل كلها عن سعر السوق، أو من خلال التحكم في قيمة السحب من الودائع الخاصة، وفرض أن يكون السحب هو بالعملة المحلية فقط وليس بعملة الإيداع الأصلية.

وتعتبر التحويلات الخاصة، والتحويلات الرسمية بدون مقابل، وتحويلات المنظمات وهيئات الإغاثة الدولية هي المصادر الرئيسية للسيولة بالنقد الأجنبي في لبنان في الوقت الحاضر. وتبلغ قيمة الدخل الكلي من هذه المصادر حوالي 9 مليارات دولار في العام الحالي. ويتحكم البنك المركزي في إدارة السيولة بالنقد الأجنبي، في الوقت الذي يخضع فيه رياض سلامة رئيسه، الجالس في منصبه منذ 28 عاما، لتحريات بشأن انتهاكات مالية في سويسرا وفرنسا وبريطانيا، تتعلق بتضارب في المصالح بين الثروة الخاصة لحافظ البنك وبعض أفراد عائلته وبين وظيفته في إدارة البنك المركزي اللبناني، تقدر قيمتها بنحو 330 مليون دولار. وفي الوقت الذي تقوم فيه جهات التحقيق الدولية بتتبع تلك الانتهاكات فإن رياض سلامة يمارس وظيفته آمنا مطمئنا، وينام مستريح البال، بينما يواصل ملايين اللبنانيين المغتربين إرسال تحويلاتهم لذويهم لأنهم وان كانوا قد فقدوا الثقة في الطبقة السياسية، فإنهم لم يفقدوا الأمل في أن يعود لبنان يوما كما كان ساحة للازدهار والتسامح والتحضر في العالم العربي.

الرهان الدولي على الانتخابات النيابية كفرصة لإنقاذ لبنان تحوطه مخاطر من «انقلاب كبير»

احتجاجات طرابلس

رلى موفّق

لا يدور البحث راهناً حول إنقاذ لبنان من الانهيار، بل حول كيفية التخفيف من وطأة الارتطام الكبير. فاللبنانيون يعيشون فصول الانهيار المتسارع مالياً واقتصادياً وصحياً وتربوياً، كنتيجة حتمية للانهيار السياسي والدستوري في البلاد، من دون أي أفق للخروج من القعر.

بات واضحاً من حركية المجتمع الدولي أنه يتعامل مع لبنان من موقع تقديم المعونة الإنسانية، تماماً كما يتعامل مع الدول التي تضربها المجاعة والفقر والعوز. يكفي أن يُعقد مؤتمر من أجل دعم الجيش اللبناني غذائياً للدلالة على حجم الكارثة من جهة، والتوجّه العام الدولي من جهة ثانية. تحولت المساعدات الاقتصادية، التي كان بإمكانها أن تعيد وضع البلاد على طريق الإنعاش والحياة، إلى مساعدات إنسانية بفعل غياب «الشريك الداخلي». هكذا يصّف دبلوماسي عربي معني بالملف اللبناني واقع الحال. «والشريك الداخلي» هنا، هو وجود حكومة. وتأليف الحكومة تعيقه حسابات لبنانية وما فوق لبنانية. وبالتالي، فإن الدرب مقفل أمام الحلول.

تتداخل الحسابات الداخلية بتلك الخارجية وتتشابك وتتماهى مع بعضها البعض. تقوى حيناً لعبة التموية وتخفت حيناً آخر. من يمكنه، على سبيل المثال، أن يُصدّق أن كل الذل الذي وصل إليه اللبناني، واستعصاء تأليف الحكومة سببه طموحات شخصية لجبران باسيل صهر رئيس الجمهورية في الوصول إلى سدة الرئاسة خلفاً لعمه ميشال عون؟ باسيل الذي أعلن أنه يخوض معركة حقوق المسيحيين، رافضاً أن يُسمّي رئيس الحكومة المسلم السني وزيرين مسيحيين، محولاً عملية توازنات وزارية إلى مس بالدستور والتوازنات الوطنية. ومن يمكنه أن يُقِّر أن «حزب الله» يبقى متفوجاً لو لم يكن له مصلحة في الإبقاء على «الستاتيكو السياسي»؟.

لا يطيب لدبلوماسي عربي ربط الاستعصاء اللبناني بحسابات خارجية. برأيه أن «المشكلة داخلية بشهادة كل الأطراف اللبنانيين». يقول: «إن هناك من يريد أن يُحصّل مكاسب على جثة لبنان. ولم يعد ترفاً البحث عن ذرائع من خارج الحدود، فذلك شراء وقت ما عاد أحد يملكه، ومن أضعف الإيمان أن تتم تسمية الأشياء بأسمائها.»

هذه القراءة تذهب إلى أن الواقع اللبناني لا ينتظر حسم الجدل حول جنس الملائكة، فإما تشكيل حكومة ولو في الساعة الأخيرة من أجل إدراة الارتطام والتخفيف من آثاره الصعبة لإعادة هيكلة الاقتصاد أو أن الواقع سيفرض إعادة الهيكلة إنما بالآليات الوحشية للاقتصاد التي تفرض التوازن غير الإنساني. فتعريف الانهيار هو الوصول إلى التوازن بأكثر الطرق وحشية، بمعنى أن الاقتصاد لا ينتظر السفسطة السياسة في ظل عدم وجود حكومة يفترض أن تكون وظيفتها التخفيف من الأعباء. ستتحكم بربرية آليات السوق. سيموت الناس أم لنقص في الطعام أو الدواء، أو لعدم القدرة على شرائهما.

فعلى عكس ما كان يظنه اللبنانيون من أن العالم لا يدير ظهره للبنان، فقد حصل هذا الأمر، بفعل تغيّر موقعه الذي لم يعد الرئة المالية للمنطقة، ولا عاد هو خط التماس الأساسي للصراع الدولي. هو أضحى أصغر ساحة صراع في منطقة ملتهبة بالصراعات، وهو أقلها كلفة. هذا الموقف تُعبّر عنه دول لا تزال تنطلق من أن حماية لبنان هي جزء من حماية أمنها القومي والأمن القومي العربي.

ما هو جلي أنه يتم التعاطي مع لبنان دولياً من المنظور الإنساني، يتم مده بالمساعدات الإنسانية للناس من أجل تخفيف وطأة المعاناة، التي ستؤدي إلى فوضى مجتمعية، ويتم دعم الجيش والمؤسسات الأمنية بالمساعدات المطلوبة لضمان بقائها من أجل المساعدة على التخفيف من وطأة البوربرية أو الفلتان الذي سيحصل.

هو واقع باق حتى موعد الانتخابات النيابية في ربيع 2022، حيث الرهان الدولي على أن تفرز الانتخابات النيابية المقبلة تبدلاً في موازين القوى السياسية عن طريق صناديق الاقتراع بما يؤدي إلى الخروج من حالة التعطيل السياسي الحالي. هذا معناه عملياً أن المجتمع الدولي ينتظر أن تتغير المعادلة السياسية بحيث تنتقل الأكثرية من ضفة إلى أخرى. الأكثرية اليوم بيد تحالف يديره «حزب الله». والعامود الأساسي في هذا التحالف هو رئيس الجمهورية وتياره السياسي، الذي يحظى في البرلمان بالكتلة الأكبر التي تقوم في جانب منها على تضخيم متعمد بفعل الحاجة إلى الدور السياسي الذي تقدمه.

فـ«حزب الله»، رغم كل قوته العسكرية وسلاحه، ما كان قادراً على خلق كل هذه التحولات من دون شريك داخلي قوي أمن ٌله الغطاء السياسي، بغض النظر عما إذا كان هذا الشريك يُؤمن بالمشروع السياسي للحزب وللمحور الذي تقوده إيران أم لا. كان عون يبرر أمام بيئته تحالفه مع «حزب الله» بأنه يحميها من خطر هذا الحزب عليها، قبل أن يكون يحميها من خطر الآخرين عليها، والذي حمل عنواناً لاحقاً هو «الإرهاب السني».

الرهان الدولي يحمل في طياته هدفاً يقوم على تغيير موازين القوى السياسية اللبنانية، ما يطرح سؤالاً جوهرياً عمّا إذا كان «حزب الله» سيكون مسهلاً لعملية إضعافه عن طريق إضعاف حليفه المسيحي الأول. هل الحزب في وارد خسارة سيطرته على القرار اللبناني بعدما أخضع خصومه ترغيباً وترهيباً؟ الحزب ينتظر تطورات المنطقة التي هي في خضم تحولات جيوسياسية، مع قرار الولايات المتحدة الأمريكية بالخروج من الشرق الأوسط. هو جزء من محور يريد أن يملأ الفراغ الذي سيحدثه الانسحاب الأمريكي والذي سيكون للصين وليروسيا مكان فيه. لا تقف حساباته عند المصلحة اللبنانية بل عند ما يؤمنه لبنان من مصلحة لمشروعه العقائدي والسياسي الأكبر، والذي يراه على طريق تحقيق مزيد من الانتصارات اليوم مع وجود الحزب الديموقراطي في «البيت الأبيض» الذي سيعود إلى الاتفاق النووي مع إيران. وقد بدأ مسار رفع العقوبات عنها. يدرك «حزب الله» أن إيران في زمن إبراهيم رئيسي المتماهي مع الحرس الثوري ومع المرجعية الدينية ستكون أكثر إصراراً على ما نفوذها في الإقليم وتكريسه. تعمل إيران وأذرعها العسكرية على خلق وقائع على الأرض بغية تحولها حاجة ستتكىء عليها واشنطن لحماية مصالحها حيث تنسحب وستتشارك وإياها حيث تبقى.

فقد بدأت أحاديث تتسرب من كواليس قريبة من «حزب الله» عن إمكانية عدم حصول الاستحقاقات الدستورية النيابية والرئاسية في مواعيدها الطبيعية. وبالتالي، ليس من الصعب خلق الظروف من أجل أن يصبح خيار التأجيل واقعاً معمولاً به من قبل كل الفرقاء الداخليين، حتى وإنْ كان التوجّه الدولي، الذي أفضى إليه الاتفاق الأمريكي– الفرنسي– السعودي عقب اللقاء الثلاثي في روما، يقضي بالعمل على منع أي محاولات تأجيل لبنانية للاستحقاقات الدستورية. هذا التوجه بحد ذاته هو ما سيقلق «حزب الله» في القريب الآتي، وسيكون عليه العمل على فرض تحالفات قادرة على إعادة انتاج نفس التوازنات السياسية التي توفر له إحكام قبضته على البلاد، وإلا اللجوء إلى سلاح التعطيل لفرض تعديلات جديدة، دستورية أو سياسية أو ميدانية، تكون بمثابة «انقلاب الكبير».

لبنان الذي أضحى في قلب الانهيار وعلى مشارف الاندثار هو في حضرة قوى سياسية إما عاجزة وخائفة على مصير جماعتها أو متواطئة، وفي حضرة شعب لا يعرف الكثير عن بعضه البعض. اللبنانيون عالقون بين ماض يؤمنون أنه كان عريقاً وبين حاضر يرونه قاتماً وبين مستقبل يريدونه زاهراً على شاكلة النهايات الجميلة في الأفلام، ولكن كثيراً ما لا تتحقق تلك النهايات.

في لبنان نخبة لا تريد إصلاح نفسها تتاجر بويلاته وتتمادى في تركيع أهله وتجويعهم

رحلات سياحية يؤديها الجيش

إبراهيم درويش

بات كل شيء يأتي من لبنان يثير القلق ويدعو على الحزن والأسى، فما نراه في الأخبار وما ينشر من صور تعطي صورة أن لبنان الذي نراه ليس لبنان القديم، فقد تغير البلد وتغير سكانه، ففيه جيل يحن للتغيير ويريد الخروج من شرنقة الطائفية ودول الطوائف التي تحكمه منذ عقود، وهو جيل حاول الثورة في 2019 ونجح بتغيير الحكومة لكنه لم يكن قادرا على تغيير البنى السياسية التي انتجت النخبة الحالية، وهذه ليست مشكلته وحده، فهي مشكلة كل التجارب العربية في العقد الأخير التي ثارت على القمع والطغيان لتجد نفسها أمام نظام متمرس لا يريد التخلي عن مكتسباته بل وزاد شراسة.

عندما أصبحت الأساسيات كماليات

ولكن حال لبنان بات يعرف بالأرقام وطوابير الوقود التي تمتد على أميال، والفقر الذي طال الجميع حتى الطبقة المتوسطة. وأصبح يعرف بالشكوى من التضخم العالي وعدم توفر التيار الكهربائي ونقص الأدوية والإمدادات الطبية بشكل ترك الأمراض الخطيرة بدون علاج، ووسط انتشار كوفيد–19 الذي أضاف إلى معاناة البلد.

وبالنسبة لأصحاب البيوت فقد باتت الكهرباء والاحتياجات الأساسية والإنترنت والأدوية أمرا بعيد المنال، لكن معاناتهم لم تترك إلا أثرا قليلا على الساسة الحريصين على استمرار نظام الرعاية القائم على المحاصصة الطائفية والذي قوض الحكم في البلاد وعلى مدى العقود الماضية. وفي لعبة الأرقام، والأرقام لا تكذب، يبدو لبنان يسير نحو الهاوية، فقد اعتبره البنك الدولي واحدا من ثلاث أزمات كساد عالمي حدثت منذ منتصف القرن التاسع عشر. وفي تقرير أشار فيه إلى أن ناتج الدخل الإجمالي انخفض بنسبة 40 في المئة في الفترة ما بين 2018– 2020 وزادت معدلات البطالة من 28 في المئة في شباط/فبراير 2020 إلى 40 في المئة في كانون الأول/ديسمبر 2020. ووصل سعر الليرة اللبنانية في السوق السوداء إلى 17.000 ليرة مقابل الدولار الأمريكي الواحد. وانخفضت البضائع المستوردة بنسب 45 في المئة حيث أجبر التضخم العملة المتداولة إلى الإرتفاع بنسبة 197 في المئة. فالأسعار تتزايد بشكل مستمر وطوابير الوقود تمتد على أميال، فيما قرع الجيش اللبناني الذي لم يعد يحرس حدودا حساسة ويحافظ على السلم في مجتمع منقسم فقط بل وقرعت أجراس الخطر من تفككه بسبب الضغوط المالية على الجنود. والمفارقة أن الجيش اللبناني بات يسير رحلات سياحية على متن مروحياته، بسعر التذكرة 150 دولارا في رحلة من ثلاثة أفراد، حيث تحلق الطائرة فوق لبنان المحطم ويرى محبو الطيران المرفأ المدمر وبلدا منهكا بات يتقاتل على الخبز وينقصه الدواء. وجاءت خطوة الجيش ردا على التضخم العالي الذي أصبحت فيه القدرة الشرائية للجندي اللبناني 100 دولار أو أقل وليس800 دولار، بعدما فقدت الليرة نسبة 90 في المئة من قيمتها أمام الدولار.

وبحسب البنك الدولي فقد انكمش الاقتصاد اللبناني من 55 مليار دولار في 2018 إلى 33 مليار دولار العام الماضي. ويقدر أن نسبة 55 في المئة من سكان لبنان يعيشون تحت خط الفقر. بل وحذر برنامج الغذاء العالمي، بداية العام الحالي أن لبنان بات عرضة للمجاعة.

المخاطر الإقليمية لانهيار لبنان

ولا تقتصر المخاوف من فشل لبنان، نظرا لعدم موافقة النخبة مساعدته على انقاذ نفسه على البلد، بل وعلى المنطقة التي تعاني منذ 2011 من حروب وتقلبات وانقلابات وأوبئة وحراك سكاني على قاعدة واسعة. وقد تحاول الدول الكبرى التقليل من أزمة لبنان في ظل الأولويات الدولية واهتمام معظم القوى بمكافحة كوفيد–19 أو تغيير مسار السياسة كما هو الحال مع الولايات المتحدة والتصدي لصعود الصين، لكن الوقوف في صف المتفرجين سيترك آثاره الكبيرة على لبنان وسوريا التي تتداخل أزماتها معه. وفي مقال نشره موقع «ناشونال انترست» (2021/6/28) ناقش أن انهيار لبنان سيقود إلى سلسلة من الأحداث التي قد تزعزع استقرار المنطقة، فكما حدث في سوريا، فستجد الجماعات اللبنانية وبدعم خارجي نفسها في مواجهة بعضها البعض في نزاع سينتقل أثره إلى الخارج. وسيؤدي تفكك الدولة إلى تحطيم التحالفات المحلية القائمة على خدمة الذات والتي لن تظل قائمة حالة انهيار الدولة. وسيتحول النهج القديم في تحميل الخصم اللوم إلى العنف. وسيترك هذا أثره السلبي على المجتمع اللبناني والجهود لتأمين استقرار المنطقة كما بدا من الاتصالات الأخيرة بين إيران والسعودية. وسيجد العالم نفسه أمام موجة جديدة من التشريد اللبناني، وهو الذي رفض وعلى مدى العشر سنوات الماضية موجات من اللاجئين السوريين.

خطيئة فرنسا

ورغم المحاولات التي قام بها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للضغط على النخبة اللبنانية إلا أن المشاركة الفرنسية تظل في الحد الأدنى، وطالت النخبة اللبنانية التي تعتبر أساس المشكلة، ولم تتراقف محاولات الضغط على القادة اللبنانيين الحريصين على بقاء الوضع الراهن بما فيه من محاصصة طائفية ومحسوبية وفساد، مع التواصل مع قطاعات الشعب اللبناني وقوى المجتمع المدني التي استطاعت في تشرين الاول/أكتوبر 2019 إجبار حكومة على الاستقالة. وفي تقرير بمجلة «فورين بوليسي» (2021/6/23) قالت فيه أنشال فوهرا إن فشل خطة إنقاذ لبنان يتحمل جزءا منها الرئيس ماكرون. فلم يتحقق أي شيء من المبادرة التي أطلقها بعد زيارته بيروت العام الماضي بهدف تخليص لبنان من مشاكله المتعددة. ورأت أن التدخل الإيراني والخلاف مع الولايات المتحدة حول كيفية التعامل مع حزب الله، كانت سببا في موت المبادرة الفرنسية. إلا أن المشكلة الرئيسية في المبادرة أنها قامت على نفس الطبقة السياسية المتهمة بالكوارث التي يعاني منها لبنان اليوم. وكان رفضها القيام بإصلاحات سببا رئيسيا في انهيار الخطة الفرنسية. ولعب التردد الفرنسي بفرض العقوبات على النخبة السياسية لكي تدفع الثمن عوضا عن مناشدتها لكي تفعل ما فيه صلاح البلد دورا في دمار المبادرة. وكان ماكرون أول رئيس يزور لبنان بعد الانفجار الكارثي الذي ضرب مرفأ بيروت في آب/أغسطس 2020 حيث قوبل بترحاب وأمل في حي الجميزة ومار ميخائيل ببيروت، ثم عاد مرة أخرى في أيلول/سبتمبر وطلب من النخبة تشكيل حكومة تكنوقراط بمدى أسبوعين وانتخابات مبكرة وإصلاحات في قطاع الكهرباء. وكره الساسة في لبنان فكرة تشكيل حكومة جديدة، علاوة على انتخابات مبكرة أو تقديم آلية محاسبة، وهي ضرورية من أجل التفاوض على حزمة إنقاذ مع صندوق النقد الدولي. وقضى الساسة الوقت وهم يتجادلون حول مناصب الحكومة التي يجب أن تذهب للجماعات الوكيلة، حتى يظلوا يصدرون القرارات وهم خارج الحكومة. واستقال حسان دياب بعد التفجير لكنه لا يزال رئيس حكومة تصريف أعمال. وتم تكليف سعد الحريري في تشرين الأول/أكتوبر بتشكيل الحكومة لكنه يجد معوقات دائمة، فهو يتنقل إلى قصر بعبدا، مقر الرئيس لكي يحصل على موافقته على التشكيلة الحكومية حسبما يقتضي الدستور. وأشارت إلى العراقيل التي توضع أمام تشكيل حكومة جديدة، وبخاصة من صهر الرئيس ميشيل عون، جبران باسيل الذي عاقبته الولايات المتحدة بتهم الفساد، ولكنه طامح للجلوس في معقد صهره. ويتهم باسيل بأنه يعمل لمصلحته السياسية وليس مصلحة البلد. وبات عدد من الساسة والمحللين في لبنان غاضبين من تأثير جبران على الرئيس والشروط التي تفرض لتشكيل الحكومة التي قال سياسي لبناني أن أي رئيس وزراء «في كامل عقله» لن يقبل بالعمل في حكومة يمارس عليها حزب الفيتو.

ومن المفارقة أن النخبة التي حمتها فرنسا هي من تقوم بتخريب مبادرتها. وتقول فوهرا إن ساسة لبنان يقومون بمعركة أعصاب مع الفرنسيين حتى تصبح الأمور في حالة سيئة ويشعر الفرنسيون أنهم مجبرون أخلاقيا للتدخل والمساعدة. وأمام المأزق اللبناني أعلنت فرنسا قبل شهرين عن عقوبات على لبنانيين بتهم الفساد ومحاولة منع جهود تشكيل الحكومة، لكنها لم تكشف عن أسمائهم. وهي عقوبات مخففة وتشمل على منع السفر إلى فرنسا فقط. ولوحت عدة دول بورقة العقوبات غير النخبة اللبنانية التي ترفض القيام بالإصلاحات الضرورية أو اتخاذ الخطوات لتخفيف المعاناة المتفاقمة يوميا على الشعب اللبناني. وقال ديفيد غاردنر في صحيفة «فايننشال تايمز» (2021/6/23) إن قيام أوروبا والولايات المتحدة فرض عقوبات على لبنان ضرورية حتى تستفيق طبقته السياسية للواقع الصعب. وأضاف إن توافق طبقة أمراء الحرب الأهلية السابقين على حكومة لن يحدث فرقا على حياة اللبنانيين. واتهم النخبة الحاكمة بخنق الاقتصاد وعدم اهتمامها بمصلحة البلد. فـ «المافيا الطائفية محصنة بمليارتها التي حصلت عليها بطرق غير مشروعة وعلى حساب البؤس والجوع الذي يعاني منه الفقراء أو الطبقة المتوسطة الغارقة التي صودرت ودائعها في المصارف الحق في سرقة مصادر بلد يستورد معظم طعامه وعلاجه، ولديهم مهارة في المماطلة. فالتحقيق في انفجار بيروت يتوقف كلما أعلن قاض عن تحرك يمس طرفا حيث تتحرك أطراف أخرى لحمايته وإفشال مهمته، خشية الكشف سقوطها معه. وهو ما لاحظته صحيفة «نيويورك تايمز»(2021/7/2) عندما ناقشت الخطوات التي اتخذها قاضي التحقيق الجديد طارق بيطار، فهو الأخير الذي يعين في الجهود غير الناجحة لتحديد المسؤول عن الانفجار الكارثي.

حوار

الكاتب والباحث الجزائري أحمد دلباني:
ينتظرُنا عمل كبيرٌ للتأسيس لتاريخ تضامني بين الشعوب بعيدًا عن «جدار برلين» الإيديولوجي- التاريخي

يرى الكاتب والباحث الجزائري أحمد دلباني، أن التاريخ سيبقى دائما في موضع مساءلة كلما واجه عالم اليوم مشكلات تتعلق بالعيش المشترك والإعداد للمستقبل، على غرار حادثة مقتل جورج فلويد بالولايات المتحدة والنقاش الذي خلفته عالميا حول تاريخ العبودية ونفس الأمر مع تاريخ نابليون بونابرت بفرنسا، مشيرا إلى أن التاريخ الإمبراطوري أصبح اليوم في موضع مساءلة من طرف المستعمرات القديمة التي ترفع مطالب كالحق في الاعتراف واحترام ذاكرة العذابات.

وتوقف دلباني في حوار مع «القدس العربي» عند الجدل الذي خلفته تصريحات النائب الجزائري السابق نورالدين أيت حمودة نجل العقيد عميروش أحد أبرز القادة التاريخيين للثورة، بسبب تخوينه لرموز تاريخية من بينها الأمير عبد القادر، واعتبر أن التعامل مع قضية استسلام الأمير عبد القادر لا يمكن النظر إليها إلا من خلال البحث والتقصي التاريخي لأسبابها العميقة لا من خلال إهدار البُعد التاريخي ومشروطيتها السوسيو – سياسية، أو من خلال الاندفاع السياسوي الواضح الذي تمليه أجندات حزبية ضيقة، ودعا في السياق إلى ضرورة تحرير التاريخ من إرادة استخدامه لأغراض لا تخدمُ المعرفة العلمية الموضوعية.

وأحمد دلباني كاتب وباحث جزائري مهتم بقضايا الراهن الحضاري ومشكلات الإبداع والفن صدرت له العديد من المؤلفات.

حاوره: رضا شنوف

○ هل تقتصرُ حرب الذاكرة على الدول التي عرفت مراحل استعمار في تاريخها؟

● هذا صحيحٌ إلى حدٍّ بعيد. فالتاريخ الأمبراطوري وجد نفسه لاحقا في مواجهة مكوناته العرقية والثقافية المركبة التي رفدتها مستعمراته السابقة وشكلت قوة العمل الرئيسية فيه فضلا عن الثقل السياسي والثقافي الذي مثلته وأصبح يجهرُ بمطالبه الحقوقية ومنها الحق في الاعتراف واحترام ذاكرة العذابات. لقد لاحظنا منذ سنةٍ تقريبا – بعد وفاة المواطن الأمريكي ذي الأصول الأفريقية جورج فلويد اختناقا على يد شرطي – كيف أنَّ هبَّة عالمية انتصرت للضحية، بصورةٍ مدهشة، وتولدت عنها مطالب بضرورة مراجعة التاريخ وتحطيم تماثيل الشخصيات القومية والتاريخية التي كان لها دورٌ واضح في الاستعباد وتكريس اللامساواة والاضطهاد والتمييز العنصري في التاريخ الغربي الحديث. رأينا هذا، بالطبع، في الولايات المتحدة نفسها وفي الضفة الأخرى من الأطلسي أيضا أعني في انكلترا وفرنسا بالأخص.

كان الأمرُ ذا دلالة بالغة وقد دفع بالنقاش بعيداً في هذه البلدان ذات الماضي الاستعماري إلى طرح مشكلة السرديات الوطنية التي أصابها انشقاقٌ في العمق ولم تعُد ذات قدرة على توحيد الوعي بالانتماء إلى الأمة الواحدة. فبعضُ صفحات التاريخ لم تعُد مرجعية تؤسِّسُ للافتخار بالأمجاد القومية انطلاقا من وعي نقدي وتفكيكي حديث كشف عن تمركزها الثقافي وانحيازها العرقي وممارساتها المُستهجَنة وغير الإنسانية. في مقابل ذلك انتدب فلاسفة غربيون أنفسَهم – نظير لوك فيري أو باسكال بروكنر – للدفاع عن التاريخ الغربي، رغم المثالب الكثيرة، مركزين في العموم على كونه تاريخا تميَّز – لا بالاستعباد والبربرية الاستعمارية فحسب – وإنما أيضا بعتق العبيد وتحريرهم والتمكين للقيم الإنسانية الحديثة شيئا فشيئا منذ «عصر الأنوار». لقد تحدث، مثلا، الفيلسوف الفرنسي آلان فنكلكروت أثناء دعوته في بيان دبَّجه في ذات السياق إلى «ضرورة عدم المساس بالتاريخ الفرنسي والحضارة الغربية»، مُنبِّها إلى أنَّ «الثقافة الغربية هي وحدها التي عرفت ألمَ الشعور بالذنب» وإلى أنَّ الحضارة الأوروبية تملك وحدها أيضا «القدرة على وضع نفسها موضع تساؤل ومراجعة» مطالبا بعدم إسقاط هواجسنا وهمومنا النضالية الراهنة على الماضي. هذا يعني أنَّ مسائل التاريخ ستبقى دوما موضع استعادة وإعادة نظر كلما أفصح الحاضر عن بعض مشكلاته المتعلقة بالعيش المشترك والإعداد للمستقبل والتأسيس لحياة عامة ذات مرجعيات قادرة على احتضان تطلعات الجميع إلى الحرية والعدالة والمساواة والاعتراف.

لا يفوتني هنا، على سبيل التمثيل أيضا، أن أذكر ما عرفته فرنسا قبل نحو شهر خلال الذكرى المئوية الثانية لوفاة نابوليون بونابرت وكيف انقسمت النخبُ السياسية والثقافية والمجتمع المدني حول الموقف من هذه الشخصية الفرنسية الإشكالية والتي ظلت مدار إعجاب واستهجان كبيرين جداً منذ قرنين. لقد تجنب الرئيس ماكرون الاحتفال بهذه المناسبة وفضل إحياء الذكرى للاعتبار فقط، مُعتبراً نابوليون إرثا فرنسيا قدَّم الكثير لفرنسا ما بعد الثورة باعتباره قائدا عسكريا ومُشرِّعا ورجل دولة، ولكنه «خان روح الأنوار» بحسب تعبيره عندما نصَّب نفسه أمبراطوراً وأعاد العمل بنظام الرق والاستعباد في المستعمرات الفرنسية بعد أن ألغتها الثورة الفرنسية. ما أردت أن أقول هو أنَّ الحاضر يجب أن يولد فينا شجاعة مجابهة التاريخ ومسؤولية النظر إليه بمعزل عن لعبة التقديس والتوثين المجانية التي قد تخدشُ ذاكرة الأجيال اللاحقة في مجتمع متعدد لا يستقيمُ حاله ولن يعرفَ استقراراً إلا بالاعتراف بكل مكوناته مع ضرورة احترام ذاكرة الضحايا وخَلفِهم من الأجيال اللاحقة.

○ في أي نطاق يمكن أن نصنف الجدل الأخير الذي خلفته تصريحات النائب السابق نورالدين آيت حمودة حول شخصيات تاريخية جزائرية على غرار الأمير عبد القادر؟

● يُعتبرُ الأميرُ عبد القادر الجزائري – دون أدنى شك – شخصية كاريزماتية عظيمة على أكثر من مستوى. كما أنه يحظى بتقدير الجزائريين جميعا لارتباط اسمه ببداية المقاومة الشعبية المنظمة لجيوش الاستعمار الاستيطاني الفرنسي. وبالتالي فهو، من هذه الزاوية، يُعتبرُ رمزا من الرموز التي رأت الدولة الوطنية الناشئة منذ الاستقلال أن تستثمرَ باعتبارها كيانا سياسيا موحداً أو إقليما متجانسا يملك إدارة مركزية. فإسقاط هموم الحاضر الإيديولوجية والمساعي السياسية الراهنة على الماضي يُفسدُ التعامل مع الذات الجماعية، وقد يوقظ أشكالا من التضامن سابقة على انبثاق الدولة الوطنية الحديثة ونضالي؛ ومن هنا أرادت أن تلملمَ شتات الذاكرة من أجل أن تصنع منها سردية وطنية واحدة توَّجتها حربُ التحرير بالمعركة النهائية ضدَّ المحتل الفرنسي. نحن نفهمُ جيداً حاجة الجزائر إلى رواية تجعل منها وريثا شرعيا للروح القومية الوطنية وعبقريتها عبر التاريخ. فمن المعروف أنَّ الدولة الوطنية الحديثة، شرقا وغربا، اجتهدت في إنتاج وهم الاستمرارية التاريخية لـ«الذات الخالدة» من خلال سرديات رسمية تجعل منها كيانا ثابتا ومستمراً في التاريخ منذ لحظات الولادات المقدسة على يد الأبطال أو «الآباء المُؤسِّسين». هذا الأمرُ واضحٌ ومفهوم وهو يشكل جزءا من ديماغوجية السياسة في «الدولة الوطنية» منذ عصر الهيمنة؛ ولكنَّ هذا الأمر يجب ألا يتجاوز حدودَ الاعتداد القومي الطبيعي من دون أن يقعَ في شرَك التخوين والنبذ والتضييق على الحريات المتعلقة خصوصا بالبحث التاريخي أو بمطالب التغيير التي يُفصحُ عنها الحاضر عندما يُنازعُ السلطة أحقيتها في احتكار الشرعية إن بدا أنها بدأت تتآكل ولا تمثل مجمل تطلعات الشعب الديمقراطية في لحظة من لحظات التاريخ. إنَّ للرموزَ قُوَّتها وجبروتها باعتبارها مَعينا للشرعية السياسية خاصة إن تمتَّعت بنوع من القداسة كما هو سائدٌ عندنا. ولكن هل يمكنُ للمؤرخ والمفكر النقدي مثلا أن يمتنعا عن زيارة التاريخ ومساءلته بمعزل عن القداسة المكرّسة سلطويا وشعبيا وثقافيا؟ هل يمكن للبحث التاريخي العلمي وللتأمل الفكري النقدي عندنا أن يسترجعا حقوقهما من خلال تحرير العقل من أسيجة السرديات المهيمنة التي تحتكرُ «الحقيقة الرسمية» وبصورة فجة منذ عهد الأحادية الإيديولوجية؟ إنَّ التقديس وحق العقل في المراجعة وإعادة تأسيس المعرفة بالماضي يسيران على دربين متوازيين. ولكنني أستدرك، هنا، كي أشيرَ إلى أخطر ما يتهدَّدُ الحرية الفكرية من الجهات التي تحتكرُ الحقيقة الرسمية الديماغوجية؛ أعني بذلك التخوين. فالتخوين آلية بدائية تُضمرُ إرادة نبذ الآخر واستبعاده

واعتباره غير شريك في بناء تصورات مشتركة عن المستقبل. التخوينُ، في كلمة، آلية ردعية في يد من لا يملك أبجديات الثقافة الديمقراطية القائمة على التعدد والحوار والنقاش في الشأن العام وخاصة في العالم الشمولي الأحادي إيديولوجيا من جهة، و«العالم الثالث» الذي حكمتهُ الأنظمة العسكرية منذ استقلال الكيانات الوطنية في النصف الثاني من القرن المنصرم من جهة أخرى. قد رأينا – من خلال الأمثلة التي ذكرتها آنفا – كيف أنَّ الغرب لم يتصلب أمام قضية النظر إلى التاريخ وجها لوجه دون عُقد وهذا تحت إلحاح الحاضر ومطالبه الحقوقية والسياسية والأخلاقية من أجل عيش مشترك يتمُّ فيه تحمل مسؤولية الماضي لا إدارة الظهر له.

أعود إلى قضية الأمير عبد القادر. لقد رأيتُ أنه من المُخجل فعلا أن تصدرَ تصريحاتٌ عن نائب جزائري سابق يتهمُ فيها الأمير بالخيانة والعمالة لفرنسا وينتقصُ من شأنه بصورة متشنجة وغوغائية وغير دقيقةً نوعا ما. فمن السهل أن نلاحظ غيابَ الموضوعية في الحكم على هذا الرجل العظيم انطلاقا من إسقاط مفاهيم واعتبارات معاصرة على واقع آخر يعودُ إلى نحو قرنين من الزمن يوم لم تكن الجزائر موجودة باعتبارها كيانا سياسيا موحداً كما لاحظنا مؤخرا، وإنما يجب أن يكون مناسبة لترميم الوعي المشطور إيديولوجيا ولفضح إيديولوجيات الإقصاء والتمويه ومزامير الاستمرارية والوحدة المزعومة التي تختزل فسيفساءَ الهوية في الصوت الواحد والموقف الواحد. علينا العمل دائما على تحرير التاريخ من إرادة استخدامه لأغراض لا تخدمُ المعرفة العلمية الموضوعية والحقيقة المغيَّبة وتجعله أداة سلطوية أو جدولا صغيرًا يضمنُ لطواحين الهيمنة والسيطرة أداءَ عملها بإحكام.

○ السلطات اتخذت إجراءات ردعية من قبيل تعليق بث القناة التي أذاعت الحوار المثير للجدل؛ في حين أعلنت وزيرة الثقافة عن إحياء إنتاج فيلم حول الأمير عبد القادر، هل ترى أن مثل هذه الإجراءات كفيلة للتخوين ويؤخذ على أساس أنه بمعالجة مثل هذه القضايا؟

● لا يمكنني أن أغتبط بإجراءٍ سنَّ قوانين ردعية تجرجرُ إلى المحاكم كل من يُدلي بتصريح يتعلقُ بالتاريخ الوطني أو الشخصيات الأثيرة. فالأفكارُ والمواقف لا مكان لها أمام القضاة وإنما في فضاء النقاش العام وبين أيدي الباحثين والمفكرين المستقلين عن سلطة الترميز التي تردَّ السلطة القمعية الفعلية. إنَّ ما يجبُ أن يكون مدارَ متابعة قانونية وقضائية هو الجهرُ بالنزوع العنصري والدعوة إلى الكراهية والعنف أو التمييز بين الجزائريين على أسس واهية. إنَّ هناك خيطا رفيعا بين المنع السياسي والمنع القانوني – الأخلاقي. ولنا، باعتبارنا جزائريين، أن نتذكر كيف أنَّ مجرد ذكر أسماء مصالي الحاج أو فرحات عباس أو كريم بلقاسم– رغم أهميتهم التاريخية العظيمة في مسار الحركة الوطنية وحرب التحرير – كان يجلب المتاعب والمضايقات إبان الستينات والسبعينات. فهل استوعبنا الدرس الحضارية للمُنتصر. إنَّ علينا، في هذه المرحلة، أن نُعيدَ قراءةَ التاريخ نقديا بمعزل عن كل أشكال المانوية الأخلاقية التبسيطية التي سرعان ما تتورَّط في تبرير ممارسات الماضي أو شيطنتها بحسب المتوسط المفضلا أن يرفعَ قدَّاسا جنائزيا لذكرى الفرادیس المفقودة عوض التحلي بفضيلة الاعتراف وإعادة التأمل الفلسفيّ في علاقة قايين بهابيل أو الجلاد بالضحية. إنَّ ضغط الذاكرة لا يزال حيا وقويا في جهتي المُتوسط؛ وفي اعتقادنا أنَّ ترميمَ ذلك الأمر بين الضفتين يتطلبُ وقتا واعترافا من الجلاد التاريخي بسقوطه الأخلاقيّ والفكري والسياسي منذ حادَ عن قيم التنوير الحقيقية زمن الحداثة التي بوَّأتْ مكانا عليا في نظام الحضارة الحديثة. لا يزال ينتظرُنا عمل كبيرٌ من أجل الملمة أوصال التاريخ المتوسِّطي والتأسيس لـ «تاريخ تضامني بين الشعوب» بعيدًا عن «جدار برلين» الإيديولوجي / التاريخي كما حلم بذلك، ذات تأمل إنسانويٍّ مُنفتح، البروفيسور الجزائريُّ الرَّاحل محمد أركون.

○ هل يمكن القول إن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو وجه من أوجه حروب الذاكرة في عالمنا اليوم؟

● لقد أتيحَ لي أن أكتبَ عن هذا الأمر قبل سنوات خلت عندما تناولت عمل صديقي الأستاذ أدونيس «كونشيرتو القدس» الصادر سنة 2012. لقد كان هذا العمل الإبداعيُّ البوليفوني دعوة إلى ضرورة تحرير ذاكرة القدس من الصراع الذي جسَّدته الوحدانياتُ الدينية باعتبارها رؤى مغلقة لا يمكنها أن تحبل إلا بنبذ الآخر واستبعاده من دائرة الخلاص. فالقدس، بهذا المعنى، ليست مدينة محتلة عسكريا من قِبل الدولة العبرية الصهيونية فحسب وإنما هي مدينة يحتلها تاريخها الخاص أيضا. فالرؤية الدينية المغلقة لدى الوحدانيات جميعا لم تؤسِّس إلا لنسف الجسور مع الآخر المختلف والدعوة إلى الانغلاق المذهبي الذي يكرس الانشقاق والتنابذ وعدم التمكين الثقافي والفكري والسياسي لفضاء مدني عام مُشترك للجميع. من هنا يمكننا أن نقول فعلا إنَّ القدس، انطلاقا من هذه الاعتبارات، تمثل «مدينة الله» التي ظلت عائقا أمام إمكان انبثاق «مدينة الإنسان». هذا لا ينفي، بطبيعة الحال، همجية الاحتلال الصهيوني القائم على أساطير دينية مؤسِّسة برمجت لتشريد الشعب الفلسطيني من قبيل «الأرض الموعودة»؛ ولكنَّ مدينة القدس في واقع الحال ظلت مدينة نموذجية لحروب الذاكرة التي ترفدُ حروب الحديد والنار والاستيطان. ظلت السماءُ تملي شرعية الاحتلال وأحقية امتلاك الأرض وتهجير العربي الفلسطيني على الأرض المريضة الكسيحة أمام مطالب العدالة والحرية والكرامة والمساواة. هذا ما يُبيِّنُ كيف أنَّ الذاكرة تمتلك، فعلا، سطوة وجبروتا يكونان جاهزين دوما للاستثمار سياسيا وعسكريا. من هنا لا سبيل إلى تحرير الحاضر من صراعاته إلا بتحرير الذاكرة من الأحادية والانغلاق والمذهبيات التي ولدتها سياقاتٌ تاريخية من المفروض أنها انتهت مع لحظتها.

من هنا تلزمُ، ربما، ذاكرة مُضادة ومنفتحة لمجابهة تاريخ الوحدانية القائم على الدم وعلى صدام الثقافات. وقد عثر عليها أدونيس في الثقافة الوثنية وفي إرث تلك العهود التي ارتبط فيها الإنسان بالأرض وبالأسئلة الكيانية وبالترحال في مفاوز المعنى البكر؛ وهذا كما جابه الفيلسوف الألماني نيتشه من قبل تراثهُ الثقافيَّ المسيحي – القائم على طمس ينابيع الحياة والإبداع – بالأزمنة الوثنية اليونانية التي احتفت بالجسد وأعلت من شأن الشعور المأساوي بالحياة. فالرؤية الوحدانية تضمر نُزوعا إلى إخضاع الأرض ولجم العقل وكبح كل حراك تاريخي قد يمثل تجاوزا لهيمنة الأحادية الفكرية والسياسية. إذ كيف لـ «لشهوة المطلق» – وقد لبست خوذة المُحارب – أن تفتحَ أفقا لازدهار الإنسان وللتقدم التاريخي، أو أن تؤسِّسَ لاحترام التعدد والاختلاف؟

حريات

تغيب الثقة بكل المؤسسات الرسمية!

الصحافيات الفلسطينيات يعشن معاناة ما بعد الصدمة ويواجهن «المُعتدي» فرادى

رام الله – «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

لم تتمالك الصحافية شذا حماد نفسها، في المؤتمر الصحافي الذي عقدته «مؤسسة الحق» (في مدينة رام الله قبل أيام) حيث أجهشت بالبكاء عندما وقفت أمام الحضور لتستعيد التجربة المرة التي مرت بها أثناء تغطيتها لأحداث احتجاج المواطنين على مقتل المعارض السياسي نزار بنات.

في مؤتمر «مؤسسة الحق» قدمت مجموعة من الصحافيات الفلسطينيات شهادات عن الاعتداء الذي تعرضن له على أيدي قوات من أجهزة الأمن الفلسطينية في مدينة رام الله ومنهن: نجلاء أبو زيتون، وفيحاء خنفر، وبتول كوسا، وسجى العلمي وفاتن علوان.

بدت علامات الاعتداء على الصحافيات ماثلة للعيان، شذا حماد ندبة في الوجه بفعل قنبلة صوتية، فيحاء خنفر جبيرة في الذراع، أما بقية الصحافيات فبدت ملامح وجوههن، وصوتهن مدللا على حجم ما تعرضن له من محاولة «إحراق» لشخصياتهن ولدورهن المهني.

ورغم طبيعة الاعتداء وحالات الابتزاز والتهديد للصحافيات فقد أعتبر ظهورهن على الهواء مباشرة للحديث عما تعرضن له خطوة شجاعة للرد على أهداف وغايات المعتدين.

لم يتوقف الأمر على الاعتداء الذي تعرضت له الصحافيات في مدينة رام الله يومي السبت والأحد الموافق 26–27 حزيران/يونيو بل انعكس لاحقا على شبكات التواصل الاجتماعي، فقد استغل المعتدون ومن يقف خلفهم صور الصحافيات في الميدان من أجل الابتزاز و«التحفيل» (من حفلة) بهن والإساءة إليهن، فيما اشتكت صحافيات وناشطات من انتشار صورهن الخاصة على صفحات وشبكات اجتماعية تم الحصول عليها من هواتفهن التي سرقت من رجال أمن بلباس مدني.

ويقصد بمصطلح «التحفيل» الذي يستهدف المعارضين والنساء بالفعل المنظم أو غير المنظم الذي يقوم به طرف أو جماعة سياسية بحق طرف منافس بالسخرية الشديدة منه، ويترافق مع هذه السخرية خطاب كراهية وتنمر إلكتروني وإساءة سمعة والتحقير وفي أحيان أخرى تحريض على القتل. وهو ما تعرضت له نشيطات فلسطينيات وصحافيات شابات يعملن في وسائل إعلام محلية وعربية.

بلاغ من 114 مؤسسة للنائب العام

شكل ما حصل مع الصحافيات الفلسطينيات صدمة كبيرة جدا حيث خلق هذا الحدث «الخطير» ارتدادات كثيرة، وهو ما دفع بمؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الحقوقية والمؤسسات التي تدعم حقوق النساء وتناهض العنف الممارس بحقهن إلى التحرك بشكل سريع عبر تنظيم مؤتمرات صحافية أو إصدار بيانات وأخيرا تقديم بلاغ للنائب العام الفلسطيني أكرم الخطيب.

فقد قدمت أكثر من 114 مؤسسة حقوقية ومدنية فلسطينية (مجلس منظمات حقوق الإنسان الذي يضم 14 مؤسسة، وشبكة المنظمات الأهلية الذي يضم 83 مؤسسة، ومنتدى المنظمات الأهلية لمناهضة العنف الذي يضم 17 مؤسسة) بلاغا جزائيا للنائب العام في رام الله للتحقيق بالاعتداءات التي طالت المشاركين في التجمعات السلمية وتحديدا الصحافيات، حيث طالبت المؤسسات الحقوقية بفتح تحقيق جزائي شامل في الاعتداءات التي ارتكبتها جماعات بالزّي المدني أثناء التجمعات السلمية التي عقدت أيام الخميس الموافق 24 والسبت 26 وكذلك يوم الأحد 27 حزيران/يونيو 2021.

شعوان جبارين، المدير العام لـ«مؤسسة حق الفلسطينية» قال في تصريحات خاصة لـ«القدس العربي»: «ندرك حجم الجريمة التي حدثت، ونريد من مؤسسات الاختصاص أن تقوم بواجباتها ومسؤولياتها، قدمنا البلاغ وكان موثقا بالصور الواضحة التي تظهر المعتدين، ونحن نمتلك الأسماء التي حصلنا عليها من فريق التحقيق الخاص بالمؤسسة، وفي حال طلبت النيابة ذلك فسنقوم بتزويدها به».

وتابع جبارين: «النيابة العامة مطلوب منها أن تحقق وتفحص الوثائق التي قدمناها، كما أننا نشجع برفع الدعاوى الفردية لكل من تعرض للإهانة والضرب والسرقة».

وعن موقف النائب العام أضاف جبارين أنه أكد على أنه لن يهرب من واجبه الذي يمليه عليه القانون، ونحن كمؤسسات حقوقية سنراقب هذه المسألة لخطورتها الشديدة، مؤكدا أننا «نحاسب على النتائج وليس على الوعود».

وكانت الكاميرات الصحافية والتقارير الحقوقية وثقت الاعتداء على المواطنين الذي شمل نساء ورجالا وكبار السن، وتمثل بالضرب بالحجارة والعصي والهراوات والسحل على الأرض وسرقة الهواتف المحمولة وتحديدا من الصحافيات.

وجاء في البيان المرفوع للنائب العام: «اعتداء الأمن شمل مصادرة الهواتف المحمولة، واعتقال عدد من المشاركين/ات في تلك التجمعات، حيث قامت عناصر بالزّي المدني بتسليمهم لأجهزة الأمن المتواجدة في المكان من دون تدخل منها أو حماية المتظاهرين، في انتهاك صريح للقوانين والتشريعات الناظمة لعمل تلك الأجهزة».

وتعتبر الانتهاكات التي تعرض لها المشاركون/ات في التجمعات جرائم دستورية موصوفة بموجب المادة (32) من القانون الأساسي الفلسطيني لعام 2003 وهي جرائم لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم وتضمن بموجبها السلطة الوطنية الفلسطينية بالتعويض العادل لمن وقع عليه الضرر، كما أن هذه الانتهاكات تعد جريمة تشكيل عصابات مسلحة بموجب المادة (158) من قانون العقوبات النافذ رقم (16) لسنة 1960.

استغلال مفاهيم ثقافية واجتماعية

الدكتورة حنان عشراوي، العضو السابق في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والناشطة النسوية، رأت إن ما جرى بحق الصحافيات الفلسطينيات بالأسلوب الرخيص وغير الأخلاقي، معتبرة سرقة جوالات الصحافيات واستخدام صورهن الخاصة للتشهير بهن أمرا يتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق.

ورأت عشراوي أن الاعتداء على النساء الفلسطينيات يعتبر أمرا جديدا على مجتمعنا، حيث تنتهك مساحتها وتحرم من مساحة الأمان ويعتدى عليها بوحشية.

وقالت «الآثار غير المرئية تؤثر كثيرا من ناحية الصدمة، ومن ناحية منع البنات من العمل، ولها أبعاد أكثر من الحدث نفسه ولها دلالات على عقلية وذهنية وطريقة تعامل وهي عقلية تتبلور وتخرج للعلن بالتدريج».

بدورها قالت الدكتورة رندة سنيورة، المديرة العامة لمركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، أن هناك محاولات استغلال مفاهيم ثقافية واجتماعية واستغلال الدين بطريقة غير صحيحة، وذلك بهدف الإساءة للنساء في محاولة ضبط الفتيات وقمعهن وتحديدا عندما يصبحن ناشطات ويطالبن بالحقوق العامة.

وأكدت أن هناك حالة من ترويج صور لفتيات من على موبايلات لهن تمت سرقتها خلال حالات القمع التي تعرضت لها الصحافيات.

وتابعت: «السرقة موثقة، لكن الموبايلات لم تعد حتى الآن لأصحابها، فيما تستمر محاولة التحريض على العنف ضد الفتيات عبر نشر صورهن بهدف محاولة التضييق عليهن من أهلهن، وهذا أمر نتائجه كبيرة من حيث مشاركة النساء في الفضاء العام».

وطلب مؤخرا من الصحافيات اللواتي تعرضن لسرقة هواتفهن المحمولة مراجعة الأجهزة الأمنية من أجل الحصول على أجهزتهن علما أن الناطق الرسمي باسم الأجهزة الأمنية طلال دويكات نفى في تصريحات سابقة أن يكون أي من رجال الأمن في زي مدني قد مارسوا أعمال سرقة هواتف صحافيات فلسطينيات.

صحافيات مثل: لينا أبو الحلاوة، وهزار الأطرش، ونجلاء أبو زيتون فقدن هواتفهن الخاصة من رجال أمن بلباس مدني أصبح عليهن اليوم متابعة ملف إعادة هواتفهن بأنفسهن عبر التواصل مع أكثر من جهاز أمني مثل: الشرطة، والمباحث، والأمن الوقائي، وحراسات الرئيس في سبيل البحث عن هاتفهن الخاص.

غياب لدور فاعل للنقابة

لكن المشكلة من وجهة نظر ناهد أبو طعيمة، الصحافية المتخصصة في الإعلام والنوع الاجتماعي تتمثل في أن نقابة الصحافيين الفلسطينيين لم تقم بدورها كما يجب، حيث تركت الصحافيات بشكل فردي يواجهن الذهاب إلى الأجهزة الأمنية ليطالبن بأجهزة الهواتف الخاصة بهن، وهذا أمر يضعفهن

ولا سيما وأننا أمام حالة من انعدام الثقة لكل الأجهزة الأمنية وتحديدا جهاز الشرطة الذي رأى ما حصل مع الصحافيات ولم يلبي نداء الاستغاثة منهن، بل على العكس طالبهن رجال الشرطة بمغادرة المكان.

وترى أبو طعيمة، في حديث خاص لـ«القدس العربي» أن ما تم من استهداف للصحافيات جاء لكون استهدافهن أسهل في ظل أن الأدوات التي تستخدم من قبلهن بصفتهن صحافيات مستقلات حيث يستخدمن وسائل بسيطة مثل الجوالات، رغم أنهن يلبسن ما يشير إلى هويتهن الصحافية، وتؤكد: «ما جرى يتجاوز اعتداء على صحافيات أثناء تغطية مسيرة احتجاج، فالمعتدون قاموا بملاحقة الصحافيات بشكل شخصي وبحثوا عنهن في الشوارع المجاورة حيث تمت ملاحقتهن في المحلات التجارية وحتى الحمامات العامة».

وتؤكد أن الفتيات اللواتي ظهرن على الإعلام للحديث عن تجاربهن الشخصية المؤلمة كان بعضهن أصحاب أول تجربة في النزول للميدان، وبالتالي كان ما تعرضن له صدمة كبيرة بالنسبة له».

وعن تنوع طرق استهداف الصحافيات تقول طعيمة: «هناك أكثر من شكل، الضرب والسحل والشتم بالألفاظ نابية، والسرقة والتنكيل، ولاحقا التحفيل عبر النشر على الشبكات وأخيرا الابتزاز بنشر الصور الشخصية».

وتضيف: «لأول مرة درع العمل في مهنة الصحافة يعتبر عبئا على الصحافيات حيث يكون سببا لاستهدافهن بشكل شخصي، هذا ما كان يفترض أن يقوم بتوفير حماية لهن».

أما عن الشتائم التي تلقينها فهي كثيرة جدا، بحسب طعيمة، وقبيحة وتشكل صدمة للصحافيات في ظل أن إلقاء الشتيمة كان في مكان عام (الشارع). «لقد كان فعلا صادما للصحافيات».

وتصف أبو طعيمة سلوك تبادل صور خاصة لصحافيات وناشطات بالعمل الخسيس، إنها «صور خاصة بالنساء ويمكن أن تسبب أزمة اجتماعية، حيث من يتشارك هذه الصورة والفيديوهات لا يدركون حقيقة أبعاد نشر هذه الصورة، وهنا تتضاعف المشكلة».

وتطالب أبو طعيمة بإحياء دور نقابة الصحافيين، «يجب استثمار الحدث لتكون نقابة قوية وقادرة على حماية الصحافيين والدفاع عن حقوقهم، يجب أن يكون صوت الصحافة عاليا».

والسؤال المطروح اليوم هو لمن تشتكي الصحافيات؟ وبحسب طعيمة لقد «توزع الدم بين القبائل، حيث هناك أكثر من جهاز أمني قام بالفعل، كما أن الجهاز الذي كان يمتلك الكثير من ثقة النساء خسر كل رصيده في الأحداث الأخيرة، لقد خذل الصحافيات والموطنين عندما كان يتفرج على الاعتداءات صامتا».

وأكدت على أهمية أن تقوم نقابة الصحافيين بالتواصل مع المؤسسة الأمنية لتحصيل الأجهزة المسروقة، «لا يجب أن يترك الأمر بين الصحافي والجهاز الأمني لكون ذلك يتيح مساحة للابتزاز والتلاعب والضغط والابتزاز».

غياب الثقة ومطلب المحاسبة

بدورها تعتبر صباح سلامة، في تصريحات خاصة، من منتدى المنظمات الأهلية الفلسطينية لمناهضة العنف، أن أي اعتداء حتى لو كان على امرأة واحدة يجب أن ينظر إليه على أنه جريمة، وبالتالي لا يمكن الاستهانة بحجم ما جرى من استهداف وقمع للصحافيات والناشطات خلال الفترة الماضية.

وتضيف سلامة: «ننظر لما جرى على أنه ظاهرة خطيرة تستوجب الوقوف أمامها والمحاسبة سواء لمن أمر أو خطط أو نفذ أو وفر الحماية».

وتؤكد غياب للثقة بالمؤسسات الرسمية لكونها حتى اللحظة لم تقنعنا بأنها تمارس لدورها وهي جزء من استهداف النساء.

وتقول أن المؤسسات الرسمية وتحديدا النيابة العامة لم تقم باختصاصها في مسألة تمس النظام العام، حيث انتظرت النيابة إلى حين تقديم بلاغ من المؤسسات الحقوقية.

وتتابع: «نحن نعيش في بلد صغير، وكلنا يعرف بعضه البعض، وبالتالي لدينا قائمة بأسماء وصور المعتدين، والمحاسبة مطلب جميع المؤسسات الحقوقية».

وأدان بيان صادر عن منتدى المنظمات الأهلية الفلسطينية لمناهضة العنف ضد المرأة حمل عنوان «شعب يسعى للحرية والاستقلال... لن يقبل بإهانة النساء» عملية القمع والتنكيل التي مارستها السلطة التنفيذية بحق المحتجين وطالب كافة الفتيات والنساء اللواتي تعرضن لأي انتهاك أو إساءة للتوجه لمؤسسات المنتدى حيث ستوفر المؤسسات كافة مصادرها القانونية والاجتماعية لحماية الناشطات.

كما حمل الحكومة الفلسطينية ووزارة شؤون المرأة بشكل خاص المسؤولية عن السكوت عن هذه الانتهاكات لا وبل تشجيع هذه الانتهاكات بصمتهن المطبق، وحمل رئيس السلطة المسؤولية عن تدهور الحريات العامة في فلسطين وكافة أحداث العنف التي نتجت من أجهزة الأمن سواء أكانوا بالزي المدني أم العسكري. وطالب بإقالة كل مسؤول أو قائد أصدر الأوامر أو خطط أو شارك في الاعتداء على النساء.

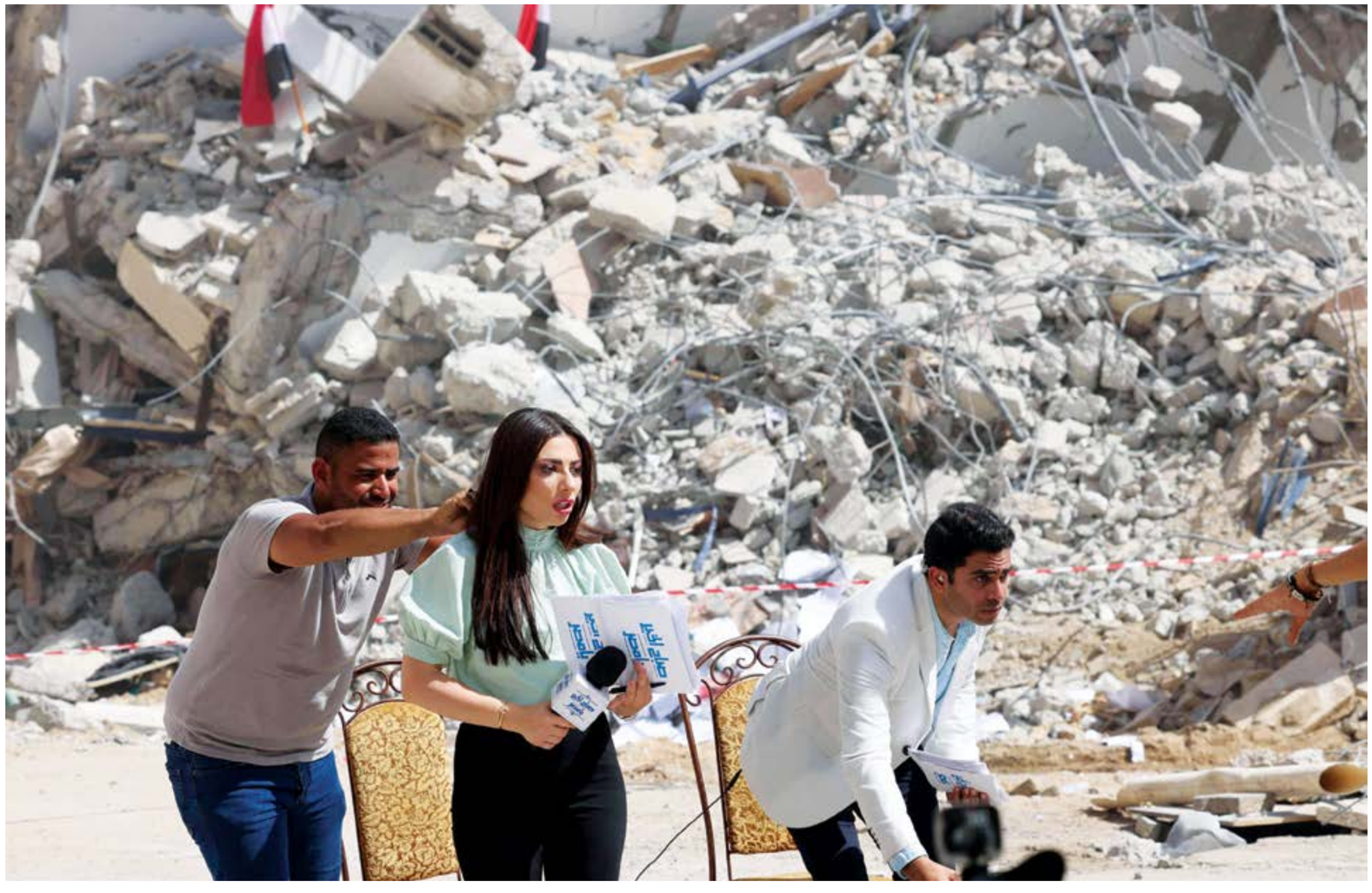

كتب

سعدي يوسف في «خريف مكتمل»: قصائد تنفي وقوع الشاعر في التكرار

هاشم شفيق

لا يمكن وصف الشاعر الراحل سعدي يوسف إلا بالنهر الثالث في العراق، لحجم عطائه الإبداعي المتدفق منذ كان في الثامنة عشرة حين أصدر «القرصان» ديوانه الأول، وحتى آخر ديوان له، وهو «ديوان البذد» الذي حمله المجلد الشعري الثامن للشاعر، بعد عمر اقترب من التسعين عاماً، عمر مُشبع ومترع بالشعر والحياة والجدل، عمر تقاسمته المنافي بأنواعها، وأسمائها وتشكيلاتها العربية والأوروبية، منطلقاً من بغداد التي عمل فيها مدرّساً لمدة عامين، ثم سافر إلى الكويت للغرض نفسه، ليعود بعد ذلك إلى العراق مجدّداً، فيسجن أيام انقلاب الثامن من شباط الدموي عام 1963 نتيجة نضاله اليساري، ومطاردة السلطات له، ثم يودع سجن «نقرة السلمان» في الصحراء العراقية، مع كوكبة من المثقفين العراقيين، من بينهم الشاعران يوسف الصايغ ومظفر النواب والناقد فاضل ثامر، وبعد مكوثه عاماً ونصفاً في السجن يطلق سراحه، بعد انقلاب القوميين العرب والناصريين بقيادة عبد السلام عارف على الحرس القومي، وهي ميليشيا تابعة لحزب البعث العراقي، ليسافر مرة أخرى إلى دمشق، ثم بيروت، ومن هناك إلى الجزائر، ليعمل مدرّساً في مدارسها الثانوية.

وهو هناك نشط سعدي شعرياً، فأصدر دواوينه الأولى «51 قصيدة» و«أغنيات ليست للآخرين» و«النجم والرماد» وقد أهداه إلى الشاعر الرائد بلند الحيدري، وحين تمت طباعة أعماله الشعرية حذف الإهداء، وأصدر بعده «بعيداً عن السماء الأولى» ثم ديوانه الذي شكّل نقلة في حياته وتجربته الشعرية «قصائد مرئية»، من إصدارت «دار صادر» في «صيدا» وبتقديم من أدونيس، وحين تمت طباعة الأعمال الشعرية حذف تقديم أدونيس أيضا.

كان سعدي في هذه الأثناء يعزز موقعه في أهم المجلات اللبنانية، فعدد مجلة «شعر» الأول حمل في الصفحة الأولى منه قصائد لسعدي يوسف، وكانت مجلة «الآداب» أيضاً تحتفي بنصوصه الشعرية، مبرزة إياها في الصفحات الأولى، هذا ناهيك عن نشره لدواوينه الجديدة، وكانت مفاجأة سعدي يوسف للشعر العربي، هو ديوانه اللافت «نهايات الشمال الأفريقي» الذي رسّخه كشاعر مجدّد، نادر، ومختلف، في تجربة الشعر العربي عامة، وعندما عاد البعث مرة ثانية إلى السلطة، أظهر وجهاً مختلفاً، بسبب تاريخه السيئ، والفاشي مع طبقات الشعب العراقي إبان مرحلة الستينيات، فأظهر في مطلع السبعينيات وُدّاً رمادياً في المجال الثقافي، قاده رجل نظيف وشاعر بعثي، وقائد من قادته المختلفين، هو الشاعر المغدور الوزير شفيق الكمالي، فعاد إلى العراق مستجيباً لدعوته وسعدي يوسف، ليصدر سعدي في بغداد وعن وزارة الثقافة ديوانه اللافت والمؤسس لمدرسة جديدة في الشعر العربي «الأخضر بن يوسف ومشاغله»، حيث توغل الشاعر أكثر في رسم التجربة الشعرية المُغايرة، المعنية بالبوميات، ومتابعة شأن الحياة، ومفاصلها العادية، مع توابل فنية، يسارية ووطنية، تعمّق مسار هذه الأعمال لدى القرّاء عامة، نخبة وقرّاءً عاديين، ليسطع اسم سعدي يوسف عالياً، في سماء الشعري العراقي أولاً، والعربي ثانية.

وتعابيره، وجمله الشعرية، ومفرداته اللغوية، وإعادة صياغة ما قيل سابقاً، وتدويره جمالياً، ليظل موجوداً في الساحة الشعرية العربية، التي عرفت أشعاره منذ مطلع الستينيات، وحتى أواخر لحظات حياته، إذ توّجها بخاتمة رائعة، فكتب قصيدة لا تتعدى سطورها الخمسة، لخّصت كل تاريخه، وحياته، ويومياته، مع الشعر، والناس، والحياة التي عاشها مثلما أراد، اسم القصيدة «فخر» وهي لوحدها تحتاج إلى دراسة، رغم قصرها، وشدة كثافتها، واختصارها لمحطات عمره، وتاريخه الطويل، وحياته الجدلية، تلك التي لم تكن سهلة أو سلسة، بل مرت بمنعطفات، ومنعرجات، ومطبّات يومية، كانت تفد إليه بسبب مواقفه، وآرائه الباترة، وأغلبها كان هو من يستدعيها، لتكون الوليمة عامرة، بالسباب، والشتائم، والوشايات من طرفه الذي كان يحلو له ذلك، ومن طرف الآخرين الذين كانوا ينالون منه بحق أو دون وجه حق، كأصدقائه الخُلّص، ورفاق حياته، ورفاق مسيرته المديدة في المنافي المختلفة.

وعطفاً على مسألة التكرار، فهي طريقة مبهمة، تصيب الشعراء الملهمين، والتكرار هنا هو الإلهام والإيحاء والإيعاز العلوي، وقد مسّ شعراء كباراً مثل نزار قباني، والجواهري، وأدونيس، وهي طريقة مفروضة عليهم من قوى عليا، وبذا لا يستطيع الشاعر المُلهم هنا، أن يردّ العطاء والكرم اللذين يأتيانه من القوى الغامضة، الموكلة بالعطاء الإبداعي، لذا الشاعر يقف ذاهلاً أمام الرؤى، وهو يتسلم مندهشاً غذاءه الخيالي، وزاده الروحي.

من هنا وفي ظل هذا السبيل الرؤيوي، أصدر الشاعر ثمانية مجلدات شعرية كان آخرها مجلد «خريف مكتمل» وقد احتوى على ست مجموعات شعرية، هي : «طيران الحداة» و«محاولات في العلاقة» و«خرف مكتمل» و«السونيت» و«البند» و «ثلاثون قصيدة»، وكانت مجموعتا «السونيت» و«البند» في هذا المجلد تنفيان على نحو واضح وقوع الشاعر في التكرار، فهو قد أعاد الروح لفن البند الشعري المهمل منذ أكثر من مئة عام، وكتب السونيتات مقتدياً بالشعر الأوروبي، فقدّمه سعدي لنا بطريقة عربية، مؤثّرة ونادرة، وفريدة في سياق الشعر العربي. ومن ديوان السونيت نختار قصيدة «سونيت دجلة»:

«نزلتُ بواد بين ليلى ودجلة
فلم ندرِ أيّ الجنّتين نزورُ
كأنّ بليلى من شمائل دجلة
تقلّبُ حالٍ فالأمورُ تدورُ
❊ ❊ ❊
لقد كان لي في شطّ دجلةَ مَرْبَعٌ
وعشبٌ على ظلّ الضفافِ نضيرُ
ولكنني إنْ شئتَ عودٌ مضيّعٌ
تسيرُ به الغلواءُ حيثُ تسيرُ
لماذا أرى الأشجارِ حولي كالدمى؟
وتلك الماشي الخضرَ جرداءَ بلقعا؟
هل اللون يأتيكَ إذا انتمى
وتلك الأغاني ... لن تدورَ فتُسْمَعا
❊ ❊ ❊
سلامٌ على أرضٍ تناهبها البلى
سلامٌ على ماءٍ سَلوتُ كما سَلا» .

وهنا أيضا سونيت «فرات»:

«هذه الجمعةَ أقلعتُ إلى نهر الفراتْ
فاختفى عن ملمسي زانُ الشمالْ
ليس ما نحملهُ لون النباتْ
إنه المعنى الذي نخشى عليه من زوالْ
❊ ❊ ❊
كلّما جاء إلى ليلي الفراتْ
نزّ ماءٌ منه، عذْبٌ في المخدّةْ
أيكونُ الماءُ أصلاً للحياةْ؟
ربما ... هأنذا اقطفُ وردةْ
لم أزلْ أسمعُ في «الرقّة» سحُبات الرَّبابْ
وأغاني النسوة اللائي يخوّضنَ قليلا
في مياه السمَك الفضّة، والطير السّرابْ
لم أزلْ المُسُ معنىً مستحيلا
❊ ❊ ❊
فلتكن يا نهرَ أجدادي، رفيقي
ولْتكُنْ يا دربيَ إنْ غام طريقي!».

ومن ديوان البند نختار الآتي «الأمير متوّجاً» :

«لمن خرّبتَ يا سعدي حياتكَ؟
أيّ أرض كنت تقصدها؟
وأيُّ رعيةٍ كنتَ ترعاها؟
هي الأيامُ قالوا منذ دهرٍ إنها دولٌ ...
إذا ما أنتَ والدولُ؟
الأميرُ الفوضويُّ، متوّجاً أنتَ!
.....
اللاّئمُ في القرارْ».

وهنا قصيدة «اطمئنان»:

«رضيّاً
مغمضَ العينين
تجلسُ عند نافذةٍ تطلُّ على الحديقةِ،
إنه الفجرُ القديمُ
الفجرُ ذيّاكَ الذي ما عاد فجراً،
قد تساوى
الفجرُ والظهرُ،
تساوى الظهرُ والعُهرُ،
تساوى البيتُ والمنفى،
ولكنك ما زلتَ رضيّاً
مغمضَ العينين
تغفو عند نافذةٍ مضبّبةٍ
وتحلمُ».

سعدي يوسف: «خريف مكتمل»
دار التكوين، دمشق 2021
500 صفحة.

شربل النجار في «مسارات جبلية نحو لبنان الكبير: (1584ـ1920)» قضاء المتن شكّل أساس الهجرة اللبنانية إلى الخارج

سمير ناصيف

قد يتساءل القراء لماذا تتم مراجعة بعض الكتب الصادرة عن كتّاب محليين غير عالميّ التوجه حول مواضيع حساسة متعلقة بلبنان والشرق الأوسط والعالم.

أهم عنصر في الجواب على هذا السؤال أن الكثير من هؤلاء يعودون إلى المراجع الأساسية في نتاجاتهم الفكرية ولا يكتفون بالاستعانة بما كتبه أرباب كُتّاب تاريخ المنطقة الذين يتمتعون بشهرة كبيرة. والكثير من هؤلاء يعيشون ويكتبون من خارج لبنان والشرق الأوسط ويعتبرون أنفسهم ومصادرهم مراجع موثوقة أكثر من غيرها.

الأستاذ شربل سمعان النجار، الكاتب واستاذ التاريخ في مدارس ثانوية عريقة في لبنان كـ«الليسيه الفرنسية اللبنانية» و«اللاتينية» صدر له مؤخراً كتاب بعنوان: «مسارات جبلية نحو لبنان الكبير. (1854ـ 1920) تضمن معلومات قيّمة قلما تتواجد في كتب أخرى عن تاريخ لبنان والمنطقة لكونها عادت إلى المصادر الأساسية في هذه المواضيع.

قرر الكاتب التركيز على دراسة خمس بلدات لبنانية تقع في قضاء المتن الشمالي اللبناني هي: ضهور الشوير (الشوير) وبسكنتا، بيت شباب، المتن وبكفيا وعلى أدوارها في الهجرة اللبنانية إلى العالم الخارجي في مطلع القرن الماضي قبل وخلال وبعد الحرب العالمية الأولى. واستند في كتابه على إحصاء لبنان لعام 1921 إلى 1924 وإلى مقابلات وأبحاث أجراها مع المراجع الدينية لسكان تلك البلدات وما تمتلكه من معلومات أولية وتفاصيل مفيدة.

كلمة السر حسب قول المؤلف، هي ان قضاء المتن في لبنان شكّل الحديقة الخلفية للهجرة اللبنانية في مطلع القرن الماضي، ومهاجروه دعموا بقاء مناطقهم ولبنان عموماً اقتصادياً بما يرسلون من أموالهم ومساعداتهم بين أهالي ضهور الشوير (الشوير) تواجد (حسب المؤلف) أغزر أعداد سكان تلك البلدة من المهاجرين إلى البرازيل، ومعظمهم لحقوا عائلة آل يافت التبشراتي الشويرية أولى الواصلين إلى ذلك البلد.

أما بكفيا، فذهب أهلها، خلافاً للقاعدة الاقتصادية، عن إقتدار مادي وتطلع ثقافي إلى مصر البلد القريب، حيث صاروا «بكوات» و«باشوات» وأصحاب مهن حرة (ص10).

ولكن أكثرية العائلات التي سعت إلى الهجرة في تلك المرحلة كان دافعها ضيق الحال خلال زمن حكم المتصرفيّة وكثرة الأهوال خلال الحرب العالمية الأولى والمصائب الطبيعية.

ويذكر الكاتب أن الارساليات الأجنبية أنشأت في الشوير وبكفيا مدارس ساهمت في انبثاق مجموعة من الحرفيين في سائر القطاعات، وخصوصاً المدارس البروتستنتية في الشوير والكاثوليكية والارثوذكسية أيضاً بدورها في الشوير وبلدات المتن الأخرى. أما الفتن المذهبية في منتصف القرن التاسع عشر، فحصدت آلاف القتلى ولم يتوقف القتال حتى عام 1860 بعدما فرضت الدول الأوروبية «نظام المتصرفيّة» على البلد. ولكن مع إطلالة القرن العشرين انطلقت حروب شاركت فيها معظم دول العالم (الحرب الكبرى) وكانت نتائجها وبالاً على اللبنانيين، ساحلاً وجبلاً، فتصدعت البلدات الخمس وضربتها الأمراض وقسى عليها الجوع نتيجة اجتياح الجراد والحصار البري الذي فرضه العثمانيون والحصار البحري الذي نفذه الحلفاء الغربيون على شواطئ البحر المتوسط الشرقية فاختفى الجبل (ص112) ومات ومرض كثيرون وتشتت آخرون، حسب الكاتب. ويضيف «الشويريون استجاروا بزحلة وبيروت وحوران ولجأ كثيرون منهم إلى مستشفى برمانا ومدرسة عين القسيس في الشوير وأمن لهم الاخوة الفريندز الانجيليون القوت طوال محنة الحرب الكبرى في لبنان» حسب ما وارد في الكتاب.

«لبنان الكبير» (حسب الكاتب) نشأ نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية، ولم يهبط على جبل لبنان وأهله كهدية فرضتها المصالح الكبرى ولا عندما أعلنت «دولة لبنان الكبير» في الأول من أيلول (سبتمبر) 1920.

ويؤكد الكاتب ان الحماية الفرنسية لأهل الجبل اللبناني لم تكن كافية لتكوين الشخصية الفذة الجبلية، بل إصرار أهل الجبل على الصمود لمواجهة معاناتهم شكّل العامل الرئيسي في هذا المجال.

ولكن «لبنان الكبير» كان كياناً متقلباً ولم يؤمن لأبناء لبنان والجبل ما كانوا يصبون إليه (ص14).

يتضمن الكتاب تفاصيل دقيقة عن أسماء العائلات التي هاجرت من البلدات الخمس، ولا يتسع المجال لعرضها بالتفصيل في هذه المراجعة ولكن تفاصيلها قد تكون ذات أهمية لأبناء تلك البلدات ولأقارب كبار العائلات المهاجرة والعائدة.

ويذكر المؤلف في الصفحة (59) أسماء بعض الجشعين اللبنانيين الذين ساهموا في انتشار المجاعة في ربوعه في مطلع القرن الماضي، وأسماء عائلاتهم تضم آل سرسق، آل المشنوق، آل الغندور، وآل اليافي، وآل الخوري، وآل عازار وآل جدعون، وغيرهم.

في الصفحة (63) يقدم المؤلف تفاصيل عن عدد المهاجرين من القرى التي يركز عليها جمعها من المصادر الدينية والكتابات الثقافية التاريخية الموثوق بها، ككتابات الأديب ميخائيل نعيمة وغيره، كما يتطرق إلى تحديد المناطق التي هاجروا إليها في الولايات المتحدة خصوصاً وإلى طبيعة أعمالهم هناك مشيراً إلى عمل كثير منهم في المصانع وليس في «الكشات» التجارية للبيع الحر، كما ورد في بعض المصادر، مؤكداً أن في عملهم في المصانع كدحوا كما كدح باقي العمال المهاجرين في تلك المؤسسات وشاركوا في مواقف الطبقات العمالية المستغلة من أصحاب العمل النقابية الرافضة. فيقول في هذا المجال: «اتحد اللبنانيون (المهاجرون) مع غيرهم من الجاليات المهاجرة في مدينة لورنس في ولاية ماساتشوستس (ما بين عامي 1890 و1910) واتخذوا موقفاً معارضاً لأصحاب المعامل الأمريكيين خلال اضراب 1912. ودفعتهم تلك التجربة وشقاء العمل في معامل النسيج إلى توجيه أولادهم نحو مستقبل أفضل بعيدا عن مصانع لورنس (ونجح بعض أولادهم في مجالات الطب والمحاماة والتجارة بسبب ذلك) فالآباء كانوا مناضلين كادحين، على غير صورة بياعي الكشّة (ص 73).

وكان عدد من مهاجري الشوير قد قضى إلى أمريكا على سفينة «تايتانك» التي غرقت في 15 نيسان (ابريل) 1912 بعدما بلغت الهجرة الشويرية إلى الولايات المتحدة أقصاها بين عام 1905 و1913 (ص 78).

ويذكر الكتاب ان المفكرين اللبنانيين الذين هاجروا إلى مصر لعبوا دوراً كبيراً في النهضة المصرية الحديثة، كمثل رواد الصحافة العربية سليم وبشارة تقلا ويعقوب صروف وحرجي زيدان وإبراهيم اليازجي ومي زيادة (ص93).

كما نجحت عائلة آل عماد (خطار ويوسف عماد) نجاحاً كبيراً في مصانعها لاستخراج الزيوت من مصادر زراعية في مصر، وهم من عين السنديانة الشويرية. ويحكي الكتاب سيرة تلك العائلة وما تركته من إرث ثقافي ومعماري في الشوير (ص94ـ95).

في الصفحة (99) يحكي الكتاب زيارة إمبراطور البرازيل بيدرو الثاني إلى لبنان في عام 1876 حيث زار الجامعة الأمريكية في بيروت. وقام بتلك الزيارة بعد دعوة وتحفيز من نعمة يافت التبشراني أحد أوائل المهاجرين اللبنانيين إلى البرازيل (ص99). وزيارة الامبراطور بيدرو الثاني دفعت الكثير من اللبنانيين خصوصاً المتنيين للهجرة إلى البرازيل في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. والشوير كانت أول من انطلقت نحو البرازيل تيمناً بنعمة يافت التبشراني (تمثاله في ساحة الشوير، واسمه يزين مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت) (ص 100).

وكان المهاجرون من الشوير باتجاه البرازيل من عائلات تبشراني وحاوي وقربان ورحباني وغيرهم واستمروا في المغادرة حتى عام 1922 وساهموا في نمو بلدتهم والمتن ولبنان عموماً.

عممت مدرسة عين القسيس الشويرية ثقافة انكلوساكسونية حفزت الطوائف الأخرى على إنشاء معاهد تابعة لها في الشوير والمنطقة (ص112) حسب المؤلف.

ويقول الكاتب ان «بين الذين عرفوا ضهور الشوير جيداً المفكر الفلسطيني الأمريكي ادوارد سعيد الذي يعرض في كتابه (خارج المكان) قصة حياته وصيفياته فيها عندما كان شاباً علماً انها بلدة آل بدر أنسباء والدته» (ص113).

في الفصل الختامي يتخذ الكاتب خطاً مؤيداً لدور الكنائس المختلفة في لبنان في نشر الثقافة بين أهل جبل لبنان وخصوصاً المسيحيين منهم، وفي نشر اللغات الأجنبية في لبنان. وهنا يصبح مجال الكتاب ضيقاً إلى حد ما إذ يتجه المؤلف إلى الصراعات بين الجهات الأبرشية المسيحية في تلك الحقبة.

بيد انه يذكر واقعة تاريخية هامة ألا وهي ان البطريرك الحويك نصّبَ نفسه ناطقاً باسم الموارنة وباسم المتصرفية وباسم (لبنان الكبير) وحضر مؤتمر الصلح في باريس في نهاية العقد الثاني من القرن الماضي (مع وفد) بحيث تلاقت مصالح فرنسا في الشرق الأدنى مع المصالح الداخلية الممسكة بالأرض في المتصرفية و«التقت على كسر المشروع القومي العربي الحديث النشأة وذلك عبر إقامة دولة لبنان الكبير» (ص246).

ويضيف: «وهذا لا يعني بان الكنيسة المارونية كانت تحضر لقيام وطن قومي ماروني على غرار الوطن القومي اليهودي كما جاء في بعض الدراسات اللبنانية خلال الحرب في لبنان، لا بل قبلها (1975ـ 1990) بل كانت حريصة على التحضير لقيام وطن ثابت مستقر الزوايا للموارنة ولغير الموارنة من طوائف في عالم شرق أوسطي متبدل بعد الحرب العالمية الأولى بحيث لبنان لا يبقى متقلباً فيه ومعرضاً للأطماع من كل حدب وصوب» (ص 147).

ويشير المؤلف انه في صيف 1920 لم تقطع النخب الدرزية المؤيدة لمشروع فيصل أمير الحجاز واتصالاتها بالعاملين لدولة لبنان الكبير، ولا أدارت ظهرها لبكركي المطالبة باستقلال لبنان، بل تكلمت قيادات بين الدروز لغة البطريرك الحويك من حيث استقلال لبنان بحدوده التاريخية (وكان بين هؤلاء الأمير توفيق مجيد أرسلان) (ص 249).

ويسترسل الكاتب في الثناء على حماية فرنسا للطائفة المارونية في لبنان من أيام ملوك فرنسا في العصور الغابرة حتى الساعة وعن مواقف فرنسا المتعاطفة مع البطاركة الموارنيين في لبنان حتى إعلان دولة لبنان الكبير مفسراً معاهدة «سايكس بيكو» كوسيلة «لتأمين المصلحة الفرنسية العليا» (ص 221) ومثنياً على نشوء «لبنان الكبير» نزولاً عند رغبة البطريرك الحويك وجهود الذين دعموه.

وهنا اختلطت المعلومات المفيدة تاريخياً في الكتاب مع توجهات وتحليلات الكاتب السياسية.

شربل سمعان النجار:
«مسارات جبلية نحو لبنان الكبير: (1854ـ1920)»
دار سائر المشرق، بيروت 2020
301 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

الأزمة السياسية السويدية في ضوء الأزمة الأوروبية الأشمل

سحب الثقة من حكومة لوفين يضع السويد في أزمة معقدة

تعاني السويد هذه الأيام من أزمة سياسية غير مسبوقة، وذلك بعد أن حجب البرلمان الثقة عن حكومة الأقلية التي كان الحزب الاشتراكي قد شكلها برئاسة ستيفان لوفين بالاشتراك مع حزب البيئة.

وهذه الأزمة هي حصيلة تفاعل جملة عوامل أدت إلى بروز عقبات أمام تشكيل الحكومة بعد انتخابات عام 2018، إذ استغرقت عملية التشكيل أكثر من ثلاثة أشهر. وهي الانتخابات التي أسفرت عن صعود نجم حزب ديمقراطيي السويد اليميني المتطرف الشعبوي بزعامة جيمي أوكسون الذي يعلن صراحة عن رفضه لسياسات استقبال واستيعاب المزيد من المهاجرين؛ ويدعو باستمرار إلى التشدد في معاقبة مرتكبي الجرائم من الأجانب، حتى ولو اقتضى ذلك وضعهم في سجون خارج البلاد، وإعادتهم بعد انتهاء مدة الأحكام إلى بلدانهم. ومن اللافت أن هذا الموقف بدأ يحظى بتأييد عدد من الأحزاب الأخرى ضمن التحالف البرجوازي المعارض؛ وذلك بالتناغم مع ميول الناخبين التي تتأثر هي الأخرى بارتفاع وتيرة الجرائم التي ترتكب من قبل العصابات المنظمة المسلحة، وهي العصابات التي غالباً ما تتمركز في تجمعات المهاجرين، وتعتمد صيغة من الهرمية المستوحاة من العلاقات الأسرية المافياوية. وفي معظم الأحيان، يكون التنافس على أسواق تجارة الممنوعات هو السبب الرئيس الكامن وراء عمليات تصفية الحسابات التي عن طريق عمليات القتل التي هي في طريقها إلى أن تتحول إلى جزء من المألوف اليومي السويدي بكل أسف. وقد تفاقمت هذه الظاهرة حتى وصلت إلى مرحلة الاعتداء على رجال الشرطة، فقد تعرض أحد رجال الشرطة في يوتوبوري/غوتنبرغ، المدينة الثانية في السويد من جهة عدد السكان والأهمية، للقتل قبل أيام، الأمر الذي يعد تطوراً خطيراً في هذا المجال.

وكانت حكومة لوفين، التي استقالت بعد حجب الثقة عنها، قد تشكلت بعد جولات من المناقشات والحوارات والتجاذبات بدعم برلماني من حزبين برجوازيين هما الحزب الليبرالي وحزب الوسط، مقابل موافقة الحزب الاشتراكي على قائمة مطالب من جانب الحزبين المذكورين تمثلت في 73 بنداً، معظمها في صالح الأغنياء من أصحاب العمل والعقارات، الأمر الذي أثار انتقادات من جانب حزب اليسار، وحتى ضمن الحزب الاشتراكي الديمقراطي نفسه. ولكن في الحصيلة تم التوافق بين الأحزاب المشار إليها؛ وساند حزب اليسار من جانبه الحكومة من خارجها، ومن دون أن يكون جزءا من أي اتفاق مع الاشتراكي، ومن دون الحصول على أي امتيازات، لكنه كان واضحا منذ البداية بأنه لن يوافق على نقطتين وهما: المس بقانون تنظيم الاستغناء عن العاملين بموجب الأقدمية في الوظيفة، كما شدد على رفضه مبدأ ربط آجار السكن بالسوق. وصرح الحزب على لسان علانية، وفي أكثر من مناسبة، أنه سيدعو إلى سحب الثقة من الحكومة في حال إخلالها بإحدى النقطتين، خاصة موضوع الآجارات لأنه سيكون كارثة على أصحاب الدخل المحدود. هذا مع إدراك حزب اليسار لطبيعة الإحراج الكبير الذي سيواجهه على الأقل. وبالمناسبة ما يحصل في السويد يحصل في غالبية الدول الأوروبية التي تحتضن مجتمعاتها أعداداً كبيرة من المهاجرين، الأمر الذي يستوجب الوقوف بجدية أمام هذه الظاهرة، ومعالجة آثارها، وإلا فستكون النتائج وخيمة بالنسبة إلى المجتمعات الأوروبية. ولكنها ستكون أكثر وقعاً على المهاجرين حزب اليسار، واستمر في التزام بالتوافقات، وذلك في سعي أكيد منه لتلافي الانتخابات المبكرة، والاستمرار في الحكم من موقع حكومة الأقلية، التي عادة ما تكون هشة في الديمقراطيات التي تعتمد نظام الديمقراطية النسبية، ويكون سقف نسبة الأصوات اللازمة للوصول إلى البرلمان منخفضاً إلى حد ما، وهذا السقف هو في السويد 4% من مجموع أصوات الناخبين.

الأزمة السويدية هي حصيلة تراكمية لإخفاقات سياسات الحكومات السابقة، سواء الاشتراكية منها أم البرجوازية اليمينية، خاصة في ميادين الاندماج، وتحكم الروتين العقيم غير المجدي، وتراجع دور النقابات ومنظمات المجتمع المدني. هذا إلى جانب حصول المدراء وأصحاب العمل على المزيد من مفاتيح التحكم والسيطرة عبر أدوات وآليات عدة في ميدان تحديد الرواتب، والاستغناء، والحوافز، والامتيازات، والاستثناءات؛ بالإضافة إلى الفساد واستغلال المناصب، والصعوبات التي يواجهها قطاعا التعليم والصحة. هذا إلى جانب الثغرات التي يعاني منها الجهاز القضائي، والنقص المزمن في عدد عناصر الشرطة، الأمر الذي يؤدي إلى تراجع القدرة في مواجهة تحديات تنامي الجريمة واستخدام مرتكبيها للتقنيات الحديثة، خاصة في ميدان الاتصالات. كل هذه الأمور قد باتت مادة أساسية في ماكينة اليمين المتشدد الإعلامية. ومن اللافت أن هذا اليمين يستغل الجرائم الإرهابية التي ارتكبت في العديد من الدول الأوروبية، بما فيها السويد نفسها، وتبنتها الجماعات الإسلاموية المتطرفة، أو أنها أشادت بها على الأقل. وبالمناسبة ما يحصل في السويد يحصل في غالبية الدول الأوروبية التي تحتضن مجتمعاتها أعداداً كبيرة من المهاجرين، الأمر الذي يستوجب الوقوف بجدية أمام هذه الظاهرة، ومعالجة آثارها، وإلا فستكون النتائج وخيمة بالنسبة إلى المجتمعات الأوروبية. ولكنها ستكون أكثر وقعاً على المهاجرين هؤلاء الذين أجبرتهم الظروف المختلفة على التوجه نحو الدول الأوروبية بغية الحصول على الأمن والاستقرار، وهرباً من بطش وفساد الحكومات التي عجزت عن تأمين المقومات الأساسية للعيش الكريم لمواطنيها، بل مارست كل أساليب القمع ضدهم بما في ذلك القتل والتدمير، والوضع السوري يُعد في هذا السياق المثال الأوضح.

فقد أدت، وتؤدي، ظروف عدم الاستقرار في العديد من مناطق العالم، خاصة في منطقة الشرق الأوسط وأفغانستان وأوكرنيا، والعديد من الدول الأفريقية، إلى تدفق موجات المهاجرين نحو أوروبا، وعادة ما تكون للسويد، قياساً إلى حجمها السكاني، الحصة الأكبر. وما يترتب على ذلك، نتيجة العوامل التي أتينا على ذكر بعضها، هو المزيد من التبرم ضمن الأوساط الشعبية السويدية؛ ويُترجم ذلك في ارتفاع نسبة المؤيدين لليمين المتشدد الذي لا يخفي، كما أسلفنا، توجهاته المناهضة لاستقبال المزيد من المهاجرين.

ومن الواضح أن الأحزاب الأخرى، سواء من اليمين المحافظ، أم من التيار الوسط، وحتى ضمن التيار الاشتراكي، قد أصبحت هي الأخرى تتحسّب لنتائج الانتخابات، وتحرص على اكتساب المزيد من الأصوات. وفي سبيل بلوغ ذلك، تتشدد هي الأخرى في السياسات الخاصة باستقبال المهاجرين؛ بل هناك أحزاب تعلن صراحة عن استعدادها لبناء حكومة برجوازية بالتفاهم مع حزب ديمقراطيي السويد اليميني المتشدد. ويُشار هنا بصورة خاصة إلى كل من حزب المحافظين والديمقراطي المسيحي. وقد انضم إليهما في الآونة الأخيرة الحزب الليبرالي بعد أن تنصّل من توافقاته والتزاماته مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم. هذا على الرغم من الانقسامات الداخلية التي يعاني منها هذا الحزب، إلى جانب تراجع شعبيته بصورة دراماتيكية، حتى أن غالبية استطلاعات الرأي تشير إلى صعوبة حصوله على النسبة المطلوبة من الأصوات للدخول إلى البرلمان، سواء في الانتخابات المبكرة، أم الانتخابات العادية التي ستكون بعد نحو عام (أيلول/سبتمبر 2022).

والآن، وبعد أن التزم حزب اليسار بمواقفه المعلنة صراحة من قضيتي قانون العمل والآجارات، وبعد أن سحب البرلمان الثقة من الحكومة، تواجه السويد أزمة سياسية غير عادية، تثير الكثير من القلق والهواجس على المستوى الوطني. وهناك جهود مكثفة تبذل من قبل مختلف الأطراف لتجاوز الأزمة نحو ما ينسجم مع توجهات كل طرف. هناك سيناريوهات عدة للخروج من الأزمة، ولكن سيناريو الانتخابات المبكرة يظل أحد الاحتمالات القوية في هذا المجال.

هل سيتراجع الحزب الاشتراكي عن توافقاته مع الأحزاب البرجوازية، ليعود إلى تمثيل جمهوره التقليدي؟ وهذا ما يلزمه باعتماد جملة من الاجراءات للتخفيف من الضغوط المعيشية على أصحاب الدخل المحدود والمتقاعدين، واهتمام أفضل بالمناطق التي يتجمع فيها المهاجرون. أم أنه سيظل مستمراً في توجهاته التي يعتقد بأنها تضمن له استمرارية في الحكم، أو على الأقل مشاركةً فيه؟

الجميع في انتظار موقف حزب الوسط الذي كان سابقاً ضمن التحالف البرجوازي؛ ولكنه يخالفه من جهة تأكيده المستمر عدم استعداده لأي تعاون، حتى ولو غير مباشر، مع حزب ديمقراطيي السويد.

هل ستكون هناك تفاهمات بين حزب الوسط واليسار لإنقاذ الموقف، والتوافق على محددات جديدة تكون لصالح غالبية السويديين، وتمكّن البلاد من تجاوز أزمة سياسية عميقة لا يستسيغها السويديون عادة، لأنها في المحصلة النهائية لن تكون في مصلحة الشعب والبلد؟ أم أن الانتخابات المبكرة بنتائجها المجهولة ستكون هي الخطوة القادمة؟

هذا ما ستكشف عنه نتائج المفاوضات والمباحثات المكثفة المستمرة راهناً بين مختلف الأطراف.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

لم يكن من عاداتهم الموت

منصف الوهايبي

ينسب إلى بيكاسو أنّه قال ذات يوم: «في سنّ الستّين، يبدأ شعور المرء بأنّه فتى. ومع ذلك فقد فات الأوان». ولا أدري تحديدا متى قال ذلك، ويبدو من ظاهر العبارة، أنّه قال ما قال وقد تخطّى هذه السنّ. وقبله بقرون، قال الشاعر المخضرم سحيم بن وثيل الرياحي:

وماذا يدّري الشّعراء منّي/ وقد جاوزت حدّ الأربعينِ

وهو من قصيدته التي اشتهر مطلعها أكثر منه، بل توهّم البعض أنّه للحجّاج بن يوسف:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا/ متى أضع العمامة تعرفوني

وليس هنا مجال الخوض في الشاهد النحوي على أنّ نون الجمع قد تعرب بالحركة على النون، في قصيدة على الوافر مكسورة القافية؛ إذ جاءت «الأربعين» مكسورة النون، لضرورة الشعر. إنّما تعنيني دلالة البيت، وقد روي باختلاف يسير (يبتغي محلّ يدّري). وأنا أميل إلى الفعل «يدّري» الذي يحمل في هذا السياق، على معنى الختل والخديعة؛ وهو يناسب غرض الفخر الذي تنضوي إليه القصيدة. وحاصل البيت إنّ المتكلّم تخطّى الأربعين «وشاخ»، وجرّب ما جرّب من تقلّبات الأيّام والناس، وعرف الخديعة والمكر؛ فلا شيء ينطلي عليه أو يتمّ، من طمع الشعراء في خديعته. وشتّان بين صاحبنا سحيم «شيخ في الأربعين» وبيكاسو «فتى في الستّين»، بل بين سحيم والأمريكي هنري ميللر الذي يقول: «في الأربعين فقط، بدأت حقّا أشعر بالفتوّة، وكنت في تلك السنّ مهيّأ لها»، ويقول وهو في انعطافة الثمانين إنّه أكثر مرحا ممّا كان في سنّ العشرين أو الثلاثين. وأين هو من الشاعر العباسي عَوف بن مُحَلِّم الخزاعي:

إن الثمانين وبُلِّغْتَها/ قد أحوجتْ سمعي إلى ترجُمانْ

وأبلغ منه قول ابن حمديس في وصف عصاه:

كأنّها وهي في كفّي أهشّ بها/ على الثمانين عاماً لا على غنمي

كأنّني قوسٌ رام وهي لي وترٌ/ أرمي عليها رميَّ الشيب والهرمِ

بل بين بيكاسو ومحمود درويش:

فلتحتفلْ مع أصدقائكَ بانكسار الكأس

في الستين لن تَجِد الغَدَ الباقي

لتحملَهُ على كَتِفِ النشيد، ويحملكْ

وليس هنا مجال الاستفاضة في تصوّر العرب للعمر، وفيه لطائف لا نزال نديرها على الستنتا، فنقول لامرأة الرجل وإن كانت شابة: هي عَجُوزُهْ، وللزوج وإن كان حَدَثاً: هو شَيْخُها. بل يقال في الفصحى كما في العاميّات، للرجُل عَجُوز وللمرأة عَجُوز. ولا مجال أيضا لبسط القول في مواقف الشعراء والفلاسفة من الموت، فهذا مبذول للقارئ. وإنّما هذه وقفة أملاها رحيل هؤلاء المبدعين الذين أتاحت لي ملتقيات الشعر أن أتعرّف إليهم؛ عن بعد وعن قرب، مثل نزار قبّاني وعبد الوهّاب البيّاتي ومحمود درويش وسميح القاسم ومحمّد الصغيّر أولاد أحمد وأمجد ناصر ومحمد القيسي وعزّ الدين المناصرة ومريد البرغوثي وآخرهم سعدي يوسف... هكذا صرنا كلّما هرمنا، نرى أصدقاءنا مثلهم مثل كلّ الكبار الاستثنائيّين الذين غنمنا من صداقة نصوصهم، يرحلون الواحد تلو الآخر. أمّا لماذا هم استثنائيّون، فلأنّ أبطال المجتمع الليبرالي الحديث، كما يقول ريتشارد رورتي، ليس العلماء أو الفلاسفة؛ بالمعنى الذي استتبّ للفلسفة قديما، وإنّما هم الأدباء والروائيّون والشعراء. وحجّته لذلك أنّ الشاعر يضفي على الحياة معنى، فيما غيابه يفضي إلى تصحّرها. والمسوّغ لذلك في تقديره، أنّ الخيال منبع للحرّيّة، بما هو مصدر للغة؛ فالشعراء أمراء الكلام مثلما هم أمراء الخيال؛ لما يمتلكه الشعر من قدرة على التحرّر من كلّ قيد، وهو المُشرع على التعدّد والتنوّع. بل هو يذهب إلى القول بأنّ الشعر «سرٌّ إلهيّ إذ هو مرتكز المعرفة، ومجال فهم العلم وسنده، مثلما هو في الوقت نفسه، مصدر لكلّ أنساق التفكير الأخرى». ولكنّه في نظره، ليس بديلا لديانة توحيديّة، ذلك أنّ وظيفته أسمَ بصيغة لائكيّة لنوع من تعدّد الآلهة؛ بدأ أو نشأ مع الرومنطيقيّين.

ولذلك نحزن عندما نرى شاعرا أغنى حياتنا، يرحل؛ وقد كاد يرسخ في أذهاننا أنّ الموت ليس من عاداته. لكن عزاؤنا أن كلّ هؤلاء أحياء عند قرّائهم يرزقون. ومع ذلك لابدّ من إشارات خاطفة، حتى يتّضح السياق الذي أنا به؛ ففي العصور السحيقة، كانت الأبيقورية تدحض فكرة الموت؛ فهو في تصوّرها لا شيء. وهو موقف تلقّفه فلاسفة الأزمنة الحديثة مثل سارتر الذي يضع فكرة الموت خارج المشروع الوجودي. على حين أنّ هيدغر يبذل قصاراه حتى يتعرّف إليها في غور سحيق من أعماق تجربتنا، أو ما يسمّيه (الكينونة ـ من أجل ـ الموت)؛ وأنا هنا إنّما أترجم العبارة عن الفرنسيّة، ولا أعرف الأصل الألماني. ولعلّ استعمال «لام المآل» التي تأتي لبيان العاقبة أفضل، وأكاد أقرّر حدسا أنّ الأصل يناسب قول أبي العتاهية «لِدُوا للموت» أو لأقل «الكينونة للموت».

في شعرنا العربي الحديث، أكاد لا أستثني سوى شاعرين استغرقتهما تجربة الموت على نحو لافت هما بدر شاكر السيّاب ومحمود درويش. وأحدس من شعر درويش، ومن حواراته أنّ لغته ترتبط بالعمليات الذّهنيّة على قدر ارتباطها بالأشياء. وأظنّ أنّ هذه مزيّته. وعلى حبّي لتجربة سعدي يوسف الشعريّة ــ ولا تعنيني هنا مواقفه السياسيّة ــ وهي تجربة كان لها أثر في شعر درويش في مرحلة ما، وفي بعض أبناء جيلنا؛ فأنا أقول كلّما سُئلْتُ عن الفروق بين الشاعرين إنّ شعريّة سعدي هي شعريّة الأشياء، والقدرة الفائقة على ملامستها باللغة، وهو الشاعر الماهر في استخدامه الخاصّ للغة وتطعيمها ونحتها؛ وتخليصها من الإسراف في التّنغيم، وهو الذي يعيد تركيبها في الميدوم/ الوسيط الشعري؛ وذلك كلّما تخفّفت الشّعريّة من شعريّتها أو ممّا زاد منها على الحاجة أو من فاقد القول.

وفي هذا يلتقي الشاعران، ولكنّ درويش يضفي على الأشياء هذا البعد الذهني أو الميتافيزيقي العميق؛ وكأنّه يكتب تحت وطأة حسّ فقدانها. ولذلك نقف في «سرير الغريبة» و«كزهر اللوز أو أبعد» و«أثر الفراشة» و«لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي»... على الشاعر في محمود أي المستبصر المتأمّل في هويّة نصّه أكثر من هويّته الفلسطينيّة، وفي موته وقد امتلأ بكلّ أسباب الرحيل؛ وليس الفلسطيني في محمود. وقد يكون في تجربته مع الموت ما يغري بعقد مقارنة بينه وبين السيّاب، أكثر ممّا بينه وبين سعدي الذي كان يعيش حياته بالطول والعرض؛ حتى في آخر ما كتب، أي وصيّته بحرق جثمانه. وقد يكون في هذه المقارنة وجه حقّ، فما يجمع هؤلاء هو هذه القصيدة الجديدة المتحرّرة من «الدغمائيّة الدينيّة»؛ فلا أحد منهم كان يغْذُو الرجاء في عالم مغارق أو مثاليّ، أو كان «في انتظار غودو» الأصمّ الأبكم، أو هو كان كالفيلسوف الميتافيزيقي الذي ينشد «تخطّي الزمن والصدفة». وفي ما عدا ذلك، ودون أن أقطع بجواب، أو أنزع إلى صيغة التفضيل؛ فالسيّاب في قصائده عن الموت، «غنائيّ» وبكّاءٌ شكّاء؛ وليس دراميّا. وتجربة درويش مع الموت؛ أعمق بكثير من تجربة السيّاب، حيث الذات تكابد المرض، موكولة إلى قدرها، وهي تعاني من وطأة عالم ثقيل أعمى؛ لا طاقة لها على تحمّله. ودرويش سواء في «جداريّة» وهي منحوتة رمزيّة، أو في «لاعب النرد» وهي أشبه بـ«قصيدة الختام» التي يلقيها الممثّل عند انتهاء المسرحيّة، ذو نفس «ملحميّ» وهو ينقلنا بسلاسة إلى عالم العزلة أو العدم، والـ«بشارة» بزمن الريبة والشكّ؛ وليست بـ«هذيان في غمرات الموت» كما هو في قصيدة مالارميه. ولا أحبّ أن أحصر مرموز القصيدة عند درويش في معنى الموافقة أو المصادفة، حيث يغدو كلّ شيء «صُدفويّا» أو محلّ ريبة، بما في ذلك المطلق الديني أو الميتافيزيقي.

و«لاعب النرد» قصيد غريب، على بساطته الخادعة، ولا شبيه له بقصائد محمود. ولا صلة له بـ«رمية النرد» لمالارميه، أو بمدارها الشعري؛ وهو على «معلّم» أو «ربّان» تغرق سفينته، ولكنّه قبل أن تبتلعه الأمواج، ويقضي الأمر يتأهّب لرمي زهر النرد، في تحدّ صارخ، لسماء لا تستجيب للهوف. ومهما يكن، فعالم الموت يظلّ لونا من الحقائق اللّطيفة ومن دخائل الذّات؛ ونحن «مائتون» جميعا، لكنّ الميّت يموت وحده.

على أنّ ما يشدّني أكثر عند بعضهم، هو ما أسمّيه «الموت المرح» كما في قصيدة سعدي الأخيرة، وهي وصيّته كما أسلفت: «... الآن استرحتُ كما أردتُ: وصيّتي كتبتُ/ وكُلفة مَحرَقي دُفعتُ/ إذًا، فلاقترحْ نخْبا/ لأرفعْ عاليا كأسي الرويّةَ/ إنّني أحيا». وكأنّه هنري ميللر يقول وهو في الثمانين، بروحه الطليقة، إنّه بتقدّم السنّ الذي لا يعنيه؛ بل ينفيه: «مثلي الأعلى الآن أن أتحرّر من كلّ المثل العليا، من كلّ المبادئ، من كلّ النهايات، ومن كلّ الإيديولوجيات. أريد أن أغوص في محيط الحياة، كالسمكة في البحر».

كاتب من تونس

برنامج الأغذية العالمي في إقليم تيغراي الإثيوبي

قال تومي تومبسون منسق الطوارئ في برنامج الأغذية العالمي أمس إن البرنامج استأنف توصيل المساعدات إلى إقليم تيغراي الإثيوبي، لكنه أضاف أن البرنامج يواجه مشكلات مستمرة في الوصول، وأنه «متأخر بشدة» في توصيل إمدادات ضرورية لمن يواجهون خطر المجاعة.

ويوم الاثنين قالت الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي التي كانت تحكم الإقليم إنها استعادت السيطرة على العاصمة مقلي بعد قتال استمر نحو ثمانية أشهر.

وقال تومبسون «علق برنامج الأغذية العالمي عملياته لنحو 48 ساعة فحسب، وبعدها سرعان ما بدأنا العمل في الشمال الغربي وربما ننجح بحلول مطلع الأسبوع في الوصول إلى نحو 40 ألفا».

لكنه عبر عن «تفاؤل حذر» بإمكانية إقامة جسر جوي في الأيام المقبلة لتسريع توصيل المساعدات.

ليس من سلف أو خلف في الإبداع: سيرورات اللاتناهي في الأدب

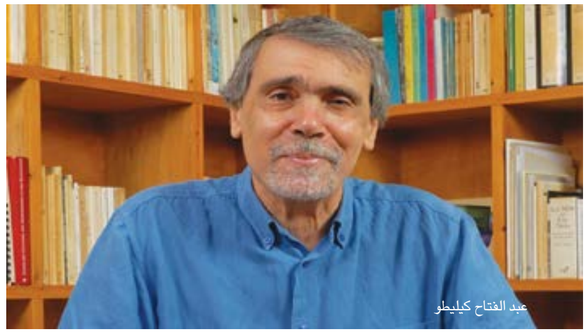
عبد الفتاح كيليطو

بورخيس

إبراهيم محمود

لقد ضمن أبديتَه، جسده الذي لا يبلى بعمله هذا، وهو إذ يشير إلى كالفينو، إنما لا شأن له بمسقط رأسه، أو بإيطاليته، وإنما باسم محرّر من تبعات الزمان والمكان المؤطرين. لقد أوجد كالفينو بانثيونه الذاتي، أولبه بمصادقته للاتناهي!

ربما بورخيس في انتظارنا الآن، وله حق علينا، حق لا يمكن تجاهله، لحظة أخْذ العلم بأنه من بين كثيرين، وربما في واجهة الذين كانوا يودعون كتابته في اللاتناهي، أو يودعون اللاتناهي ما هو منشود، فلا يعود جسد بورخيس، بكل أنسجته وخلاياه، إلا الجسد المرفَّه بما هو أبدي.

هناك أكثر من شاهد عيان له في ذلك، رغم أنه في كل ما كتب، من مقال مركّب، أو شعْر يشع داخلاً، أو قصة وحيدة اسمها بالمقابل، انشغل بنشوة اللاتناهي، كيف يستنطقه بورخيسياً: لكم أسرتْه «ألف ليلة وليلة» فهي كتاب لا ينتهي. كان شعوراً مائزاً منه أن الذي تسلل إلى داخلها، وهي بنسَبها الليلي، يحمل السر الكائن الحي، والحياة. وذلك ما يمكننا تبيّنه في أمثلة حيّة أخرى.

كاتب اللاتناهي هذا في الأدب، كمفهوم إبداعي مجازي على موته الذاتي بينه وبين نفسه، ليتمكن من مزاولة حياته التي تجيز له ارتحالاً في الأبدي. ليس من حل وسط في هذه العلاقة.

الروائي إيتالو كالفينو كان مسكوناً بالجمرة الكونية للاتناهي، «المدن اللامرئية» ترجمة بارعة لهذا النشدان الفضائي، حين يركّز في محاضرته عن «الدقة» ضمن إطار «ست وصايا للألفية القادمة عن تعددية الوجوه، النصوص، الحيوات في كتابي «مدن لامرئية» تزدوج كل قيمة وكل مفهوم، حتى مفهوم الدقة». ذلك تعبيره. دون ذلك، من الصعب أو المستحيل بمكان معايشة مناخه الأدبي، أي ما يمنح قارئه في كل عملية قراءة رشفة مضافة من إكسير اللاتناهي.

لعلّ ذلك يتأكد لحظة التأكيد على نقطة مفصلية لافتة هنا، وهي أن الامتلاء بالتعة المميّزة لما هو أدبي وحيد اسمه متعة عصية على الترجمة، على التوصيف، لأنها تتناغم مع تلك المتعة التي عاشها كاتب نصه المقروء، وهي يعيش لاتناهيه الذي يمده بأسباب البقاء أزمنة تترى.

في وسْع قارئه هذا أن يقول: يا له محلّق فضائي، له سراحاً باسم اللاتناهي كونياً. المكتبة في اسمها خلاصة أكوان، حيوات لا تعطى لأي كان.

ولعل بورخيس، فيما عرف به، كان يعيش متعة اللاتناهي، ورحل دون أن يترك وراءه أي كلمة سر، لمن لديه رغبة في المثل. الأدب لا يورِّث، إنما يجري توليده من الداخل. هنا، لا يمكنني تخيل عدد المرات التي مات فيها بورخيس الأرجنتيني، وبرز بورخيس الإنسان المضي عليه كونياً، وليس في مقدوري، ولا كان في حساب لي، ذات لحظة، أن أتحرى حقيقة كهذه، لأن ليس من دليل محدد. ثمة دليل واحد: لامرئي: كيف يمكن لأحدهم أن يعيش فناءه السعيد، استعداداً لبقائه السعيد والصامت. ولهذا، ليس من سلف أو خلف في الإبداع. لأن اللاتناهي لا يُسمّي جينة معينة، ليجري احتكارها، بصيغة ما، إنما يعلِن عن انبثاقه في من قدِّر له أن يكون محمولاً به. بالطريقة هذه، يتقدم التأويل بلاتناهيه، في الوقت الذي يفرض شروطه، وهي أن الارتحال خارج الحدود الموصوفة، خارج المتداول، بين أزمنة موزعة، شرط رئيس لهذا التفاعل.

وفي التأويل المعتبر مفتوحاً، كان في مقدور أكثر من حاول تمثّل بورخيس، بطريقته الخاصة، أي عبدالفتاح كيليطو في كتابة مقالات لا تخفي خفة «الكائن التي لا تحتمَل»، ولا تخفي هذه القفزة فوق «الهاوية» في كل عملية كتابة، انتقالاً مستمراً إلى الجانب الأرحب للذات.

هـذا التوصيف الـذي يسهّل علينا رؤية حراك اللاتناهي في أسلوب كتابته، في «الأدب والغرابة» الذي لا يعدو أن يكون ترجمة تفاعلية لمعايشته لما هو بورخيسي، وليصل هذا الانتشار مداه الأعلى في «العين والإبرة» دراسته في ألف ليلة وليلة. ذلك يسمح لنا، لي، بالقول الذي قد يقوّم على أنه شطح بلاغي: احفروا في كتابة كيليطوية، تعثروا على ظل لبورخيس.

هذه ليست تهمة تسلق، أو طفالة أدب، إنما مصادقة ومفارقة في الوقت نفسه.

أوليسَ الذي استهل به ميشيل فوكو في مقدمته لـ«الكلمات والأشياء» مستنداً إلى كائنات بورخيس الخيالية، وملؤه ضحك «والضحك البورخيسي، بموزّده الفوكوي صنعة لاتناه» ليقول في أشيائه ما يرجع بكلماته إلى الوراء، كوّن الشيء أوسع وأبلغ وأعمق وأكثر معان من اسمه الواحد، أي ما يجعل الفكر نفسه، وهو توأم إبداعي هنا، مأخوذاً بفتنة اللاتناهي المعضَّدة.

سأمضي هنا إلى نقطة أخرى ذات صلة بالفن، بالرسم، ومع جاك دريدا، حين اسطَلسَ (من الأطلس) مفهوماً فلسفياً ألمانياً في الأصل لـ«بارغون»، في كتابه «الحقيقة في الرسم». ما الذي دبَّره دريدا في مقام اللاتناهي بارغونياً؟ إنه ما يخرجه من جسده الرائي، من كتلته المقدَّرة بوزن وطول وخلافهما، إلى مضاء اللامحدود، أي ما ينزع عن اللوحة إطارها، ما يكون نعياً نهائياً لسلطة المتن، وتأكيداً للهامش على أنه لم يعد المقصي، والمنبوذ أو المركون جانباً. في مفهوم البارغون ليس من داخل أو خارج، ليس من عمق حسابي، إنما هو هذا الانفتاح على ما يصله باللاتناهي، أي ما يتحقق به شرط الإبداع بالذات.

وفي الحديث عن الداخل والخارج، يكون التعيين، التخصيص، القبل والبعد، الوراء والأمام، الأسفل والأعلى...الخ، أي كل تبعات الآني، أو الوقت، أو السريع الزوال أو العطب.

إنه شعور مضاعف، وبطريقة أخرى، وما أكثرها طرق الإبداع ضمن أرومة اللاتناهي طبعاً، بما هو قائم لمن يعيش هاجس الآخر الأقصى في روحه، أبعد مما فئوي، تكتلي، جانبي...

ذلك لا يعني أن كل من عرف بعلامة فارقة لاتناهياً، إنما أمَّم على روحه من كل نقد أو مساءلة. بالعكس، لقد ضمن لروحه ما ليس في مقدور سواه تفعيل ذلك، أي كيفية التفاعل مع ما لا يتناهى من القراءات، وهي في أس أساسها، نتيجة لا تُختَتم لإرادة التجاوز اليومية إبداعياً.

آأقول مجدداً، وليس من باب عود على بدء: في التناهي، ثمة ما هو حسابي، ما يكون نقطة استناد جسمية، فكرية، تخيلية، أو تصورية، وليس من بدء دون إحداثية خرائطية حسية، لكن محرّك الفعل النفسي هنا، مجاز مضاعفاً، أي في سعيه الحثيث لأن ينطلق جهاتياً، ولا يعود ذاك الذي انطلق. فمن يعيش أبعاد اللاتناهي، لا يعود لديه أي تفكير بالتناهي، أليس لأن الذي انشغل به هو في الخطوة غير المسبوقة، والمسجَّلة له: حين أمات اسمَه الثلاثي، وعمّد له اسمَ آخر لا يشاطره فيه أحد، حسَباً أو نسباً عن قرْب، وعن بُعد، يعلو به مسمّاه على قدر امتلائه باللاتناهي!

رحلة آدم حنين في «قصر الفنون» في القاهرة: معرض استعادي يجسد تجربة راهب النحت المصري

الرحلة

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

«لقد حررني الفن الغرعوني من وطأة الإحساس بالزمن، بمعناه المادي الواقعي الضيق، وفتح عيني على زمن آخر، متراص، زمن الأبدية والخلود .. زمن الفن» (آدم حنين). تعد تجربة الفنان آدم حنين (31 اذار/مارس 1929 ـ 22 ايار/مايو 2020) من التجارب الفارقة في الفن المصري الحديث، والتي تعد في الوقت نفسه حالة من الاستمرارية للفن المصري القديم، حالة تقاطع معها الوعي الحدائي، لتتخذ منحوتات تحمل تبجيلاً لإرث فني وثقافي لا يمكن نسيانه. جاءت تجربة حنين ضد الزمن، فلا يحكمها زمن يمكن أن تنتمي إليه، بل تتجاوزه ـ رغم تطور الأسلوب ـ لتصبح سمة هذه الأعمال البقاء، والتحاور الدائم مع الفراغ، حالة من السكون والمهابة والغموض في الوقت نفسه، لتقترب هذه الأعمال أكثر من فلسفة الروح المصري القديم.

وتحت عنوان «الرحلة» أقيم المعرض الاستعادي للفنان المصري آدم حنين في مجمع الفنون «قصر عائشة فهمي» في القاهرة. ضم المعرض ما يُقارب المئة وخمسين عملا فنيا، تمثل تجربة حنين الممتدة منذ منتصف القرن الفائت وحتى رحيله.

تأتي أعمال آدم حنين في تنوعها ما بين المنحوتات والـرسـوم، والـتـي استخدم فـي تنفيذها العديد من الخامات، كالحجر والغرانيت والجص. جاءت البدايات في تكوينات بسيطة، وكـان الـمـوضـوع هـو شاغلها الأساسي، نلحظ ذلك في أعمال مثل، فاطمة، الزمار، وأم الشهيد. وكلها أعمال تنتمي لفترة الخمسينيات من القرن العشرين. أما الستينيات فكان الاختزال سمتها، كما أصبح حنين يهتم بالحيوانات والطيور، كمخلوقات تتعايش معها وتستحق التبجيل، ومنها الماعز، القطط، الـكـلاب، الخيل، الحمير، والـبـوم، وهـو الطائر الذي جسدته منحوتات حنين في أكثر من عمل، وهو امتداد آخر للفن المصري القديم، الذي نراه في المعابد وجدرانها. أما السبعينيات والثمانينيات، أصبح معها التجريد أو الاختزال أكثر، وأصبح الاهتمام أكثر بما هو كوني، كالشمس والقمر، وكأنها حالة من التسامي يحاول الفنان الوصول إليها. ثم تأتي «السفينة» وهي التي تشبه سفينة نوح، وفيها جمع حنين مخلوقاته بحثاً عن النجاة. أطلق حنين على عمله هذا «سفينة الشمس ـ سفينة الحـيـاة» وهـي تشبه أكثر مراكب الشمس الفرعونية ـ المراكب الجنائزية ـ التي كانت توضع في المقابر الفرعونية كي تصحب الملك إلى العالم الآخر. وبها يضع حنين العديد من منحوتاته الفرانيتية، وتماثيل من البرونز، وتماثيل لوجوه من البشر والطير والحيوان، كالبومة الشهيرة وحمارين يتصدران مقدمة السفينة. ورغم التماس الأسطوري مع عالم مضى، ذاهب إلى العالم الآخر في رحلة أخرى، وتكوين يتشابه أكثر وأساطير الكتاب المقدس ـ سفينة نوح ـ هنا أيضاً تبدو دلالة العمل أكثر، ما بين غياب أكثر إلى عالم أخروي تسوده العدالة، أو نجاة من طوفان مرتقب!

فكرة النجاة هذه يتحدث عنها حنين بشكل آخر، فكرياً وروحياً بالأساس «مع تراكم الخبرة أصبح لديّ مقياس قوي، أقيس عليه رؤيتي للفن والحياة، هذا الميزان هو الفن الغرعوني، وقد عصمني من تشوهات بصرية وفنية، والانضواء تحت راية مذهب أو تيار أو مدرسة فنية، كالانطباعية والسوريالية والتكعيبية وغيرها، فرغم أني أفدت منها جميعا، فإنني كنت أحس دائما بأنها غريبة عن طينتي وتربتي».

التجريد والاختزال

تأتي أعمال آدم حنين، سواء المنحوتات أو التصوير في أسلوب يميل أكثر إلى التجريد، لكنه تجريداً ليس كما هو الشائع أو المتبع في التعامل مع اللوحة أو الكتلة، بل تجريد يتخذ من فعل التشخيص مبدأ له، أو نقطة انطلاق، فلا هو مُبهم تماماً، ولا هو تشخيص معهود كما في أعمال محمود مختار مثلاً. فأسلوب حنين حافظ على جلال الشكل وغموضه، من دون ضياع معالمه تماماً، حتى باتت كائناته ومخلوقاته أقرب إلى أشكال أسطورية، ابتدعتها مخيلة الفنان. كما في تمثالي «أم كلثوم» على سبيل المثال، ومعظم منحوتات الطيور والحيوانات، وحتى المنحوتات التي تمثل حالة فكرية مجردة بذاتها. هنا يقترب أكثر من الرسومات البدائية، التي يمكن مطالعتها على جدران الكهوف، كما خطّها الإنسان البدائي.

من ناحية أخرى نلحظ أن لوحات آدم حنين تتبع الأسلوب نفسه، حتى أنه قد يرسم اسكتشات لمنحوتات مستقبلية، قام بتصميم بعضها، وترك البعض الآخر. وكانت تجربة حنين في رسم لوحات «رباعيات» صلاح جاهين دليلاً على النهج نفسه، ما بين أشكال تبدو وكأنها ثلاثية الأبعاد «منحوتات» وأشكال أخرى تمثل حالات من التصوير الشعبي الحكايات الشعبية.

الأمـر نفس يتكرر في تعامل حنين مـع الـوجـوه، فيرسم الوجه موضحاً حالته، دون تفاصيله، حالة صاحب الوجه هي التي يستشعرها الفنان ويعبّر عنها، بورتريهات مرسومة على ورق البردي، لتبدو وكأنها مرسومة فـوق جـدار قـديم، وهـو ما يتواصل وشكل المنحوتات فوق الجدران. كذلك أعاد حنين إحياء تقنيات قديمة مثل الرسم على أوراق البردي بأصباغ طبيعية ممزوجة بالصمغ العربي أو تقنية الرسم على الجص التقليدية.

الرؤية

ويرى حنين من خلال العديد من الحوارات الصحافية أو المقابلات والندوات، أنه رغم تأثره بعدة فنانين غربيين، أهمهم هنري مور، قسطنين برانكوزي، وأرتولد مارتيني، إلا أنه كان دائم التساؤل حول مسألة الهوية والانتماء من خلال الفن ـ لا الكليشيهات ـ فيقول، «تعلّمت أموراً كثيرة في الرحلة الطويلة، لكن ما هو ممتد معي من البداية هو اهتمامي بالرؤية المصرية بحيث تكون رؤيتي وبصيرتي مصريتين خالصتين، فبعد دراستي لخمس سنوات في كلية الفنون لم يكن أمامي مثل أعلى على قيد الحياة، فمحمود مختار الذي أحبه كان قد رحل والموجودون في ذلك الوقت كانوا يعملون تقليداً غير مستساغ لمختار، فأحدث هذا لدي نوعاً من التمرد وأثار داخلي أسئلة عما أريد أن أكونه، هل ساكون كالمصريين القدماء أم كالأوروبيين؟». وأختار الرجل بالفعل استكمال طريق الفن المصري القديم، في رؤية معاصرة واعية، من دون تكرار أو تقليد أسلوب فني قديم، أو انبهار عديم البصيرة بالغرب.

...

ولد آدم حنين (صموئيل هنري) في حي باب الشعرية بالقاهرة عام 1929. تخرج عام 1953 في كلية الفنون الجميلة. سافر في منحة دراسية إلى ألمانيا لمدة عامين، لاستكمال دراسته بأكاديمية الفنون الجميلة بميونخ تحت إشراف أنطوني هيلر. أقام في النوبة من خلال منحة التفرغ في الفترة ما بين 1961 حتى 1969. سافر حنين إلى باريس في بداية السبعينيات، واستقر بها حوالي ربع قرن. عاد بعدها للمشاركة في ترميم تمثال أبو الهول عام 1990 كما أسس سمبوزيوم النحت الدولي في أسوان وأشرف عليه منذ بدايته عام 1996.

نال حنين العديد من الجوائز، منها، الجائزة الكبرى لبينالي القاهرة الدولي 1992 وجائزة الدولة التقديرية في الفنون، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عام 1998 وجائزة مبارك عام 2004.

تحقيقات

مع دعم البرلمان العربي حقوق المغرب السيادية في سبتة ومليلية المحتلتين

باحثون مغاربة يستشرفون لـ«القدس العربي» آفاق الأزمة بين الرباط ومدريد

الرباط ـ «القدس العربي»: الطاهر الطويل

حينما تأجّل اجتماع اللجنة العليا المشتركة بين المغرب وإسبانيا مرتين، مرة أواخر العام الماضي، ومرة في شباط/فبراير المنصرم، أُعطيتْ مبررات تتعلق بظروف وباء كورونا. لكنّ مراقبين رأوا في ذلك مؤشرًا على منعطف رمادي تمرّ به العلاقات بين البلدين الجارين، خاصة مع توقيع الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب على وثيقة الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء، خلال الأيام الأخيرة من ولايته، وتوالي صفقات التسلح بين البلدين، ومشاركة المغرب في مناورات عسكرية مكثفة، جوية وبرية وبحرية، بجانب الولايات المتحدة الأمريكية.

مياهٌ كثيرة جرت تحت جسر العلاقات المغربية ـ الإسبانية، وبَدَا أن مدريد تنظر بعين الريبة إلى حرص المغرب على التزود بأحدث أنظمة التسلح من واشنطن وبكين وأنقرة، مثلما عبّر عن ذلك صراحة عدد من المحللين في وسائل إعلام إسبانية.

ومن جهة أخرى، كان لقرار المغرب إغلاق الحدود مع سبتة ومليلية، خلال الأيام الأولى من بداية انتشار وباء كورونا العام الماضي، الضرر الكبير على المدينتين المحتلتين اللتين ينبني اقتصادهما على «التهريب المعيشي» بشكل كبير، وأطلقت صحف إسبانية محلية نداء من أجل فك الخناق على السكان، خاصة مع المعاناة المستمرة جرّاء أفواج الهجرة السرية، لا سيما لمواطنين من بلدان جنوب الصحراء؛ علما بأن الرباط ومدريد كانتا لسنوات عديدة تكثّفان تعاونهما الأمني في مجال محاربة تهريب البشر، فضلاً عن التنسيق في ميدان مكافحة الإرهاب والتطرف.

موازاةً مع الحركية الدؤوبة التي أطلقتها السلطات المغربية من أجل ضمان تمثيليات دبلوماسية لأقطار أفريقية وعربية وغيرها في مدن الصحراء، أعطت إسبانيا إشارة في الاتجاه المعاكس، من خلال استضافة زعيم جبهة «البوليساريو» الانفصالية، إبراهيم غالي، بمبرر متابعة الاستشفاء من إصابته بكورونا، وهو ما أغاظ مسؤولي الرباط الذين سرعان ما عثرت استخباراتهم على صيد ثمين استثمروه في الحرب الدبلوماسية مع نظرائهم الإسبان، يتعلق الأمر باكتشاف أن زعيم الانفصاليين الذين ينازعون المغرب في صحرائه، دخل إلى إسبانيا بجواز سفر جزائري مزور وباسم مستعار هو «محمد بن بطوش».

الرد جاء سريعًا من المغرب، حيث غضّ الطرف عن آلاف المهاجرين الذين تدفقوا فجأة في وقت واحد على سبتة المحتلة المجاورة لشقيقاتها من المدن المغربية. وحين احتجّت إسبانيا على ذلك، تلقّت جوابًا حاسمًا، مفاده: «لا يمكننا أن نقوم بدور حارس الحدود لصالحكم؛ احموا حدودكم بأنفسكم!».

وسارع البرلمان الأوروبي إلى إعلان تضامنه مع إسبانيا مُنتقدًا سياسة الرباط في مجال الهجرة السرية، ومعتبرًا سبتة ومليلية مندرجتين ضمن حدود أوروبا. في المقابل، كسب المغرب تضامنًا قويًا من لدن العديد من بلدان القارة الأفريقية، كما أعلن البرلمان العربي اصطفافه الواضح إلى جانب المغرب، مؤكدًا على أن المدينتين المحتلتين جزء لا يتجزأ من الأراضي المغربية، وبالتالي طالب بفتح ملفهما المُخَلّف من الحقبة الاستعمارية.

وبقدر ما صعّد المغرب من حدّة الخطاب، بقدر ما سعت إسبانيا في الآونة الأخيرة إلى تليين الموقف، من خلال تصريحات بعض سياسييها، لا سيما أمام موجة الانتقادات الحادة التي ووجهت بها حكومة بيدرو سانشيز على المستوى المحلي.

ومن أجل قراءة أبعاد الأزمة الحالية واستشراف آفاقها، التقت «القدس العربي» ثلاثة محللين أكاديميين، توقعوا احتمال حدوث انفراج في العلاقات، على أساس أن تكون متوازنة وقائمة على الاحترام المتبادل بين البلدين.

إدريس لكريني: التذكير بالنقاط الخلافية

في هذا الصدد، يقول الدكتور إدريس لكريني، مدير «مجموعة الدراسات الدولية وتحليل الأزمات» إن الأزمة الحالية هي أولا محطة لتقييم العلاقات بين البلدين وقياس مدى جديتها، وخصوصا من الجانب الإسباني الذي تنكر لمجموعة من المصالح التي تربطه بالمغرب، سواء على المستوى الاقتصادي أو على المستوى الاستراتيجي أو الأمني.

ويرى أن هذه المحطة سمحت للطرف المغربي تحديدا بتقييم هذه العلاقة وإعادة النظر فيها، نحو إرساء شراكة متوازنة مبنية على تبادل المصالح واحترام حسن الجوار، ومبنية أيضا على عدم الإساءة إلى المغرب. وأضاف قائلا «إن إسبانيا، من خلال هذه الأزمة، عبرت بشكل لا جدال فيه، على أنها تنحو نحو إرساء شراكة انتقائية وغير متوازنة بالصورة التي تابعناها في الآونة الأخيرة».

بالنسبة للمستقبل، يعتقد أستاذ القانون والعلاقات الدولية في كلية الحقوق في مراكش، أنه «بالنظر لطبيعة المصالح المتشابكة بين البلدين، وأيضا واقع الجوار الذي يفرض نفسه بقوة على أجندة الطرفين، سوف يدفع ذلك بالتأكيد إسبانيا إلى إعادة النظر في هذه العلاقة على مستوى احترام مصالح المغرب، وعلى مستوى السقوط مرة أخرى في سلوكات غير محسوبة، قد تكلف مدريد مستقبلا الشيء الكثير، لا سيما وأن المغرب عبّر على امتداد العقود الأخيرة عن جديته في إرساء علاقات متينة تستحضر حسن الجوار».

ومن هذا المنطلق، يرى المتحدث نفسه أن ثمة اليوم نخبا سياسية وأكاديمية واقتصادية إسبانية، ترى بأن السلطات الإسبانية الحالية في تدبيرها للأزمة الأخيرة مع المغرب كانت غير مسؤولة ولم تأخذ بعين الاعتبار المصالح الاستراتيجية لإسبانيا.

وتابع تصريحه لـ«القدس العربي» بالقول «لا ننسى كذلك أن السلطات الإسبانية بعثت مجموعة من الرسائل، التي مفادها أنها حريصة على تعزيز علاقاتها وشراكاتها مع المغرب، بغض النظر عما وقع، رغم بعض السلوكيات التي تتنافى مع هذا الشعار، من قبيل محاولة تحويل النقاش من أزمة بين المغرب وإسبانيا إلى الاتحاد الأوربي، وإقحام موضوع الهجرة... الخ. لكن، في الوقت نفسه، المغرب مصرّ على ضرورة إرساء علاقات متينة بين الجانبين، على عدة مستويات، تجارية واقتصادية وأمنية... في إطار رؤية متوازنة تستحضر كذلك مصالح المغرب الاستراتيجية».

ولاحظ إدريس لكريني أنه سبق للبلدين أن مرّا بأزمات صعبة في الماضي، كما هو الشأن بالنسبة

سبتة

لأزمة جزيرة ليلى، ولكن استحضار منطق المصالح ومنطق العقل والحوار سمح بتجاوز هذه المحطات الصعبة. ويعتقد أن في إسبانيا اليوم عقلاء يفكرون بالمستقبل، مما سيجعل البلدين يتجاوزان هذه المحطة، ولكن باستحضار مصالح المغرب ودون أن تكون هناك ضحية لهذه الشراكة أو العلاقة.

من جانب آخر، يرى أن المغرب استطاع أن يرافع في شأن موقفه، وخصوصا بعد إقحام الاتحاد الأوروبي أمام المجتمع الدولي، بالتأكيد على أن ثمة نقاطا خلافية وأن ثمة مشكلة أساسية مرتبطة باستضافة شخص متهم باقتراف جرائم خطيرة ضد الإنسانية ويرفع السلاح ضد المغرب، وكان من اللازم ألا تستقبله إسبانيا بهذه الصورة، أي باسم مستعار وجواز مزيف.

واستطرد قائلا إنه مهم جدا بالنسبة للمغرب دخول عدد من البلدان الأفريقية والعربية على خط رفض المقاربة الإسبانية وقرار البرلمان الأوربي خصوصا في ما يتعلق بقضية الهجرة. وأوضح أن الأمر شكل فرصة للتذكير بمجموعة من النقاط الخلافية مع إسبانيا، كما هو الشأن بالنسبة لمشكلة سبتة ومليلية المحتلتين، على اعتبار أنهما مدينتان يفترض أن تتعامل إسبانيا معهما بقدر من الجدية، في أفق الحسم في هذه المحطة الاستعمارية التي ما زالت تشكل نقطة سواء في العلاقات الإسبانية ـ المغربية.

كما أشار إلى نقاط خلافية أخرى ما زالت اليوم تتردد في كثير من هيئات المجتمع المدني، وتتعلق بجرائم إسبانيا في شمال المغرب، وخصوصا في ما يتعلق بالغازات السامة والتي خلفت أضرارا كثيرة ما زالت تداعياتها مستمرة لحدود الساعة، بحكم أن إسبانيا كانت مستعمرة لتلك المنطقة، واستعملت الغازات السامة سنوات العشرينيات من القرن الماضي، لصد المقاومة المغربية هناك.

محمد بودن: إطار شمولي للعلاقات

في تحليل الأكاديمي محمد بودن، رئيس «مركز أطلس لتحليل المؤشرات السياسية والمؤسساتية» فإن العلاقات المغربية – الإسبانية مفتوحة على سيناريوهات أساسية وتحديدا سيناريوهيْن اثنين:

ـ سيناريو معالجة الأسباب المؤدية للأزمة وترميم العلاقات وهذا يتطلب تلبية مطالب وتقديم تنازلات للاستفادة من ثمار التعاون.

ـ سيناريو الجمود ونزول العلاقات لأدنى المستويات في حالة استمرار البطء وعدم اليقين.

وقال «لا شك أن المغرب وإسبانيا يحتاجان إلى بعضهما البعض في أقرب وقت لمتابعة أهدافهما الأمنية، لكن في إطار شمولي لعلاقات مبنية على الموضوعية والإنصاف والندية والحرص على المصالح الاستراتيجية».

وأضاف متحدثًا إلى «القدس العربي» أنه «في القضايا الأمنية استطاع المغرب تقديم القيمة المضافة في مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة ومكافحة المخدرات وجرائم المعلومات والحد من تدفقات الهجرة غير النظامية والتعاون القضائي، وأصبح طرفا أمنيا فاعلا في محيطه الجيو سياسي بشهادة الأوروبيين، لأن التزامه مع شركائه ظل دائما عاملا أساسيا في تخفيف المخاوف الأمنية داخل أوروبا بشكل أفضل».

وتابع قائلا «في الواقع تحتاج إسبانيا إلى الجهود الأمنية المغربية أكثر مما يحتاج المغرب للمشاركة الأمنية الإسبانية، لأن أغلب التهديدات ترغب في اجتياز المتوسط والتدفق نحو الشمال». ويرى أن تصحيح إسبانيا لتصرفاتها الخاطئة يمكن أن يمنح فرصة لصمود العلاقات بين البلدين في وجه هذا الوضع الحرج، مشيرا إلى أنه «من غير المرجح أن يلبي الطرفان كل المطالب المطروحة، لكن من المؤكد أن ثمة بحثًا عن حلول لتجنيب العلاقات سيناريوهات قاتمة».

ولاحظ وجود تماثل في بعض الجوانب على مستوى أوراق الضغط، وهذا ما تبلور ـ في تقديره ـ مع دعم البرلمان العربي للمغرب وحقوقه السيادية والتاريخية في سبتة ومليلية المحتلتين. وذهب إلى القول إن هذا المعطى قد يبلور مواقف أقوى وأكثر دينامية بشأن الموضوع في المستقبل، ويضع الملف المحكوم بالأمر الواقع على الأجندات الإقليمية والدولية بصيغة مشابهة لما حصل في ملفي استرجاع الصين لماكاو وهونغ كونغ.

إدريس الكنبوري: «تعريب» الأزمة مع إسبانيا

ويقول الباحث والمفكر إدريس الكنبوري إن الأزمة المغربية الإسبانية ليست أزمة دائمة، لأن البلدين بينهما شراكة وجوار وملفات مشتركة، وتوقع احتمال أن يحصل الانفراج قريبا، خصوصا مع بروز أصوات في إسبانيا، مثل رئيس الحكومة الاشتراكي الأسبق رودريغيث زباثيرو، تنادي بالمصالحة وتجاوز الأزمة الحالية. وقد مرت أزمة مثل هذه وربما أكبر عام 2002 مع جزيرة بيريخيل أو جزيرة المعدنوس كادت تودي إلى أزمة عسكرية، وكان وقتها في إسبانيا حزب يميني في الحكم هو الحزب الشعبي، ومع ذلك حصل الانفراج.

وأردف قائلا «صحيح أن الظروف مختلفة اليوم لأن الملك الحالي محمد السادس، وقتها كان قد تولى الحكم فقط قبل ثلاث سنوات، عام 1999 لكن هذا لا يمس بطبيعة العلاقات التاريخية بين البلدين المبنية على الصراع الصامت ومحاولة تجاوز المشكلات التاريخية العالقة للحفاظ على علاقات مستقرة رغم الكثير من الشك والتوجس، خصوصا من طرف إسبانيا».

أما بالنسبة لقضية سبتة ومليلية، فلا يعتقد الكنبوري أن المغرب اليوم معني بهما، لأن ما يشغل الملك الحالي هو قضية الصحراء، وفي هذا الأفق استثمر المغرب كثيرا في الأقاليم الصحراوية، ووضع مشروع الحكم الذاتي عام 2007 وفتح مفاوضات مع جبهة البوليساريو في مرحلة من المراحل، وطبع علاقاته مع إسرائيل، مقابل اعتراف أمريكي بمغربية الصحراء، لذلك فهو يسعى إلى الحل النهائي لهذا النزاع، ولن يفكر في فتح جبهات أخرى، خصوصا مع إسبانيا.

لكن الإشكال ـ كما يصرح المتحدث نفسه لـ«القدس العربي» ـ هو أن إسبانيا، ومعها الجزائر، تدرك أن استعادة الصحراء سوف تقوي المغرب، وتعطيه القدرة على الاستدارة نحو سبتة ومليلية والصحراء الشرقية، ولذلك هناك مساع إسبانية وجزائرية لعرقلة أي حل في الصحراء.

أما عن موقف البرلمان العربي فأوضح أنه «جاء في وقته كرد على موقف البرلمان الأوروبي الذي ساند إسبانيا ودعم احتلال المدينتين، وحاولت إسبانيا حشر الاتحاد الأوروبي بإدخال سبتة ومليلية في إطار منظومة شينغن حول الحدود الأوروبية». لذلك، يستطرد الباحث المغربي، فإن موقف البرلمان العربي عبر عن مساندته لعضو أساسي في الاتحاد البرلماني العربي، وبذلك نجح المغرب بدوره في «تعريب» الأزمة مع إسبانيا. وختم تصريحه بالأمل في أن تكون هذه بداية جيدة نحو دخول اتحاد البرلمانات العربية على الخط في نزاع الصحراء المغربية، لأن كثيرا من الأزمات العربية سببها الجمود الذي تعيشه المؤسسات العربية الإقليمية وعدم القدرة على اتخاذ موقف في النزاعات العربية، حسب تعبيره.

ميديا

انتقادات واسعة للسلطة الفلسطينية بسبب الاعتداء على الصحافيين

لندن ـ «القدس العربي»:

تعرضت السلطة الفلسطينية إلى موجة انتقادات خلال الأيام الماضية بسبب الاعتداءات التي تعرض لها المحتجون في الضفة الغربية والذين تظاهروا للتنديد بمقتل الناشط السياسي نزار بنات، فيما أصدرت مؤسسات حقوقية تطالب بحماية الصحافيين وعدم التعرض لهم خلال أداء عملهم في المدن الفلسطينية.

وقالت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا «إن استمرار أجهزة الأمن الفلسطينية في ممارساتها القمعية والتي طالت صحافيين ونشطاء بعد مقتل الناشط نزار بنات يؤكد على أن تلك الجرائم منهجية تتحمل مسؤوليتها السلطة الفلسطينية بشكل مباشر والتي وفرت الإفلات التام من العقاب لمرتكبي تلك الجرائم حتى الآن».

وأوضحت المنظمة أن القوات الأمنية الفلسطينية عمدت على مدار اليومين الماضيين إلى استخدام العنف المفرط والقوة –غير المبررة– مع التظاهرات الشعبية التي خرجت احتجاجاً على مقتل الناشط نزار بنات بعد اعتقاله بساعات إثر تعرضه للضرب المبرح والتعذيب.

وأضافت المنظمة أن الشرطة استخدمت الرصاص المطاطي والهراوات وقنابل الغاز المسيل للدموع لتفريق المظاهرات التي شهدتها مدينة رام الله السبت والأحد الماضيين عند دواري المنارة والساعة، كما تم الاعتداء بصورة وحشية على الصحافيات المشاركات في التغطية بالرغم من ارتدائهن ما يظهر أنهن ضمن الفرق الإعلامية، حيث تم دفعهن وضربهن بالهراوات وتكسير معداتهن.

وذكرت المنظمة أن من بين الصحافيات اللاتي تعرضن للاعتداء ومصادرة هواتفهن ومعداتهن: الصحافية المستقلة شذى حماد، ومراسلة «شبكة قدس» نجلاء زيتون، ومراسلة «الترا فلسطين» و«فلسطين بوست» سجى العلمي، ومراسلة وكالة «وطن» الإخبارية فيحاء خنفر والتي تعرضت للإغماء وتم نقلها إلى المستشفى بعد إصابتها في الرأس، والظهر، والكتف، والحوض.

ولفتت المنظمة إلى أن ممارسات أجهزة الأمن الفلسطينية تصاعدت في الآونة الأخيرة بشكل لافت في أعقاب العدوان الأخير على قطاع غزة حيث قامت باعتقال العشرات واقتحام العديد من منازل النشطاء وسرقة مبالغ مالية ومصادرة أجهزة إلكترونية، لمجرد تدوينات على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة.

وأكدت المنظمة أن «جرائم أجهزة الأمن الفلسطينية وعلى رأسها جريمة قتل الناشط نزار بنات يجب ألا تمر دون محاسبة، ولا يجب أن يُترك المواطنين الفلسطينيين نهبا للانتهاكات المنهجية سواء تلك التي ترتكب من قبل تلك الأجهزة الأمنية أو من الاحتلال الإسرائيلي».

وطالبت المنظمة المجتمع الدولي والدول الداعمة للسلطة الفلسطينية بوقف التعاون غير المشروط معها، واتخاذ ما يلزم من إجراءات لوقف استخدام هذا الدعم في المزيد من قمع الشعب الفلسطيني وسلب حقوقه.

إلى ذلك، أطلق صحافيون فلسطينيون بالضفة الغربية المحتلة حملة لمطالبة الاتحاد الأوروبي والمؤسسات الحقوقية الدولية، بتوفير كل ما يلزم لحمايتهم أثناء عملهم الصحافي.

وقالت الصحافية مجدولين حسونة «أطالب الاتحاد الأوروبي والمؤسسات الحقوقية الدولية، بتوفير كل ما يلزم لحمايتي في أثناء عملي الصحافي وفق ما تنص عليه القوانين» مشيرة إلى أنها «تتعرض برفقة زملائها منذ أيام، لاعتداء وتضييق ومنع للعمل الصحافي بحرية من قبل أجهزة الأمن الفلسطينية».

وكتب الصحافي أمير أبو عرام: «أنا الصحافي الفلسطيني أمير أبو عرام أطالب الاتحاد الأوروبي والمؤسسات الحقوقية الدولية توفير كل ما يلزم لحمايتي أثناء عملي الصحافي وفق ما تنص عليه القوانين، حيث أتعرض برفقة زملائي منذ أيام لاعتداء وتضييق ومنع للعمل الصحفي بحرية من قبل الأمن الفلسطيني».

من جانبها أدانت نقابة الصحافيين الفلسطينيين بشدة «الاعتداءات على الصحافيين والصحافيات، في أثناء تغطيتهم مسيرة برام الله الأسبوع الماضي».

ورأت النقابة أن هذه الاعتداءات التي نفذها عناصر الأمن للصحافيين، تعد تطورا جديدا وخطيرا في سياق الاعتداءات على حرية الرأي والتعبير والعمل الصحافي «التي تمثلت بأبشع صورها في جريمة قتل بنات، وامتدت لاحقا لتطال بالتهديد بعض الصحافيين والمواطنين على خلفية التعبير عن مواقفهم تجاه قضية بنات، واحتجاز صحافي قبل يومين في أثناء تغطية أحداث ليلية وقعت في رام الله».

وأكدت النقابة أن حرية الرأي والتعبير مكفولة بموجب القانون الأساسي الفلسطيني ووثيقة الاستقلال، «وأن حرية العمل الصحافي كفلتها القوانين المحلية والدولية، وأن كل خرق لها يوجب محاسبة مرتكبيه بشكل جدي» محذرة من التمادي في التضييق على حرية الرأي والتعبير والتجمع والتظاهر.

صحة الصحافي الريسوني في المغرب تزداد تدهوراً وأزمة محاكمته مستمرة

لندن ـ «القدس العربي»:

تواصلت أزمة محاكمة الصحافي المعتقل في المغرب سليمان الريسوني والمضرب عن الطعام منذ مدة طويلة، فيما استمرت حالته الصحية بالتدهور داخل سجنه مع استمرار القضاء في رفض إخلاء سبيله والاستجابة لمطالبه، وهو ما اضطر هيئة الدفاع عنه إلى التماس طلب بإحضاره بواسطة سيارة إسعاف.

ورفضت محكمة الاستئناف بمدينة الدار البيضاء التماساً تقدمت به هيئة الدفاع لإحضار الريسوني إلى المحكمة في سيارة إسعاف مجهزة، وتحت إشراف طبي جراء «حالته الصحية المتدهورة» وهو ما أدى إلى تغيبه للمرة الثالثة عن الجلسة التي كانت مقررة الأسبوع الماضي.

وقررت المحكمة الإبقاء على قرارها السابق باستكمال المحاكمة في غيابه، بعدما كان قد اشترط في جلسة سابقة المجيء إلى المحكمة بسيارة إسعاف تحت مراقبة طبية، والمثول أمامها على كرسي متحرك، جرّاء عدم قدرته على الحضور بسبب إضرابه عن الطعام.

والصحافي الريسوني مضرب عن الطعام منذ 83 يوماً بسبب رفض المحكمة تكفيله ومواصلة النظر في قضيته وهو طليق، فيما يقول الريسوني إن القضية التي يُحاكم بها ملفقة وإن السبب وراءها سياسي فقط ومحاولة من السلطات لعقابه على مواقفه السياسية المعارضة للحكومة.

وجلسة الأسبوع الماضي التي غاب عنها الريسوني هي الثالثة التي يتغيب فيها بسبب تدهور حالته الصحية وتمسكه بالإضراب عن الطعام.

وتقول النيابة العامة إن الوضع الصحي للريسوني عادي في حين تشير هيئة دفاعه إلى أن وضعه الصحي متدهور، وأنه قد يفقد حياته في أي لحظة، ملتمسة من المحكمة منحه حق الاستشفاء ووضعه بمستشفى.

وكانت محكمة الاستئناف قد وجهت إنذاراً مكتوباً إلى الصحافي المغربي، تطالبه من خلاله بالمثول أمامها وحضور جلسة محاكمته، بعد أن غاب عن جلسة محاكمته الأسبوع الماضي.

ويخوض الريسوني (48 عاماً) إضراباً عن الطعام منذ 83 يوماً احتجاجاً على اعتقاله، مطالباً بمحاكمته في حالة سراح، وهو معتقل على خلفية اتهامات نشرها شاب على موقع «فيسبوك» بالاعتداء عليه جنسياً.

موجة غضب جديدة ضد الإمارات على شبكات التواصل بسبب زيارة وزير خارجية الاحتلال

لندن ـ «القدس العربي»:

أشعلت زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي يئير لبيد إلى الإمارات موجة جديدة من الغضب على شبكات التواصل في العالم العربي ضد التطبيع الخليجي مع دولة الاحتلال، حيث انتقد العديد من النشطاء والمغردين الزيارة، فيما ربط بعضهم بينها وبين الاعتداءات الإسرائيلية المتزامنة التي استهدفت مدينة القدس.

ووصل لبيد إلى الإمارت الثلاثاء الماضي في أول زيارة له إلى هناك، وأول زيارة لوزير إسرائيلي إلى دولة الإمارات منذ إبرام اتفاق تطبيع العلاقات العام الماضي، حيث افتتح الوزير السفارة الإسرائيلية في العاصمة أبو ظبي، وهي أول سفارة للدولة العبرية في بلد خليجي، كما افتتح رسميا قنصلية اسرائيلية في إمارة دبي.

كما وقع لبيد اتفاقية مع دولة الإمارات للتعاون الاقتصادي والتجاري، وهي الاتفاقية الثانية عشرة التي يتم توقيعها بين أبو ظبي وتل أبيب خلال شهور قليلة.

وكتب لبيد تغريدة على «تويتر» باللغتين العربية والعبرية يقول فيها: «نصنع التاريخ: فخور بتمثيل دولة إسرائيل في أول زيارة رسمية إلى الإمارات العربية المتحدة. شكراً على الترحيب الحار».

وجددت هذه الزيارة وافتتاح السفارة في أبو ظبي موجة الجدل بشأن التطبيع بين دول الخليج وإسرائيل، حيث تجددت الانتقادات الشعبية للمطبعين في أوساط مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.

وغرد الإعلامي في قناة «الجزيرة» تامر المسحال يقول: «في يوم الهجوم الهمجي لجنود الاحتلال على أهلنا في سلوان.. يُستقبل وزير خارجية الاحتلال بترحاب شديد كما وصف هو في الإمارات العربية المتحدة.. التاريخ لا ينسى كما أنه لا يرحم».

وغرد الكاتب المتخصص بالشأن الإسرائيلي الدكتور صالح النعامي: «في وقت تلقى الإماراتية الحرة الأبية آلاء صديق ربها لاجئة في الغربة وينكل بوالدها وأحرار الإمارات في السجون يستقبل الطغاة أوقح الغزاة.. لبيد معني بتكثيف ضخ الاستثمارات الإماراتية لإعفاء الاقتصاد الصهيوني». فيما علق أكرم أبو محمد: «التاريخ لا ينسى والشعب الفلسطيني لن ينسى من طعنه في ظهره ومن وقف معه وسانده».

وكتبت لينا الصالح: «هرولة تامة اقتصادية وسياسية وثقافية للنظام الإماراتي تحت أقدام عدو العرب الأول إسرائيل المحتلة.. عبدالله بن زايد وزير الخارجية والتعاون الدولي ويائير لبيد وزير خارجية دولة إسرائيل يوقعان على اتفاقية التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدين».

وعلّق علاء شعث: «في لحظة اقتحام وهدم الاحتلال لبيوت فلسطينية في سلوان، كان وزير خارجية الاحتلال الإرهابي يئير لبيد في سفره للإمارات. من صرعونا أن تطبيعهم لمصلحة الفلسطينيين ولمنع تهجيرهم لا تسمع لهم صوتاً. عيشوا وتذكروا».

أما ميار أديب فغردت تقول: «في نفس الوقت الذي كانت قوات الاحتلال تهدم منشآت تجارية وسكنية في بلدة سلوان، كانت الإمارات تستقبل رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد بالأحضان».

ودعا العديد من النشطاء إلى مقاطعة دولة الإمارات عقاباً لها على التطبيع مع الاحتلال، ورداً على إعلان وزير الخارجية الإسرائيلي أن التبادل التجاري مع دولة الإمارات بلغ حجمه 570 مليار يورو، حيث قال الناشط السعودي المعارض الدكتور سعيد الغامدي: «نقول إنه لا بد من مقاطعة الإمارات لأنها إن استمرت بما تقوم به اليوم، فسوف تتحول إلى إسرائيل أخرى في خاصرة الجزيرة العربية».

وكتب تركي الشلهوب: «في افتتاح السفارة الإسرائيلية في الإمارات.. جميع المسؤولين الإسرائيليين ارتدوا الكيبا على رؤوسهم.. هذه ليست كباقي السفارات، بل هي وكرٌ لتصدير المعتقدات الدينية أيضاً».

ونشر أحد النشطاء صورة لافتتاح السفارة الإسرائيلية في أبو ظبي، وكتب معلقاً: «قرون نحاول نطلعهم من قدسنا الشريف تجي الإمارات تقربهم (للحرمين) وهذا مطمعهم من زمان، كلنا رأينا ماذا تفعل باخواننا المسلمين هناك ليس لديهم غير لغة القتل، هؤلاء لصوص بمجرد يزيد عددهم يحتلون المكان بالظلم وكأنهم الوحيدون لهم حق العيش.. ما تقوم به الإمارات خيانة للمسلمين».

وكتب آخر: «تذلل الإماراتيون لإسرائيل ليكسبوا ودها لكنهم خسروا العرب والمسلمين وكسبوا كراهية الشعوب تجاههم» فيما غرد آخر: «الإمارات حولت جزيرة سقطرى اليمنية إلى مرتع للسياح الإسرائيليين بتأشيرات وجوازات سفر إماراتية.. لم تكتف بسرقة اليمن وتمزيقه بل دنسته أيضاً».

وغرد أحد الناشطين يقول: «ربما سيقول البعض لماذا تشنون حملة (#مقاطعة_الإمارات) حينها سنجيب عليه بالقول: هات لنا عمل ايجابي واحد قدمته الإمارات لاي دولة عربية. كل أموال الإمارات تذهب لدعم الالحاد والكفر والفسوق وحرب الإسلام وتسخير أموالها في تمزيق وتشويه الإسلام وكل المعتقدات الإسلامية. هي العدو وسنتخذها عدوا لنا».

وقال آخر: «الإمارات ليست أقل ضررا من فرنسا ولذلك كما أدبنا ماكرون وأصبح في حالة ارتباك ويقين انه لن يفوز في الانتخابات القادمة بفضل حملتنا المباركة لمقاطعة المنتجات الفرنسية، فإن الاولى بنا بتر الإمارات من جسد الامة العربية فضررها أشد من ضرر فرنسا».

أما ريدان القحطاني فكتب: «الإمارات أصبحت أداة خبيثة في الوطن العربي. كل المشاكل والصراع الداخلي في أي بلد تجد يد الإمارات القذرة وأموالها موجودة وحاضرة فيه. وصلت الجرأة بها أن تؤاخي اليهودي وتعادي العربي المسلم».

وغرد مبخوت جرادان: «الإمارت كشعب يعتبر أطيب شعب، وذلك بسبب تعدد الثقافات واختلاطها هناك، ولكن سياسة حكام الإمارات هي ما ملأ قلوب المسلمين عامة والعرب خاصة كرهاً للإمارات يكاد لا يخلو بلد مسلم من الأعمال الموسادية للإمارات».

وكتب حساب «نحو الحرية» يقول: «دور الإمارات في البلدان العربية لا يختلف عن دور إسرائيل، لذا فإن مقاطعتها أصبحت واجباً وطنياً تجاه بلداننا وأوطاننا لندفع شرها بسلاح المقاطعة».

وقال مغرد آخر: «حملة مقاطعة الإمارات حملة وطنية عربية أدعوا كل غيور ومحب لوطنه ودينه ان يتفاعل معها فالإمارات أصبحت عدوة للاوطان والشعوب العربية والإسلامية ويجب ردعها ولو بكلمة وهو أضعف الايمان» فيما أضاف آخر: «مقاطعتك للبضائع الإماراتية وللطيران الإماراتي، هي دعم مادي ومعنوي للشعوب العربية والاسلامية، التي تتعرض لأخبث المؤامرات الإماراتية والصهيونية».

وكتب ناشط آخر: «قاطعوها فانها صهيونية ويتفاخر ساستها بتوطيد علاقتهم مع إسرائيل بينما هم يمزقون أواصر الجوار والأخوة مع اشقائهم العرب. يعادوننا ويوادون من حاد الله ورسوله. إن الإمارات بؤرة سرطانية والتخلص منها بات ضرورة حتمية والا سنجد سنبكي دما بعد فوات الأوان».

وكانت الإمارات العام الماضي أول دولة خليجية توقّع اتفاقا لتطبيع العلاقات مع الدولة العبرية، قبل أن تحذو حذوها البحرين، ثم المغرب والسودان.

ونقلت وكالة الأنباء الإماراتية الرسمية عن لبيد قوله في مقابله معها إنّ حجم التبادل التجاري بين البلدين بلغ نحو 675 مليون دولار منذ توقيع الاتفاقات. وكانت دبي أعلنت عن تبادل تجاري بقيمة 272 مليون دولار مع إسرائيل بين أيلول/سبتمبر 2020 وكانون الثاني/يناير 2021.

وأعلن لبيد كذلك عن توقيع صفقات بعشرات الملايين من الدولارات مع الإمارات في مجالات الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا والطاقة المتجددة والأمن المائي والصحة.

علوم وتكنولوجيا

آمال جديدة بالعثور على بديل للأرض وكوكب المشتري قد يكون صالحاً للحياة البشرية

لندن – «القدس العربي»:

تجددت الآمال لدى العلماء بالعثور على موطئ قدم للبشر في الفضاء الخارجي والوصول إلى بديل عن كوكب الأرض الذي أصبح مزدحماً بالسكان، حيث ارتفعت وتيرة الآمال في أحدث دراسات الفضاء حول إمكانية العيش على ظهر المشتري الذي قد يكون صالحاً للحياة البشرية.

وفي الوقت ذاته فقد تلاشت الآمال في العثور على الحياة على كوكب الزهرة حيث وجدت الدراسة أن غيوم الكوكب لا تحتوي على ما يكفي من الماء للحفاظ على الكائنات الحية، حيث بدد العلماء أي آمال متبقية في العثور على الحياة على كوكب الزهرة، ثاني أقرب كوكب إلى الشمس.

وحسب الدراسة التي نشرت نتائجها جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليها «القدس العربي» فقد اكتشف الباحثون أن السُحب على كوكب الزهرة لا تحتوي على كمية كافية من الماء للحفاظ على الكائنات الحية التي تكيفت لتعيش في البيئات القاسية على الأرض.

ودرس الباحثون، بقيادة جامعة كوينز في بلفاست، بيانات من مجسات علمية مختلفة، بما في ذلك غاليليو، مرسلة إلى كواكب مختلفة في النظام الشمسي. ووجدوا أن المياه المتاحة في الغلاف الجوي لكوكب الزهرة أقل بمئة مرة مما هو ضروري لأي كائن حي من أجل البقاء على قيد الحياة.

وكوكب الزهرة هو كوكب أرضي مشابه في الحجم للأرض، لكن درجة حرارة سطحه تقترب من 867 درجة فهرنهايت (464 درجة مئوية) وضغط 92 مرة عن كوكبنا الأصلي.

ويعتقد العلماء أن كوكب الزهرة المعروف باسم «التوأم الشرير» للأرض كان على الأرجح صالحًا للسكن منذ 700 مليون سنة، قبل أن يصبح غير صالح للسكن في ظروف غامضة.

واليوم فإن كوكب الزهرة هو عالم من الحرارة الشديدة، والضغط الجوي الساحق وغيوم من حامض التآكل.

وأوضح العلماء أن ارتفاع مستوى قطرات حامض الكبريتيك في سحب الكوكب يقلل من «نشاط الماء».

وقال المؤلف الدكتور جون إي هالسورث من كلية العلوم البيولوجية بجامعة كوينز في بلفاست: «في دراستنا، نظرنا في التركيز الفعال لجزيئات الماء الذي أطلقنا عليه عليمًيا النشاط المائي».

وأضاف: «لم نكتشف فقط أن التركيز الفعال لجزيئات الماء أقل بقليل مما هو مطلوب للكائنات الحية الدقيقة الأكثر مرونة على الأرض، وإنما وجدنا أنه منخفض جداً وبأكثر من 100 مرة. إنها تقريباً في أسفل المقياس ومسافة لا يمكن تجاوزها مما تتطلبه الحياة لتكون نشطة».

ويبدو أن النتائج تتناقض مع الأبحاث التي نُشرت العام الماضي والتي أشارت إلى أن غاز الفوسفين في الغلاف الجوي لكوكب الزهرة كان مؤشراً على وجود الحياة في غيوم الكوكب.

وبينما لا يبدو أن كوكب الزهرة صالح للسكن أو الحياة البشرية، فقد وجد الباحثون أن غيوم المشتري تتمتع بظروف مائية مناسبة تسمح بالحياة كما نعرفها.

وأضاف الدكتور هالسورث: «أحد الأشياء التي وجداها والتي كانت غير متوقعة هو أن سُحُب كوكب المشتري لديها بالفعل درجة الحرارة المناسبة ومجموعة النشاط المائي لدعم الحياة النشطة. لم نتوقع ذلك مطلقاً».

وتابع: «أنا لا أتوقع وجود حياة على كوكب المشتري، فستحتاج إلى العناصر الغذائية الصحيحة لتكون هناك ولستُ متأكداً من ذلك. الحياة لا تحتاج فقط إلى درجة حرارة جيدة وتوافر المياه لتكون نشطة. لكنها مع ذلك اكتشاف عميق ومثير وغير متوقع على الإطلاق».

ويُقاس نشاط الماء على مقياس من 0 إلى 1 وهو ما يعادل الرطوبة النسبية، أو توافر الماء، في الغلاف الجوي للكوكب.

ويمكن أن يؤثر النشاط المائي في بيئة ما بشكل كبير على الكائنات الحية، بما في ذلك الكائنات القادرة على العيش في بيئات قاسية، تُعرف باسم الكائنات المتطرفة.

وأظهرت الدراسات المعملية أن الحياة تتطلب نشاطاً مائياً لا يقل عن 0.585 لعملية التمثيل الغذائي والتكاثر.

ووجد مؤلفوا هذه الدراسة الجديدة أن قطرات حمض الكبريتيك تقلل النشاط المائي لسحب كوكب الزهرة إلى أقل من 0.004 أي أقل بـ100 مرة من الحد المسموح به للحياة.

وبالمقارنة، فإن النشاط المائي التمثيلي في سحب المريخ هو 0.537 وهو أقل بقليل من النطاق الصالح للحياة ومشابهاً لنطاق الطبقة الثانية، أو الستراتوسفير، من الغلاف الجوي للأرض.

ومع ذلك، فإن الطبقة الدنيا من الغلاف الجوي للأرض، وهي طبقة التروبوسفير، مسموح بها مدى الحياة.

ويحتوي الغلاف الجوي لكوكب المشتري على نشاط مائي «متساهل بيولوجياً» يزيد عن 0.585 لدرجات حرارة تتراوح بين 50 درجة فهرنهايت و –40 درجة فهرنهايت (10 درجات مئوية و–40 درجة مئوية) على الرغم من أن عوامل مثل تكوين السحب قد تحد من قابلية السكن.

وقال البروفيسور كريستوفر ماكاي من وكالة ناسا: «نحن نستمد النشاط المائي للأجواء بدون نموذج من أي نوع، يعتمد فقط على الملاحظات المباشرة للضغط ودرجة الحرارة وتركيز الماء».

وأضاف البروفيسور ماكاي إن النتائج التي تم التوصل إليها عن كوكب الزهرة كانت «مؤسفة» لأنه كان «مهتماً جداً بالبحث عن الحياة في عوالم أخرى».

وقال: «من المؤسف أيضاً أن استنتاجاتنا تستند بشكل مباشر إلى القياسات –إنه ليس نموذجاً به افتراضات، لذلك من الصعب تخيل أن النتائج ستتغير مع قياماتنا بمزيد من الاستكشاف».

ومع ذلك، قال الباحثون إن الأساليب المستخدمة في دراستهم يمكن أيضاً استخدامها لتحديد النشاط المائي في الغلاف الجوي للكواكب خارج النظام الشمسي، والمساعدة في تضييق نطاق البحث عن الحياة الفضائية.

وتأتي النتائج، التي نُشرت في مجلة «Nature Astronomy» بعد إعلان وكالة ناسا ووكالة الفضاء الأوروبية مؤخراً عن ثلاث بعثات إلى كوكب الزهرة في السنوات المقبلة.

وأعلنت وكالة ناسا عن مهمتين جديدتين بقيمة 500 مليون دولار في بداية حزيران/يونيو 2021 والتي ستطلق في السنوات العشر القادمة لفهم كيف أصبح كوكب الزهرة «عالماً شبيهاً بالجحيم».

وبعد أكثر من أسبوع بقليل، قالت وكالة الفضاء الأوروبية إنها سترسل مسباراً، يُعرف باسم «EnVision» لدراسة «توأم الأرض الشرير» مستهدفاً إطلاقه في أوائل العقد الثالث من القرن الحالي.

العالم على حافة «صراع تكنولوجي» كبير

لندن – «القدس العربي»:

تصاعدت وتيرة الخلافات بين عملاقي التكنولوجيا في العالم، وهما شركتا «آبل» و«مايكروسوفت» الأمريكيتين، بما يُنذر بصراع عالمي في قطاع التكنولوجيا قد يؤثر على المستخدمين في كافة أنحاء العالم، كما أن ملايين التطبيقات والخدمات التقنية في العالم قد تتأثر هي الأخرى بهذا الصراع.

وقالت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية إن الشركتين على حافة المواجهة بسبب تصاعد الخلافات بينهما، فيما تشير الصحيفة إلى المواجهة السابقة خلال حقبة المؤسسين ستيف جوبز من «آبل» وبيل غيتس من «مايكروسوفت» وهي مواجهة من الممكن أن تعود في أي وقت حالياً.

ويتبادل عملاقا التكنولوجيا الاتهامات بشأن شركة «إيبك غيمز» التي تخوض معركة قانونية ضد «آبل» تتهمها فيها بممارسات غير تنافسية، في حين تلقي «مايكروسوفت» باللائمة على «آبل» في «تقييد قدرتها على الوصول إلى المستخدمين، من خلال خدمة ألعاب الفيديو الخاصة بها». وأعلنت «مايكروسوفت» مؤخرا نيتها طرح تطبيقات «أندرويد» عبر نظامها الصادر حديثا «ويندوز 11» وقالت إنها ستسمح لمطوري التطبيقات، باختيار أنظمة دفع بديلة.

وتواجه «آبل» انتقادات بشأن كيفية قيام المطورين بجني الأموال من خلال متاجر التطبيقات الخاصة بها، إذ تتقاضى نسبة على جميع المبيعات اللاحقة، مثل الاشتراكات أو المشتريات داخل اللعبة.

ويأتي ذلك في حين تستعد كلتا الشركتين لمعركة وشيكة حول سوق الواقع المعزز والافتراضي، الذي يُنظر إليه على أنه الجبهة الرئيسية التالية في مجال الحوسبة، وقد بدأت «مايكروسوفت» ببيع أجهزة «هولولينس» وسط وقعات بأن تكشف «آبل» عن جهازها العام المقبل.

وأعلن الرئيس التنفيذي لـ«مايكروسوفت» ساتيا نادالا، أثناء إطلاق نظام التشغيل الجديد «ويندوز 11» أن العالم «يحتاج إلى نظام أساسي أكثر انفتاحا، يسمح للتطبيقات بأن تصبح منصات في حد ذاتها».

وقد دافعت «آبل» عن ضوابطها الصارمة على متجر التطبيقات الخاص بها، حيث تقدم للمستخدمين حماية أكبر للخصوصية والأمن السيبراني.

في حين يدعي آخرون، بمن فيهم «فيسبوك» و«إيبك غيمز» أن الشركة تمارس، بشكل غير عادل، سلطتها للتحكم في الوصول إلى أكثر من مليار مستخدم لأجهزة «آيفون».

واليوم أصبحت «آبل» و«مايكروسوفت» القوتين التجاريتين الرئيسيتين في الولايات المتحدة، وهما الشركتان الأمريكيتان الوحيدتان اللتان تقدر قيمة كل منهما بنحو 2 تريليون دولار أو أكثر، وتبلغ مبيعاتهما السنوية مجتمعة نحو 400 مليار دولار.

لكن «إيبك غيمز» وفي خلافها القضائي مع «آبل» استدعت لوري رايت، نائبة رئيس «مايكروسوفت» لتطوير الأعمال في الألعاب والوسائط والترفيه، كشاهدة، للحديث عن محاولتها الفاشلة لتقديم خدمة بث ألعاب فيديو مجمعة تسمى «غيم باس ألتيميت» إلى متجر تطبيقات «آبل».

وقالت إن «آبل» تعاملت مع عروض «مايكروسوفت» بطريقة تختلف عن تعاملها مع خدمات البث التي تقدمها شركات أخرى مثل «نتفليكس». وتظهر ملفات المحكمة أن «آبل» حاولت تشويه شهادة رايت، وطرحت أسئلة حول دوافع شهود «إيبك غيمز» الآخرين، بما يشير إلى أن «مايكروسوفت» كانت وراء دعوى «إيبك» القانونية.

وتساءلت «آبل» ما إذا كانت «إيبك» تعمل بالتعاون مع «مايكروسوفت» وأن الأخيرة حمت نفسها «من خلال عدم الظهور كطرف أو إرسال ممثل الشركة للإدلاء بشهادته».

ومن المتوقع أن يفصل قاض في القضية برمتها خلال الأسابيع المقبلة.

جهاز جديد خارق يُشكل طفرة في علاج أمراض القلب

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء أمريكيون من تحقيق طفرة مهمة في مجال علاج أمراض القلب، حيث ابتكروا جهازاً خارقاً لتنظيم ضربات القلب يعمل من دون الحاجة إلى بطاريات ويُشكل تطوراً مهماً في إطار الأجهزة الطبية القابلة للارتداء.

والجهاز هو أول جهاز لاسلكي لتنظيم ضربات القلب في العالم، أما مزاياه الخارقة فأهمها أنه خال من البطاريات وقابل للزرع بالكامل، ويذوبُ في الجسم عندما لا تكون هناك حاجة إليه، بحسب تقرير عن هذا الجهاز نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

ويحصد الجهاز خفيف الوزن، الطاقة لاسلكيا من هوائي بعيد، وهو مصنوع من مواد متوافقة بيولوجيا تُمتص بشكل طبيعي في الجسم على مدار خمسة إلى سبعة أسابيع.

وقال جون روجرز، الذي قاد فريق الباحثين من جامعتي نورث وسترن وجورج واشنطن: «الأجهزة الموضوعة في القلب أو بالقرب منه تخلق مخاطر للعدوى ومضاعفات أخرى. وتتغلب أجهزة تنظيم ضربات القلب اللاسلكية العابرة على العيوب الرئيسية للأجهزة المؤقتة التقليدية من خلال التخلص من الحاجة إلى خيوط عن طريق الجلد لإجراءات الاستخراج الجراحي، ما يوفر إمكانية خفض التكاليف وتحسين النتائج في رعاية المرضى».

ويمكن أن يمثل هذا النوع غير المعتاد من الأجهزة، مستقبل تقنية السرعة المؤقتة. ويأمل الفريق أن يحل الجهاز يوما ما محل أجهزة تنظيم ضربات القلب المؤقتة.

وأوضح الدكتور ريشي أرورا، الذي شارك في قيادة الدراسة: «في بعض الأحيان، يحتاج المرضى فقط إلى أجهزة تنظيم ضربات القلب بشكل مؤقت، ربما بعد جراحة قلب مفتوح أو نوبة قلبية أو جرعة زائدة من المخدرات».

وفي الوقت الحالي، يجب خياطة أجهزة تنظيم ضربات القلب المؤقتة على عضلة القلب أثناء جراحة القلب المفتوح، ثم إزالتها بعملية أخرى. وما يثير القلق أن هذا يمكن أن يؤدي إلى مضاعفات تشمل العدوى وتلف الأنسجة والجلطات الدموية.

وقال أرورا: «بدلا من استخدام الأسلاك التي يمكن أن تصاب بالعدوى وتخرج من مكانها، يمكننا زرع جهاز تنظيم ضربات القلب الخالي من الرصاص والمتوافق حيويا. وتُزرع الدائرة مباشرة على سطح القلب ويمكن تغليفها عن بعد. وعلى مدى أسابيع، هذا النوع الجديد من أجهزة تنظيم ضربات القلب «يذوب» أو يتحلل بالتالي ننجنب الحاجة إلى الإزالة الفيزيائية لأقطاب جهاز تنظيم ضربات القلب. ومن المحتمل أن يكون هذا انتصارا كبيرا المرضى ما بعد الجراحة».

ومع مزيد من التعديلات، قد يكون من الممكن في النهاية زرع أجهزة تنظيم ضربات القلب القابلة للامتصاص بيولوجيا من خلال وريد في الساق أو الذراع.

وفي هذه الحالة، من الممكن أيضا توفير سرعة مؤقتة للمرضى الذين عانوا من نوبة قلبية أو للمرضى الذين يخضعون لإجراءات تعتمد على القسطرة، مثل استبدال الصمام الأبهري عبر القسطرة.

واعتمادا على المريض، يمكن أن تكون هناك حاجة إلى أجهزة تنظيم ضربات القلب المؤقتة في أي مكان من بضعة أيام إلى عدة أسابيع.

ويقول الفريق إنه من خلال تغيير تكوين وسمك الجهاز، يمكنهم التحكم في العدد الدقيق للأيام التي يظل فيها الجهاز يعمل قبل أن يتحلل.

وقال الدكتور روجرز: «نحن نبني هذه الأجهزة من أنواع مختلفة من المواد الآمنة القابلة للامتصاص البيولوجي، وببنى محسّنة لضمان التشغيل المستقر على مدى فترة زمنية أطول إلى حد ما هو ضروري سريرياً».

ويمكننا تصميم الأجهزة للتعامل مع مجموعة واسعة من الأعمار ذات الصلة. وما يزال من غير الواضح متى ستكون الأجهزة جاهزة للاختبار على البشر، أو كم ستكلف.

كمامة على الوجه تكتشف «كورونا» خلال 90 دقيقة

لندن – «القدس العربي»:

ابتكر علماء أمريكيون كمامة طبية توضع على الوجه على غرار الكمامات التقليدية المعروفة لكن لديها القدرة على اكتشاف فيروس «كورونا» خلال 90 دقيقة من ارتدائها، ما يعني أنها من الممكن أن تكون بديلاً للفحوصات التقليدية التي يتم استخدامها من أجل الكشف عن الفيروس.

وبحسب تقرير نشرته جريدة «الصن» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» فقد وجد العلماء طريقة لتضمين تفاعلات البيولوجيا التركيبية في الأقمشة، وإنشاء أجهزة استشعار حيوية يمكن ارتداؤها وتخصيصها لاكتشاف مسببات الأمراض والسموم وتنبيه مرتديها، وهو ما أدى في النهاية إلى ابتكار هذه الكمامة.

وتمكّن العلماء، من معهد «Wyss» للهندسة المستوحاة بيولوجيا بجامعة هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، من نسج القماش بأجهزة استشعار يتغير لونها عند اكتشاف وجود فيروس كورونا المستجد في أنفاس المريض. ويزعم الفريق أن قناع الوجه يعطي نتائج في غضون 90 دقيقة بمستويات دقة مماثلة لاختبارات التشخيص القياسية القائمة على الحمض النووي مثل تفاعلات البلمرة المتسلسلة «PCR».

وقال الدكتور بيتر نجوين، عالم الأبحاث في معهد التابع لجامعة هارفارد: «قلصنا بشكل أساسي مختبرا تشخيصيا بالكامل إلى جهاز استشعار صغير قائم على البيولوجيا الاصطناعية يعمل مع أي قناع للوجه، ويجمع بين الدقة العالية لاختبارات تفاعل البوليميراز المتسلسل (PCR) مع السرعة والتكلفة المنخفضة لاختبارات المستضد».

وأشار إلى أن تغير اللون المرئي يمكن أن يخبرك أيضا متى وأين أصبت بالفيروس.

والقناع مصنوع من إنزيمات تتفاعل مع المواد الكيميائية الموجودة في فيروس «SARS-CoV-2».

ويتم تشغيله بواسطة زر ويظل طبيعيا حتى يدخل الفيروس القناع ويتفاعل مع الإنزيمات، ما يؤدي إلى تغيير لون جزء منه.

وأوضح الدكتور نجوين وفريقه أن القناع سيتغير لونه من الداخل للحفاظ على الخصوصية. وتابع: «بالإضافة إلى أقنعة الوجه، يمكن دمج أجهزة الاستشعار البيولوجية الخاصة بنا في الملابس الأخرى لتوفير إمكانية الكشف أثناء التنقل».

وتم تصنيع نماذج أولية معملية فقط حتى الآن، ويأمل الفريق في العثور على مُصنّع لإنتاج أغطية الوجه هذه بكميات كبيرة.

وسلط الفريق الضوء على أنه يمكن دمج تقنيتهم في معاطف المختبر للعلماء الذين يتعاملون مع المواد الخطرة أو مسببات الأمراض.

مشروع استثمار أراضي مطار بغداد بين فكي الفساد والتغيير الديموغرافي

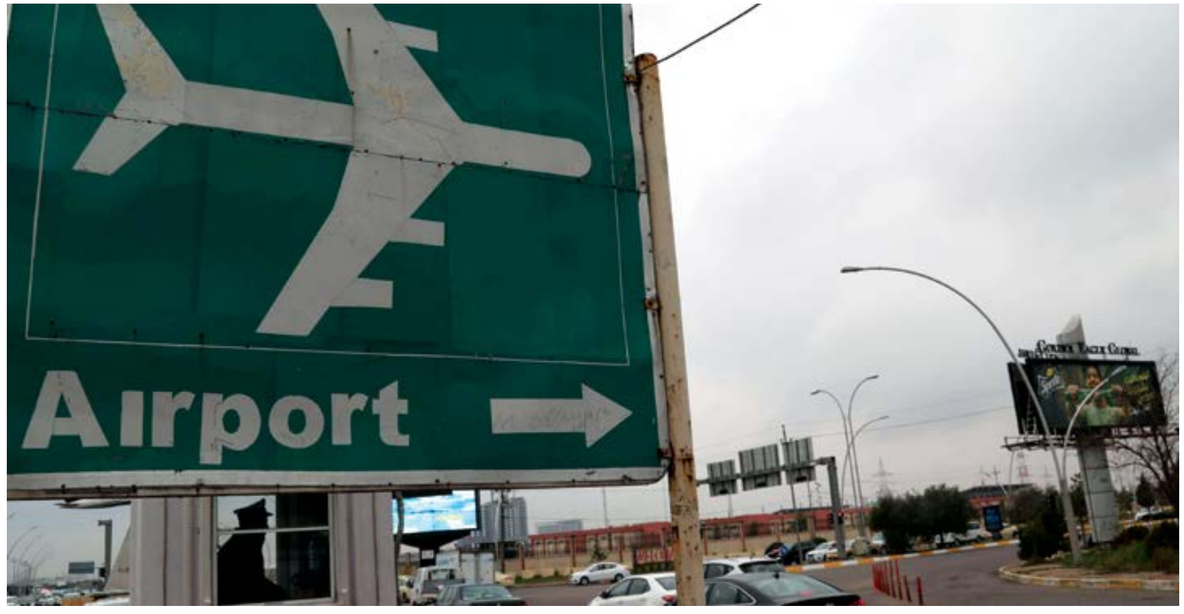

بغداد ـ «القدس العربي»:

أثار إعلان حكومة بغداد عن طرح الأراضي المحيطة بمطار بغداد للاستثمار، ردود أفعال ورفضا شعبيا وسياسيا واسعا، وسط اتهامات بكون المشروع صفقة فساد وهدر لثروات الدولة، وقضاء على أرض زراعية خصبة واسعة، إضافة إلى تسببه بتهجير مئات الآلاف من سكان مناطق حزام بغداد.

وإذا كان العراقيون يتفقون على أن أي مشروع في العراق في هذه المرحلة هو بالتأكيد غطاء للفساد ونهب المال العام من قبل حيتان الفساد التابعة للأحزاب المتنفذة والفصائل المسلحة، فإن مشروع استثمار الأراضي المحيطة بمطار بغداد، له بعد إضافي خطير وغير خافي على المطلعين، يتمثل في محاولة تنفيذ صفحة جديدة من التغيير الديموغرافي من خلال تهجير مئات الآلاف من سكان مناطق حزام بغداد والاستيلاء على أراضيهم الزراعية المثمرة الواسعة.

مشروع الاستثمار

واعتبرت قوى سياسية بارزة وسكان المنطقة قرار الاستثمار، بانه صفحة جديدة في مخطط التغيير الديموغرافي لتهجير بعض سكان حزام بغداد من المكون السني، حيث أصدر «تحالف القرار العراقي» بيانا قال فيه «أن هذا القرار يتجاوز على حقوق عشرات الآلاف من المواطنين، ويحول جنس الأراضي الخصبة من زراعية إلى استثمارية دون وجه حق ودون اعتبار لحقوق الملكية لمواطنين لديهم سندات رسمية في التملك منذ عشرات السنين» مبينا أن «الاستثمار ينبغي أن يستفيد من الأراضي الواسعة التي تمتلكها الدولة خارج المدن عبر الاستصلاح أو بناء المجمعات السكنية أو الترفيهية أو التجارية، بدل الاعتداء على أرض خصبة تعود لأصحابها». وحذر التحالف من أن «هذا القرار يثير الكثير من الشكوك والتساؤلات عن أهدافه ومدى ارتباطه بالرغبة في إحداث تغيير ديموغرافي في المنطقة كما يؤكد سكانها وعشائرها العربية» داعيًا «رئيس مجلس الوزراء إلى إلغاء هذا القرار».

وفيما انتقد «تحالف القرار» بزعامة أسامة النجيفي، تحويل الأراضي المحيطة بمطار بغداد الدولي إلى الاستثمار، مبينًا أن بعض المواطنين يتملكون هذه الأرض منذ العهد العثماني، فإن «تحالف عزم» أكد ان «إخلاء المناطق المحيطة بمطار بغداد هو تغيير ديموغرافي، وان إنشاء مدينة فيها يحمل أبعادا طائفية» داعيا البرلمان والقضاء للطعن بهذا القرار.

وفي سياق رفض سكان المناطق المحيطة بمطار بغداد أكد النائب السابق وأحد سكان المنطقة اياد الجبوري في لقاء تلفزيوني، أن «وفدا من أهالي المنطقة سيزورون المراجع الشيعية علي السيستاني ومقتدى الصدر لطرح قضية استثمار أراضي مطار بغداد، لأن سياسيينا السنة لم ينصفونا ولم يدافعوا عن حقوقنا، مطالبا رئيس الوزراء بالتدخل لإنصاف أهالي المنطقة كما طالب مجلس القضاء الأعلى بالتدخل. وحذر الجبوري «إذا لم يتدخلوا فسنخرج في تظاهرات حاشدة لرفض القرار. لأننا لن نترك أراضينا، رغم أننا قد نتعرض للتصفية من مافيات الفساد بسبب رفضنا للمشروع» كاشفا ان «استثمار محيط مطار بغداد مشروع فساد يقوده موظفون في مكتب رئيس الوزراء» ومتسائلا «من خول مجلس الوزراء الاستيلاء على أراضي تعود 75 في المئة منها لمواطنين ملك صرف دون أخذ رأيهم، واعطاءها لشركات فاسدة؟».

والموقف نفسه كرره العديد من النواب السنة منهم وحدة الجميلي ومحمد اقبال الصيدلي ومحمد الكربولي واحمد المساري وغيرهم، كما ضجت مواقع التواصل الاجتماعي بردود أفعال غاضبة لبيع ممتلكات الدولة والمواطنين إلى مافيات الفساد وشركات أجنبية مقابل الرشى.

وكانت رئيسة الهيئة الوطنية للاستثمار سها داود نجار، أعلنت عن حصول موافقة مجلس الوزراء في 15 حزيران/يونيو الماضي على تخصيص مساحه 106 ألف دونم ضمن المنطقة المحيطة بمطار بغداد الدولي إلى الهيئة الوطنية للاستثمار للإشراف على إنشاء مشروع مدينه الرفيل، لتكون عاصمة ادارية، وإنشاء مجمعات (سكنية، تعليمية، تجارية، طبية، خدمية، وترفيهية) إضافة إلى استثمار المنطقة في مشاريع صناعية وزراعية. وأقرت نجار، في لقاء تلفزيوني، أن «قانون الاستثمار فيه خلل ويعطي الأراضي بأسعار زهيدة» مشيرة إلى أن «هناك عروضاً من شركات عالمية لتنفيذ مشروع الرفيل».

ويذكر ان هذا المشروع ليس جديدا حيث سبق ان تم طرحه عام 2019 وقوبل بموجة رفض واسع أيضا، مما دفع لجنة الاقتصاد والاستثمار النيابية، إلى إصدار قرار نيابي في تموز/يوليو 2019 طالب الحكومة بايقاف منح رخص استثمارية للأراضي الواقعة ضمن محيط مطار بغداد الدولي لحين التحقق من اللجنة النيابية المختصة، معتبرة أن «استمرار العمل به يعني ضياع أصول الدولة بمبالغ زهيدة وهدر للمال العام يقدر بعشرات المليارات من الدولارات».

والحقيقة ان مخاوف المكون السني من هذا المشروع، لم تأت من فراغ بل استندت إلى مواقف وتصريحات العديد من الأحزاب والفصائل الشيعية التي دعت مرارا إلى التعامل مع سكان المناطق السنية المحيطة ببغداد بحجة كونهم حاضنة للإرهاب، تهدد أمن العاصمة، داعين علنا إلى تهجير سكانها واحلال أبناء المكون الشيعي بدلا عنهم.

ورغم انكار بعض الجهات كون المشروع تغييرا ديموغرافيا، إلا ان بعض الكتاب والقادة الشيعة، دعوا إلى ذلك مرارا. وفي نموذج لتلك الدعوات ما جاء في مقال الكاتب الشيعي احمد عبد السادة، الذي ذكر فيه «اليوم أجدد هذه الدعوة بشأن قضاء الطارمية لتحويله إلى منطقة منزوعة السكان بعد أن تحول إلى حاضنة مزمنة للإرهاب تهدد بغداد، وبعد أن وصلت القوات الأمنية إلى شبه يأس من إيجاد حل لمعضلة الإرهاب فيه». وأوضح ان «هناك مناطق جغرافية خطرة، مثل الطارمية وجرف الصخر، لا بد أن تكون مناطق منزوعة السكان!! وذلك لأن كل التجارب أثبتت بأن الإرهاب تفشى فيها بسبب وجود حاضنة اجتماعية له فيها» حسب ادعاءه.

مخطط التغيير الديموغرافي

ويعلم العراقيون ان مخطط التغيير الديموغرافي وتفريغ مناطق من طائفة معينة تنفذه قوى وفصائل ولائية ضمن أجندات محلية وإقليمية، وهو مشروع طائفي بدأ مبكرا منذ الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 وشمل مناطق متفرقة من البلد.

ففي بغداد أكد النائب السابق مشعان الجبوري، أن دعوة بعض الطائفيين لجعل الطارمية منطقة خالية من السكان مثل أختها منطقة جرف الصخر، تعتبر جريمة بموجب المادة (7/ د) من نظام روما الأساسي الذي يعتبر أن «إبعاد السكان أو النقل القسري لهم» من الجرائم ضد الإنسانية التي تخضع لولاية المحكمة، داعيا مجلس القضاء أن يقوم بفتح قضية ضد أصحاب هذه الدعوات. فيما قررت السلطات العراقية بداية عام 2021 مصادرة (15000) دونم من الأراضي الزراعية التي تسكنها أسر فلاحية في منطقة اللطيفية جنوب بغداد، حيث سيتم تجريفها بعد أن صادرتها وزارة الدفاع لإقامة مشاريع سكنية لمنتسبيها فيها. وشجبت هيئة علماء المسلمين في العراق ذلك الاستيلاء ووصفته بانه «جريمة تطهير عرقي تدخل في نطاق الجرائم ضد الإنسانية».

وكانت ناحية جرف الصخر التابعة لمحافظة بابل جنوبي بغداد قد تحولت منذ عام 2014 إلى معسكر للمليشيات التي سيطرت عليها بعد انتهاء المعارك مع تنظيم الدولة «داعش» هناك، وهي ميليشيات «كتائب حزب الله والنجباء وسيد الشهداء» وتم منع 140 ألفاً من سكانها المدنيين الذين فروا من جحيم المعارك من العودة إليها، وأصدر حينها مجلس محافظة بابل قراراً تبناه أعضاء يمثلون إئتلاف دولة القانون برئاسة نوري المالكي «بمقاضاة أي جهة سياسية أو فرد يطالب بعودة المهجرين إلى جرف الصخر». وفي عام 2017 قال نائب رئيس الجمهورية في حينها أياد علاوي في تصريح «إن هذه المنطقة باتت خارج سيطرة الدولة العراقية وإن الميليشيات التي تديرها تستلهم قوتها من خلال ارتباطها المباشر بالحرس الثوري الإيراني».

أما في محافظة الأنبار، فقد عمدت ميليشيات الحشد لأحكام السيطرة على ناحية النخيب التابعة لمحافظة الأنبار المتاخمة لمحافظة كربلاء والواقعة على الحدود العراقية السعودية، وقامت بتهجير سكانها بحجة تأمين محافظة كربلاء أمنيا.

وفي محافظة ديالى المجاورة لإيران، أشارت رئيسة لجنة المهجرين والمرحلين النيابية لقاء وردي في يوليو/تموز 2013 إلى قيام ميليشيات مسلحة بعمليات تهجير منظمة وممنهجة في بعض مناطق ديالى.

ألا ان أكبر حملات التهجير حصلت بعد حادثة تفجير مرقدي الإمامين علي الهادي والعسكري في سامراء عام 2006 عندما نفذت ميليشيات معروفة حملة واسعة لتهجير ملايين العراقيين من مناطقهم وسط إتهامات بتورط قوى سياسية وأطراف في القوات الأمنية الرسمية، في تنفيذ مخطط التهجير الطائفي. وقد تكرر سيناريو التهجير في مناطق أخرى مثل أبي غريب والمدائن وخان بني سعد والشعب وجرف الصخر والطارمية وغيرها من مناطق السنة.

وهكذا فإن إعلان مشروع استثمار أراضي مطار بغداد، وتهجير مئات الآلاف من سكانها والاستيلاء على أراضيهم الشاسعة أعاد إلى الواجهة مجددا، حقيقة تدهور الأوضاع في العراق سواء من خلال صفقات الفساد التي تستبيح ممتلكات الدولة وثرواتها، أو عبر تمرير صفحة جديدة في مخطط التهجير القسري لتنفيذ التغيير الديموغرافي. وهو يعكس حقيقة انه لا يمكن الفصل بين الفساد وعمليات التهجير وطبيعة الصراع السياسي في العراق بعد عام 2003 بغياب توافقات الحد الأدنى بين القوى السياسية التي تتيح إنتاج نظام سياسي يراعي مصالح جميع المكونات، وبالتالي بقاء عوامل عدم الاستقرار والضعف في الدولة والمجتمع.

غزة: سوق تضامني لتصريف المنتجات الزراعية الممنوعة من التصدير

إسماعيل عبدالهادي

في خطوة منها لتعزيز صمود المزارعين المتضررين من العدوان الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة، نظمت وزارة الزراعة في غزة سوقاً تضامنياً مع المزارعين، يهدف إلى تقديم الدعم لهم ومساعدتهم في تخطي الجهود المحلية والدولية من أجل تعزيز صمودهم وتسليط الضوء على معاناتهم المتكررة، من خلال تعمد الاحتلال الإسرائيلي النيل منهم، سواء برش المحاصيل بالمبيدات الحشرية أو من خلال إطلاق النار صوبهم أثناء العمل.

وطالبت الشريف المؤسسات المحلية والدولية العاملة في مجال الزراعة، تبني أفكار ريادية لدعم المزارعين ومساعدتهم في تخطي العقبات، وتوجيه دعمها ومشاريعها لإنعاش العاملين في القطاع الزراعي بشقيه النباتي والحيواني، والعمل على تعويضهم عن الخسائر المتكررة التي يتعرضون لها.

وقدرت وزارة الزراعة في وقت سابق الخسائر المالية التي طالت القطاعات الزراعية والحيوانية في غزة نتيجة العدوان الإسرائيلي بنحو 200 مليون دولار، كما قدرت خسائر منع التسويق والتصدير الزراعي من قطاع غزة إلى الخارج بنحو 16 مليون دولار، في حين إن حجم الخسائر المذكورة يزداد يوماً تلو الأخر، نتيجة استمرار إغلاق معبر كرم أبو سالم التجاري في وجه المحاصيل التسويقية والأسماك من صادرة قطاع غزة للخارج.

كما حذرت الوزارة من أن السلة الغذائية لسكان قطاع غزة تقترب من حافة الخطر، نتيجة لتكبد المزارعين خسائر فادحة وعزوفهم عن الزراعة بسبب إطالة أمد إغلاق الاحتلال الإسرائيلي لمعبر كرم أبو سالم في وجه الصادرات الزراعية لأكثر من 50 يوماً، فضلاً عن منع إدخال المستلزمات الزراعية للقطاع لاستمرار العملية الزراعية.

من جهته قال المزارع المشارك في السوق علاء الحلبي إن الخطوة التي قامت بها وزارة الزراعة من خلال إنشاء سوق تضامني، خففت نوعاً ما من الآثار السلبية التي طالت مئات المزارعين، من خلال تسويق ما لديهم من محاصيل مهددة بالفساد، نتيجة تكدسها بكميات كبيرة وارتفاع درجات الحرارة الحاد.

وبين الحلبي لـ«القدس العربي»: أن حجم خسارته من جراء العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة فاقت 15 ألف دولار، بعد أن تعرض عدد من الدونمات الزراعية التي يملكها في منطقة بيت لاهيا الزراعية شمال قطاع غزة إلى وابل من الصواريخ والقذائف المدفعية، التي أحرقت المحاصيل ودمرت خطوط المياه الناقلة لها.

وأشار إلى أن المزارعين يبيعون المحاصيل المكدسة لديهم من الطماطم والخيار والبصل بأسعار منخفضة جداً، لتفادي فسادها ولتعويض خسائرهم، لافتاً إلى أن إسرائيل تضع شروطاً غير مقبولة على تصدير المحاصيل للخارج، وبسبب ذلك نضطر إلى تسويقها محلياً.

أما المزارع لطفي أبو ندى المشارك في السوق فقد أكد لـ«القدس العربي»: أن الزراعة تعتبر إحدى الركائز الأساسية للاقتصاد الفلسطيني، والاحتلال الإسرائيلي يركز بشكل مستمر على ضرب عصب الاقتصاد في غزة، حتى في أوقات التهدئة يواصل عرقلة عمل المزارعين داخل مزارعهم، ووضع قيود صارمة على تصدير المنتجات الزراعية.

وعبر المزارع أبو ندى عن أمله في أن يتمكن السوق من تصريف منتجاته الزراعية من قبل المتسوقين سواء من الأفراد والمؤسسات الدولية التي تزور السوق، داعياً في الأثناء الجهات الحكومية المختصة إلى ضرورة تعويض المزارعين بشكل سريع في حال تم البدء بإعادة إعمار غزة.

بدوره قال الخبير الاقتصادي محسن أبو رمضان أن المزارعين في قطاع غزة هم بحاجة ماسة للدعم المستمر من قبل المؤسسات الحكومة والدولية، لأنهم معرضون على الدوام للخسارة والملاحقة من قبل الاحتلال الإسرائيلي، لذلك تعتبر خطوة وزارة الزراعة في إقامة سوق لبيع المنتجات الممنوعة من التصدير، طوق نجاة للمزارعين ورفع معنوياتهم المحطمة.

ولفت أبو رمضان في حديثه لـ«القدس العربي»: إلى أن السوق المحلي بشكل عام مشبع بالمنتجات الزراعية، وبالتالي زيادة الفائض تقلل من سعر الخضراوات، مشيراً إلى أن مزارعي القطاع رغم الحصار والحروب المتتالية، أثبتوا قدرتهم على تغطية السوق المحلي بمنتجاتهم وتحقيق فائض، وأنهم بحاجة إلى إفساح المجال أمام تصدير المنتجات الوطنية إلى الأسواق الخارجية.

وأعرب الخبير الاقتصادي عن قلقه من عدم نجاح العديد من المحاصيل الزراعية خاصة في الأراضي التي تعرضت للقصف، حيث أن التربة التي تتعرض للحرق بفعل الصواريخ تنتج عنها مواد سامة مثل الرصاص ومشتقاته واليورانيوم، وهذه التربة من الصعب إصلاحها ولا يمكن نمو المحاصيل التي تزرع داخلها لفترات طويلة، كما أن محاولات إصلاحها مجدداً يحتاج إلى تكاليف مالية باهظة.

وكان المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان قد دعا إلى ضرورة تدخل المجتمع الدولي والجهات المعنية، لمنع فرض الاحتلال عراقيل جديدة على حركة الصادرات والواردات عبر معبر كرم أبو سالم، واعتبر المركز الحقوقي اشتراطات الاحتلال أنها تؤثر سلباً على جودة المنتج الفلسطيني، وتضعف فرص تسويق هذه المنتجات خارج غزة، ما يزيد من مفاقمة الحالة الاقتصادية المتدهورة.

داقوق العراقية مدينة التركمان والأساطير العريقة

صادق الطائي

تعتبر مدينة داقوق أحدى أقدم المدن العراقية التي بقيت مأهولة بالسكان عبر مئات السنين من تاريخ المنطقة، وهي اليوم تمثل إداريا قضاءً تابعا لمحافظة كركوك شمال شرق العاصمة بغداد. مساحة مدينة داقوق حوالي 120كيلومتر مربع ويسكنها حوالي 100 ألف نسمة بحسب تقدير السكان لعام 2017 وتتبعها إداريا ناحية الرشاد، وأكثر من مئة قرية تحيط بالمدينة، يمكن تقسيمها إلى حوالي 60 قرية ذات أغلبية كردية عربية و40 قرية ذات أغلبية كردية، بينما مدينة داقوق مركز القضاء ذات أغلبية تركمانية، ومن ضمن القرى التابعة لمدينة داقوق: زنقر، طوبزاوة، وعلي سراي، ومنصور، ودارا، وعطشانة، وينكجة.

وتبعد مدينة داقوق 210 كم شمال بغداد على الطريق الذي يربط العاصمة بمحافظة كركوك، وتبعد حوالي 40 كم جنوب مدينة كركوك، ومن أهم العوائل والعشائر التركمانية في مدينة داقوق: شيخلر، دامرجي، الكهية، أغالر، الجليلي، الصالحي، البياتي، الايلخانلي، النعلجي، الصفوي، سيدلر، البوياغجي، القوشجي، الاماملي، وقد ارتبطت أسماء محلات المدينة القديمة باسماء العديد من هذه العوائل.

الجسر الحجري العثماني

تقع مدينة داقوق على الضفة اليمنى لنهر جاي داقوق والذي يسمى بالتركمانية طاووق صو، وهو أحد فروع نهر العظيم، وينبع من مرتفعات قرة حسن، ويعبر جبال حمرين، ثم يلتقي بمجرى نهر العظيم الرئيسي، ويربط بين ضفتي النهر واحد من أطول الجسور في العراق المعروف بالجسر الحجري العثماني الموجود في قرية افتخار التابعة لداقوق.

إن الجسر العثماني الذي يمثل أحد المعالم التاريخية في مدينة داقوق بُني قبل 138 سنة، إذ دخل الخدمة عام 1883. ويقع هذا الجسر على بعد 3 كم شمال قرية الإمام زين العابدين، وعلى طريق القوافل التجارية. ويذكر المختصون بالتاريخ العثماني أن الوالي العثماني مدحت باشا أمر ببناء هذا الجسر أبان توليه ولاية بغداد، إلا أن الانتهاء من تشييد الجسر تم بعد انتقال مدحت باشا من ولاية بغداد بعشر سنوات تقريبا، وقد نفذ العمل مهندسون أتراك قدموا من إسطنبول، ويتكون الجسر العثماني في داقوق من 12 فتحة لمرور المياه من أسفله، ويصل طوله إلى 365 متراً، وعرضه سبعة أمتار، وقد بني هيكل الجسر بالحجر الأحمر القرميد، وقد تعرض جزء من هذا الجسر للتدمير أثناء معارك الجيش العثماني والجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى، ثم أعيد ترميمه في العهد الملكي عام 1926م.

حياة سكان داقوق مرتبطة بالزراعة، إذ يمتهن الكثيرون منهم الزراعة وتربية الحيوانات، وتعتبر بساتين الكروم والفواكه في داقوق من أفضل بساتين محافظة كركوك إنتاجاً، كما يهتم مزارعو المدينة بتربية الحيوانات، وقد تزايد اهتمامهم بتربية المواشي مؤخراً، وتعتبر صناعة النسيج والسجاد اليدوي من أهم الحرف اليدوية في داقوق.

وللمدينة أهمية اقتصادية نظراً لوجود حقول جمبور النفطية شمال مدينة داقوق والتي بدأ الإنتاج النفطي فيها عام 1959 وقد وضعت حاليا خطط لرفع إنتاج حقل جمبور إلى 245 ألف برميل يومياً، ويصل أنبوب للنفط بين حقول النفط ومصافي شركة نفط الشمال، كما يضخ النفط من حقل جمبور إلى ميناء جيهان في تركيا ليصدر إلى الأسواق العالمية.

الروايات الأسطورية

ورد أقدم ذكر لمدينة داقوق بصيغة «ديقوقينا Diquqina» في نصين مسماريين من العصر الأشوري الحديث (612–911 ق.م) وكعادة المؤرخين والبلدانيين القدماء الذين كتبوا عن أسباب تسمية المدن، نجدهم يربطون صيغة اللفظ ببعض القصص أو الأحداث أو الشخصيات الدينية أو الأسطورية دون تحري الدقة أو البحث في المصادر التاريخية الدقيقة. وكان لمدينة داقوق نصيب من ذلك، فقد ذكرها العديد من المؤرخين الإسلاميين، وذكروا بعض الروايات الأسطورية عنها مثال ذلك ما أورده ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان عندما قال؛ «إن داقوقاء أو داقوقا، مدينة تقع بين مدينتي أربل وبغداد، معروفة ولها ذكر في الأخبار» وعن أصل اسمها يذكر؛ «يقال إن قابيل قتل هنا أخاه هابيل بدق رأسه بالحجر دقا، فسميت داقوقاء».

ذكرت داقوق في بعض المراجع العربية القديمة بصيغة «دقوقاء» وقد حور هذا الاسم في المصادر والمراجع العربية المتأخرة إلى لفظة دقوقا. ثم تغير اللفظ في المصادر الفارسية المتأخرة إلى داقوقا. كما أطلقت عليها أسماء أخرى مثل داقوق وطاووق، والتسمية الأخيرة من التسميات التركمانية للمدينة. ويذكر المؤرخ مبارك بن أحمد شرف الدين اللخمي المعروف بابن المستوفي الذي كان مؤرخا ووزيرا في أربيل في حقبة السلطان مظفر الدين كوكبري (المتوفي سنة 1239) في الجزء الثاني من كتابه «تاريخ أربل» أن ذكر المدينة جاء بعدة صور كداقوق، طاووق وطاوق. كما أشار إلى مدينة داقوق البلداني ياقوت الحموي في كتابه «تاريخ البلدان» فقال؛ «دقوقاء بفتح أوله وضم ثانيه وبعد الواو قاف أخرى وألف ممدودة، مدينة بين أربل وبغداد معروفة ولها ذكر في الأخبار والفتوح، وكان بها وقعة للخوارج».

ويذكر المؤرخ ابن الأثير في ج2 من تاريخه مدينة داقوق، ويعد أقدم ذكر للمدينة باسم دقوقا، الذي ورد في المصادر العربية هو ما ورد في حوادث سنة 76هـ إبان خلافة عبدالملك بن مروان، ففي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق تم القضاء على ثورة المختار الثقفي، وعلى حركة مصعب بن الزبير، كما انتصر الحجاج على الخوارج في معركة حاسمة في مدينة داقوق.

كما يروي المؤرخ ابن الفوطي حادثة طريفة في كتابه «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة» ففي حوادث عام 644هـ/1246م يذكر؛ «وفيها توفي الأمير محمد بن سنقر صاحب دقوقا، كان ابوه سنقرا من خواص الخليفة الناصر لدين الله، صب يوما على يده ماء فسقطت الصابونة منه، فناوله غيرها وقال دقوق وهي بلغة الترك دجاجة، فأقطعه دقوقا ظنا منه أنه طلبها، فلم تزل في يده إلى أن توفي، فتسلمها ابنه محمد، فلما توفي عادت إلى نواب الخليفة».

وجاء ذكر اسم داقوق بألفاظ مختلفة في كتب الرحالة الأوربيين الذين مروا بالمنطقة، وقد أطلقوا عليها عدة تسميات متقاربة مثل طاووق، داكوك، داقوق، داقوقا ودقوقا، وإلى غير ذلك من الألفاظ المتشابهة، ويعد العالم والرحالة الألماني كارستن نيبور، أول من أشار إلى التشابه الموجود بين لفظة طاووق ولفظة دقوقاء العربية، وذكر المدينة في كتابه «رحلة نيبور».

آثار ومزارات

تعرف داقوق بكثرة المقامات والمزارات الدينية التي تشكل عنصرا يجتذب الآلاف من الزائرين للتبرك والاستشفاء وطلب الشفاعات، ومن بين أبرز مقامات المدينة مقام الإمام زين العابدين، علي بن الحسين (ع) والذي يرتبط اسمه في العراق بمدينة داقوق، ولهذا المقام موعد زيارة سنوية هي تاريخ وفاة الإمام زين العابدين (ع) يوم 25 محرم، إذ يزور الآلاف من المسلمين من مختلف مدن العراق ومن البلدان المجاورة مقام علي بن الحسين في داقوق.

ويقع هذا المقام على تلة أثرية في قرية زين العابدين بأطراف قضاء داقوق، ويقصده بشكل خاص على مدار السنة مرضى العيون وضعاف النظر، وذوو أمراض الرأس، طلبا للاستشفاء عبر قناعة الزائرين ببركات صاحب المقام. وبالرغم من إشارة بعض المؤرخين إلى أن لا علاقة للإمام الثالث عند الشيعة علي بن الحسين(ع) بهذا المكان، إلا إن البعض يشير إلى إن الإمام زين العابدين مر بهذه المدينة ورتاح في هذا المقام في طريق مرور سبايا معركة الطف من كربلاء إلى الشام.

أما المزار الثاني الشهير من مزارات المدينة فهو المعروف بإمام الهوا، والذي يجاور الطريق الرئيسي المؤدي إلى بغداد، وهو مزار يضم ضريحي السيد الهادي بن المهدي من اولاد الإمام موسى الكاظم (ع) وابنته العلوية مريم المدفونة بجواره، والمشهور عنهما بحسب الروايات أنهما عاشا في الفترة العباسية المتأخرة. إن أقدم ظهور لهذا المزار كان في العهد العثماني حيث شيدت قبة من الطين فوق المرقد الذي بقي كما هو حتى خمسينيات القرن الماضي، فتوسع المرقد وأصبح غرفة صغيرة أيضا من الطين، وفي نهاية الثمانينيات شيدت وزارة الأوقاف هذا المزار من مادة البلوك بشكل بناء بسيط وكانت مساحته 800م تقريباً، وفي 2005م جاء متبرع من محافظة بغداد هو الحاج علي العزاوي فهدم المزار بعد موافقات من الجهات الرسمية وشيده بالشكل الفاخر والمساحة الكبيرة الحالية.

ويقصد هذا المزار مرضى عرق النسا والمفاصل و«الهوا الشرجي» أو التهاب العصب السابع الذي يشوه الوجه، واسم المزار باللغة التركمانية «بيل إمامي» ويعني إمام الهوا. وسبب التسمية هو أن المصابين بعرق النسا والمفاصل والمصابين بالشرجي أو تشوه الوجه يزورون المرقدين الشريفين طلبا للشفاء، والمصاب بالمفاصل يوصف مرضه بالتركمانية بأن مفاصله أصابها الهوا.

كما يضم قضاء داقوق نحو 336 معلماً أثرياً تاريخياً لم تصلها يد الإعمار أو حتى محاولة الحفاظ عليها، ومن ضمنها منارة داقوق التي ترتفع بقاياها 23 مترا، وتقع بالقرب من طريق بغداد على أحد التلال الأثرية، وتتميز بنقوش البناء المماثلة لمآذن عدة في المواقع الأثرية العراقية، إذ تتكون من جزء مضلع عريض يلف متنها المدور باللون الترابي الفاتح والذي ما زال يحتفظ بالنقوش التراثية المميزة للحقبة التاريخية التي بنيت بها، إذ يعتقد انها تعود تاريخياً إلى الحقبة الاتابيكية، وهناك روايات تشير إلى أن تاريخها يعود إلى فترة الدولة السلجوقية عهد قائدها طغرل بك (447هـ-1055م) ولكن نوعية الآجر المستخدم في بنائها وزخارفها يجعلها شبيهة بالمنارة المظفرية في مدينة أربيل التي شيدها السلطان مظفر الدين الاتابكي حين كان حاكما لمدينة أربيل (1190–1224م) والمنارتان داقوق والمظفرية تشبهان في عمارتهما ومواد البناء المستخدمة والزخارف، المنارة الحدباء في الجامع النوري في مدينة الموصل التي شيدها السلطان الاتابكي نور الدين زنكي (1118–1174م).

رياضة

لعنة غوتمان والانتقام الفوري من الحلفاء تتجسد في كأس الأمم الأوروبية!

حارس سويسرا سومر يقود احتفالات زملائه بعد اقصاء فرنسا

ضرب عشاق كرة القدم أخماساً بأسداس، لفهم ما حدث لحلفاء مجموعة الموت في كأس الأمم الأوروبية، بسقوط حامل اللقب وآخر بطلين لكأس العالم في غضون 72 ساعة، كأوراق الشجر في بداية فصل الخريف، بدأت بإقصاء كريستيانو رونالدو ورفاقه في المنتخب البرتغالي على يد نجوم المنتخب البلجيكي، ثم كبرى مفاجآت البطولة بهزيمة المنتخب الفرنسي أمام جاره السويسري بركلات الترجيح، قبل أن يأتي الدور على الشريك الثالث الألماني، ليتجرع من نفس الكأس أمام الغريم الأزلي الإنكليزي، ليسدل الستار على دور الـ16 لليورو، بخروج ثلاثة من أعتى المرشحين للظفر بالأميرة الأوروبية، وسط تساؤلات وعلامات استفهام بالجملة حول الأسباب التي أدت إلى حدوث هذا السيناريو، الذي لم يتوقعه أحد.

لعنة المظلوم

جرت العادة دائما، أن المنتخبات التي تودع البطولات الجمعة من الدور الأول، تسقط من الذاكرة ولا يتذكرها أحد، لكن هذه المرة، استطاع المنتخب المجري كسر تلك القاعدة، بتصدره عناوين الصحف والمؤسسات الإعلامية، إلى جانب حصوله على إشادة على نطاق واسع عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك بناء على ما قدمه رجال المدرب ماركو روسي في معارك تكسير العظام، مقارنة بما قدمه خصومه الثلاثة في البطولة بوجه عام، اللهم إلا بعض الومضات، على غرار ما فعله كريستيانو رونالدو في آخر 5 دقائق في المباراة الافتتاحية أمام أحفاد بوشكاش، وانتصار الألمان على حامل اللقب وفوز فرنسا على الناسيونال مانشافت، أما غير ذلك، فأغلبية النقاد والمتابعين اتفقوا على أن الأحق من مجموعة الموت من يترشح إلى الإقصائيات، والإشارة إلى المنتخب المجري، الذي أثبت عمليا أن انتفاضة يورو 2016، لم تكن ضربة حظ، حين لامس زمن الخمسينات والستينات، الذي نسمع ونقرأ عنه من كتب الأجداد، بالفوز على النمسا بهدفين نظيفين ثم بتعادلين إيجابيين أمام الحصان الأسود آنذاك المنتخب الأيسلندي والبطل البرتغال، قبل أن يودع البطولة بهزيمة قاسية بالأربعة على يد بلجيكا في ثمن النهائي، ورغم أنه لم يكرر نفس الإنجاز في اليورو الاحتفالي بمرور 60 عاما على تدشين المسابقة، إلا أنه خرج بمكاسب معنوية لا تقدر بثمن، أبسطها سحب البساط «إعلاميا» من العمالقة، بفضل الصورة المشرفة التي دافع بها الفريق عن إرث عظماء الزمن الجميل، حتى من شاهد المباراة الافتتاحية أمام حامل اللقب، لاحظ أنها ظلت متكافئة ومعلقة على نتيجة 1–0، إلى أن لعبت الفوارق الفردية دورها في قتل النتيجة إكلينيكيا بهدفين من ماركة صاروخ ماديرا في الدقيقتين 87 و+90. أما أمام فرنسا وألمانيا، فكان الطرف الأكثر إقناعا وجرأة، ويكفي الحرج الكبير الذي صدره لمدرب فرنسا ديدييه ديشان ومدرب ألمانيا يواكيم لوف، بأخذ الأسبقية في النتيجة وإجبارهم على خوض معركة معقدة لإدراك التعديل، الأمر الذي فجر تعاطف المشجعين، وفي نفس الوقت، فتح الباب على مصراعيه للسخرية والتشفي من البرتغال وفرنسا وألمانيا وطريقة خروجها من البطولة، وصلت إلى حد الترويج لعقدة أزلية تُطيح الآن على نار هادئة للثلاثي الكبير، ومن مسقط صاحب أشهر لعنة في تاريخ اللعبة، بيلا غوتمان، ذاك المدرب الذي تُثار حوله الكثير من الروايات الأسطورية.

قبر فيينا

تبقى أشهر مقولة مقتبسة لهذا الغوتمان، ما قاله في أوج غضبه لحظة خروجه من نادي بنفيكا: «أقسم أن هذا النادي لن يفوز ببطولة قارية لمدة 100 عام»، وذلك بعد الطفرة التي أحدثها في الفريق البرتغالي، بقيادته للفوز بدوري الأبطال مرتين، فيما جعله أول ناد يتوج بالبطولة الحديثة آنذاك في بداية ستينات القرن الماضي، بعد هيمنة ريال مدريد على اللقب 5 مرات في زمن ألفريدو دي ستيفانو وبوشكاش، وباقي الأساطير التي وضعت حجر أساس الملكي العظيم، وما يثير الدهشة إلى وقت كتابة هذه الكلمات، أن بنفيكا كان قاب قوسين أو أدنى من تجاوز لعنة غوتمان، بعد وصوله لنهائي دوري الأبطال في الموسم التالي لرحيله، لكن الفريق انحنى أمام ميلان. ومع الوقت انطبعت العقدة، حتى بعد اعتراف الإدارة بالخطأ الكبير، الذي ارتكبته في حق ابن مدينة بودابست، بإعادته إلى منصبه في النصف الثاني من نفس الحقبة، لكن لم تعد الأمور إلى ما كانت عليه في الولاية الأولى، والأدهى أن أساطير بنفيكا آمنوا بلعنة غوتمان، على رأسهم الأيقونة يوزيبيو، الذي وصل به الحال، إلى زيارة بيلا في قبره في فيينا قبل مواجهة ميلان كذلك في نهائي عام 1990، حيث قام بالصلاة أمام القبر، طالبا السماح من روحه، أملا في أن تنتهي العقدة الأزلية، لكن الأمور لم تتغير، بعد فوز الروزونيري بهدف فرانك رايكارد. وعلى مدار ستة قرون، دفع عملاق الكرة البرتغالية ضريبة باهظة الثمن، بالتحسر على الخسارة في 5 نهائيات دوري أبطال أوروبا وثلاثة في كأس الاتحاد، آخرها الهزيمة القاسية أمام تشلسي في الوقت بدل الضائع في نهائي 2013، وفي العام التالي أمام البطل المتمرس على اليوروبا ليغ إشبيلية بركلات الترجيح. ولأن التعويذة السحرية جاء بها غوتمان من العاصمة المجرية، عادت لتفرض نفسها على الساحة في اليورو، في ما اعتبرها الشامتون والساخرون، أشبه بجرس إنذار أو بوادر لعنة مجرية للفرنسيين والبرتغاليين والألمان، لسوء الطالع الغريب والسريع، الذي لحق بالمنتخبات الثلاثة، بعد تحالفهم مع بعضهم بعضا في الدور الأول، لتأمين المراكز الثلاثة الأولى على حساب رابعهم الشجاع، في ما اعتبره أغلب المشجعين «انتقاما فوريا»، أما الفئة التي تؤمن بالخرافات واللعنات، ففسرت خروج البرتغال وفرنسا وألمانيا بهذه السرعة، على أنه نتيجة لعنة التكالب على المجر، وستكون المنتخبات الثلاثة محظوظة إذا توقف مفعول التعويذة الشريرة عند هذا الحد، ولم يستمر لعقود قادمة على طريقة غوتمان وبنفيكا.

هلاك مجموعة الموت

قبل التطرق إلى الأسباب الفنية والمشاكل التي عجلت بخروج الثلاثة المرشحين للذهاب بعيدا في اليورو، فقد أثبتت هذه البطولة، أن الرهان على فرسان مجموعات الموت والمبالغة في ترشيحهم للفوز بالقلب، عادة ما يتحول إلى وهم وسراب، ولنا في التاريخ والحاضر أمثلة بالجملة، ولو عُدنا إلى بداية عصر كرة القدم الحديثة مطلع الألفية الجديدة، سنتذكر الضجة التي أثيرت حول ما وصفت آنذاك بمجموعة الموت في يورو 2000، التي كانت تضم البرتغال وألمانيا وإنكلترا ورومانيا، وفي الأخير تأهل منها أصدقاء لويس فيغو والمنتخب الروماني، ولم يصل أي منهما للمباراة النهائية، بخروج البرتغال على يد زين الدين زيدان والمنتخب الفرنسي في نصف النهائي، ورومانيا ودعت سريعا على يد الطليان في ربع النهائي. وتكرر نفس الرهان الخاسر على مجموعة الجحيم في يورو 2004، التي كانت تضم فرنسا وإنكلترا وكرواتيا وسويسرا، وبعد تأهل الفرنسيين والإنكليز إلى مراحل خروج المغلوب، خرجا معا من ربع النهائي، بسقوط الديوك أمام البطل اليوناني والأسود الثلاثة خسروا من صاحب الأرض البرتغال بعقدتهم الأزلية من علامة الجزاء وبركلات الترجيح. ومن ينسى أعنف مجموعة موت في التاريخ الحديث، بوجود هولندا وفرنسا وإيطاليا ورومانيا في مجموعة واحدة في يورو 2008، وبعد عروض الطواحين البرتقالية الخرافية في الدور الأول، ونجاة أسياد الدفاع من الوداع المبكر، ودعا البطولة معا من ربع النهائي، حيث اختفى سحر كتيبة ماركو فان باستن أمام الدب الروسي، بهزيمة نكراء وصل قوامها لهدف مقابل ثلاثة، وتبعها الآزوري بالخسارة أمام الجار وبطل نفس النسخة المنتخب الإسباني بركلات المعاناة الترجيحية، وغيرها من التجارب، آخرها مفاجأة الخروج الجماعي لجبابرة المجموعة التي استحوذت على اهتمام جُل المشاهدين ووسائل الإعلام، كدرس جديد من المركولة المجنونة، بأنها أحيانا لا تخضع للغة المنطق والعقل.

الأسباب الجوهرية

لا شك أبدا، في أن خروج المنتخب الفرنسي على يد جاره السويسري، يبقى المفاجأة الأكثر غرابة في المسابقة، وبالنظر إلى الأسباب التي أدت لظهور منتخب الديوك بهذه النسخة المتواضعة، مقارنة بالصورة الهوليوودية التي كان عليها في حملة الانقضاض على مونديال روسيا قبل ثلاث سنوات، سنجد أن أبرزها، حالة الاحتقان والمشاكل المسيطرة على غرفة خلع الملابس، والتي وصلت إلى مرحلة الذروة بعد تسريب ما دار بين والدة ووكيلة أعمال أدريان رابيو وحاشية بول بوغبا، إذ يزعم بعض المصادر، أن المحامية تلاسنت مع والد بوغبا بعد تسبب الابن بول في هدف استقبلته شباك المنتخب في ليلة الخروج أمام سويسرا، ناهيك عن عدم جاهزية العديد من اللاعبين، في مقدمتهم كيليان مبابي، الذي بصم على بطولة للنسيان، تأثرا بالإصابة التي جعلته يخوض اليورو وهو في أقل حالاته الفنية والبدنية جاهزية، ناهيك عن انشغاله ذهنيا بملف مستقبله مع باريس سان جيرمان، وتفكيره في حلم ارتداء قميص ريال مدريد هذا الصيف، وغيرها من الأزمات التي شكلت الصورة البائسة التي كان عليها طوال البطولة، التي خرج منها بلا هدف يتيم، وختمها بركلة الترجيح التي أطاحت بالوصيف وجسدت الحالة التي كان عليها. هذا ولم نتحدث عن كوارث مدافع برشلونة لينغليه، الذي قام بدور اللاعب رقم 12 بامتياز بالنسبة للمنتخب السويسري، بأخطاء أقل ما يقال عنها ساذجة، كانت سببا في انتهاء الوقت الأصلي بالتعادل الإيجابي بثلاثية في كل شبكة، كشريك رئيسي مع المدرب ديدييه ديشان، الذي أدار المباراة بطريقة غير موفقة، تجلت في التغيير المثير للدهشة والاستغراب، باستبدال أفضل لاعب في فريقه أنطوان غريزمان، لتأمين الوسط بسيسوكو، ليدفع الثمن بعودة سويسرا في الوقت المحتسب بدلا من الضائع، قبل أن تأتي الضربة القاضية من علامة الجزاء. وبالتبعية تزايدت الضغوط والانتقادات، لإجبار زيدان على التنحي من منصبه، ليمهد الطريق أمام مواطنه زين الدين زيدان، الذي يتصدر قائمة المرشحين لتولي قيادة أبطال العالم، في حال تقدم ديشان باستقالته أو تمت إقالته قبل عام من نهاية عقده الممتد لآخر ارتباط في كأس العالم في قطر عام 2022.

أما المنتخب البرتغالي، فقد عانى من لعنة الماضي غير البعيد، حين كان يتصدر قائمة المرشحين للفوز بالبطولة، لامتلاكه تخمة من ألمع النجوم المحترفة في الدوريات الأوروبية الكبرى، وكان واضحا وضوح الشمس في ظهيرة يومنا هذا، أن أحفاد فاسكو دا غاما، خاضوا اليورو، بصورة البطل المدجج بالأسلحة الثقيلة في كل المراكز، من نوعية أفضل لاعب في البريميرليغ روبن دياش، وقائد ثورة مانشستر يونايتد برونو فيرناندیز، وبطل الثنائية المحلية مع مانشستر سيتي بيرناردو سيلفا، وغيرهم من الأسماء اللامعة، يتصدرهم السلاح الفتاك كريستيانو رونالدو، على عكس الصورة التي كانوا عليها في يورو 2016، حيث كان يصنف كواحد من المنتخبات الشابة التي ينتظره مستقبلا مشرقا، ما ساعد هذا الجيل قبل التحول إلى مرحلة النجومية، على اللعب بأريحية وبضغوط أقل من وضعهم في 2021. إلى جانب ذلك، لا ننسى أنهم اصطدموا بواحد من أقوى وأشرس منتخبات الكوكب في السنوات القليلة الماضية، وهو المنتخب البلجيكي الذي يضم كوكبة من السوبر ستارز، القادرين على بعثرة أي منتخب بصرف النظر عن اسمه، ونفس الأمر ينطبق على المنتخب الألماني، الذي لم يكن محظوظا بمواجهة العدو التاريخي الإنكليزي، الذي يمر بمرحلة استثنائية تحت قيادة غاريث ساوثغيت. لكن بوجه عام، لم يقدم الناسيونال مانشافت، سوى دقائق الرد على كريستيانو رونالدو في مباراة الفوز على حامل اللقب بنتيجة 4–2، أما غير ذلك، فبالكاد ظهر المنتخب الألماني بنفس النسخة المترنحة التي يبدو عليها منذ مونديال روسيا 2018، وذلك بطبيعة الحال، لحاجة المنتخب لدماء وأفكار جديدة، بدلا من مدربه يواكيم لوف، الذي استنفد كل أفكاره على مدار عقد ونصف عقد في القيادة الفنية للمنتخب، وهذه ستكون مهمة المدرب الجديد هانز فليك، مع استئناف النشاط الدولي بالتصفيات الأوروبية المؤهلة لكأس العالم. أما الصدمة، فكانت في المنتخب الهولندي، الذي تعرض للإذلال الكروي على يد التشيك، بالهزيمة بهدفين نظيفين في دور الـ16، ليضطر المدرب فرانك دي بور لتقديم استقالته قبل اجتماعه بالمسؤولين في اتحاد الأراضي المنخفضة، باستثناء ذلك، لم تشهد نتائج مواجهات ثمن النهائي مفاجآت خارج التوقعات.

خيبة على وجه رونالدو بعد سقوط البرتغال إلى جانب احتفالات البلجيك

ستيرلنغ يسجل هدف انكلترا الاول بين الحارس الالماني نوير وزميله هوميلز

5 صفقات منتظرة في ريال مدريد هذا الصيف!

آلابا الصفقة الوحيدة التي أنجزها الريال هذا الصيف

لندن – «القدس العربي»:

تتسابق الصحف والمواقع الرياضية الإسبانية، بما في ذلك ما يُعرف بالمحيط الإعلامي المقرب من ريال مدريد، في تحديث الأنباء والتقارير حول الصفقات المنتظرة في مدينة «فالديبيباس» هذا الصيف، بعد تأمين أولى صفقات الميركاتو، بالتوقيع مع قائد النتخب النمساوي ديفيد آلابا، في صفقة انتقال حر بعد انتهاء عقده مع بايرن ميونيخ، لما يُثار حول حاجة المدرب الجديد كارلو أنشيلوتي لدماء جديدة، كي يحقق الهدف المطلوب منه والمتفق عليه مع الرئيس فلورينتينو بيريز، بصناعة جيل «الرابعة عشرة»، على غرار ما فعله في ولايته الأولى، بتشكيل النسخة البيضاء التي حكمت القارة العجوز بين 2014 و2018، باستثناء تتويج الغريم برشلونة عام 2015.

المذبحة المنتظرة

بعد تصريحات بيريز مع إذاعة «كادينا سير»، التي أشار خلالها إلى حاجة النادي للتخلص من 10 لاعبين دفعة واحدة، بقوله: «لدينا قائمة من 35 لاعبا، في حين يمكننا الاكتفاء بـ25 فقط»، بدأ الإعلام المدريدي يسرب قائمة الأسماء المدرجة ضمن المذبحة الصيفية، ليضرب القرش الأبيض عصفورين بحجر واحد، منها استغلال الفائض في ميزانية أجور اللاعبين، عكس الغريم الكتالوني برشلونة، المطالب بتخفيض رواتب نجومه، لتفادي خرق قواعد اللعب المالي النظيف، ومنها أيضا التخلص من التخمة الفائضة عن الحاجة في مشروع أنشيلوتي، وبالتبعية فتح الباب على مصراعيه لتوفير أجور الصفقات المستهدفة ضمن خطة التحسينات التي رسمها الرئيس مع المدرب الإيطالي، لتجنب ما حدث الموسم المنقضي تحت أي ظرف، وهو الخروج من الموسم بلا ألقاب للمرة الأولى منذ 2010، وجاءت «ماركا» البيضاء الهوى، في طليعة المدرب الجديد كارلو أنشيلوتي لدماء جديدة، كي يحقق الهدف المطلوب منه والمتفق عليه مع الرئيس فلورينتينو بيريز، بصناعة جيل «الرابعة عشرة»، على غرار ما فعله في ولايته الأولى، بتشكيل النسخة البيضاء التي حكمت القارة العجوز بين 2014 و2018، باستثناء تتويج الغريم برشلونة عام 2015.

المذبحة المنتظرة

بعد تصريحات بيريز مع إذاعة «كادينا سير»، التي أشار خلالها إلى حاجة النادي للتخلص من 10 لاعبين دفعة واحدة، بقوله: «لدينا قائمة من 35 لاعبا، في حين يمكننا الاكتفاء بـ25 فقط»، بدأ الإعلام المدريدي يسرب قائمة الأسماء المدرجة ضمن المذبحة الصيفية، ليضرب القرش الأبيض عصفورين بحجر واحد، منها استغلال الفائض في ميزانية أجور اللاعبين، عكس الغريم الكتالوني برشلونة، المطالب بتخفيض رواتب نجومه، لتفادي خرق قواعد اللعب المالي النظيف، ومنها أيضا التخلص من التخمة الفائضة عن الحاجة في مشروع أنشيلوتي، وبالتبعية فتح الباب على مصراعيه لتوفير أجور الصفقات المستهدفة ضمن خطة التحسينات التي رسمها الرئيس مع المدرب الإيطالي، لتجنب ما حدث الموسم المنقضي تحت أي ظرف، وهو الخروج من الموسم بلا ألقاب للمرة الأولى منذ 2010، وجاءت «ماركا» البيضاء الهوى، في طليعة الصحف التي روجت للمرشحين للطرد في الأيام والأسابيع المقبلة، في صورة استفتاء جماهيري، شارك فيه حوالي ربع مليون مدريدي في مختلف أنحاء العالم، لاختيار الثمانية المرافقين للثنائي بورخا مايورال وريتيير خارج أسوار «سانتياغو بيرنابيو»، بعد الاتفاق على تمديد إعارة الاثنين مع روما وبوروسيا دورتموند لموسم آخر. وكانت المفاجأة، أن الأسطورة مارسيلو، تصدر قائمة المنبوذين، لظهور تأثره بالشيخوخة الكروية الواضحة في الهبوط الصادم في معدلاته البدنية قبل لمساته وإبداعاته، وشملت القائمة قدامى آخرين في جيل «العاشرة»، مثل إيسكو وعدو المشجعين غاريث بيل، رغم صحوته المتأخرة مع تتويجهم في نهاية إعارته مع ناديه السابق، إلى جانب أنصاف النجوم أمثال ماريانو دياز ولوكا يوفيتش وخيسوس فاليخو وكوبو ودااني سيبايوس، ليفسحوا الطريق أمام الوافدين المحتملين بعد وصول آلابا.

الصفقة المفاجأة

يعرف جُل عشاق الميرينغي في مختلف أنحاء العالم، أن النادي يعيش كابوساً لا يقل فداحة عن صدمة فقدان التاريخي سيرخيو راموس، بظهور ملامح تمرد الفرنسي رافاييل فاران على المسؤولين، بالإصرار والتمسك بشروطه المادية البعيدة عن سياسة الحد الأقصى للأجور، ما فتح المجال للتكهن حول مصيره الموسم المقبل، إذا ظل على موقفه الغامض مع انتهاء الميركاتو، فيما ستكون إشارة إلى خسارة نجم جماهيري بدون مقابل الثاني تواليا. ووفقا لأغلب المصادر الموثقة داخل النادي، هذا السيناريو غير مقبول لبيريز، ما يضاعف احتمالية رحيله عاجلا وليس آجلا، والدليل على ذلك، كم الشائعات المحدثة عن ارتباط مستقبله بمانشستر يونايتد وباريس سان جيرمان وباقي العمالقة القادرين على تلبية مطالبه المادية، وبالتبعية، ساهم في موجة الأنباء المتداولة في جُل وسائل الإعلام الإسبانية، بشأن تحول أنظار أنشيلوتي نحو ملاعب البريميرليغ، وتحديدا إلى منافس الأمس ويسلي فوفانا قلب دفاع ليستر، الذي أبلى بلاء حسنا في فريق المدرب بريندان رودجرز، كواحد من الركائز الأساسية التي ساهمت في تتويج الثعالب بكأس الاتحاد بفوز خارج التوقعات على حساب بطل أوروبا تشلسي في نهائي «ويمبلي». بالإضافة إلى ذلك، ساعد فريقه في القتال على المراكز الأربعة الأولى المؤهلة لدوري الأبطال الموسم المقبل حتى الأمتار الأخيرة لحملة البريميرليغ، ما جعله يخطف أنظار أنشيلوتي، كمرشح فوق العادة لخلافة فاران، في حال انتهى به المطاف بالرحيل، ليكون شراكة جديدة تجمعه إلى جنب مع آلابا في الدفاع الأبيض أو القائد المستقبلي إيدير ميليتاو، بعد انتهاء حقبة راموس وفاران، لكن مشكلته الإنكليزي في شروطه المادية، بطلب 80 مليون جنيه إسترليني مقابل الاستغناء عن الجوهرة الفرنسية الخام، أو انتظاره بالمجان في منتصف العام 2025، وفقا لما أوردته صحيفة «آس» نقلا عن مصادر إسبانية.

صفقات بديلة

نقلت العديد من الصحف والمؤسسات البريطانية والإسبانية، أن أنشيلوتي وجه المسؤولين بالتحرك سريعا لضم فنان توتنهام ندومبيلي، كبديل إستراتيجي لمايسترو الوسط لوكا موردريتش، بعد تقدمه في العمر، وأيضا لإعطاء تنوع في أسلوب الوسط، بعد سنوات من الاعتماد على الثلاثي موردريتش وكروس وكاسيميرو، بناء على معلومة، تُفيد بأن كارليتو من أكثر المعجبين بموهبة صاحب الـ24 عاما، وكان يمني النفس بالحصول على توقيعه عندما كان مدربا لإيفرتون، لكن الآن يرى أن الوقت مناسبا للاستفادة من جوهرة الديوك، التي قضت موسما صعبا تحت قيادة جوزيه مورينيو قبل طرده في نهاية الموسم. وفي كل الأحوال، سيكون خيارا أقل تكلفة من الهدف الرئيسي بول بوغبا، الذي سيشترط الحصول على راتب فلكي، بخلاف عمولة وكيل أعماله مينو رايولا، مقابل الفوز بتوقيعه بعد انتهاء دوره مع الشياطين الحمر.

وعن صفقات الخطة البديلة (بي)، ذكرت تقارير، أن الإدارة الملكية تنوي الدخول في معركة حامية الوطيس مع الجار العاصمي أتليتيكو مدريد، لخطف متوسط ميدان لاتسيو لويس ألبيرتو، بعد وصوله لمرحلة النضج الكروي مع فريقه الإيطالي، عكس بدايته غير الموفقة تحت قيادة يورغن كلوب في ليفربول، وأثبت ذلك بالطفرة الواضحة في مستواه مع بلوغ ربيعه الـ28، حيث سيكون بديلا محتملا للمشكوك في استمرارهم أمثال سيبايوس وإيسكو، فيما زعمت مصادر أخرى، أن الريال قد يوجه أنظاره اتجاه الإسباني بابلو سارابيا، رغم العداء الدفين مع باريس سان جيرمان، على خلفية تضارب المصالح في موقفهما من مشروع «السوبرليغ»، بعد الظهور اللافت للاعب مع منتخب بلاده في اليورو، رغم تهميشه في الفريق، كواحد من ضحايا الأسلحة الفتاكة في الثلث الأخير من الملعب نيمار ودي ماريا ومبابي، فيما سيساهم في خلق منافسة حقيقية على مركز الجناح المهاجم مع رودريغو وفينيسيوس.

الصفقة الغلاكتيكوس

لا يخفى على أحد، أن العلاقات بين ريال مدريد وسان جيرمان، وصلت لمرحلة من التوترات غير المسبوقة، والتي كشفت عنها صحيفة «ماركا»، بعد التطورات الملموسة في التصريحات الرسمية هنا وهناك بعد أزمة السوبرليغ، آخرها ما قاله رجل الأعمال القطري ناصر الخليفي، إنه لن يسمح برحيل مبابي هذا الصيف ولا الصيف المقبل بموجب قانون بوسمان، في المقابل رد عليه العجوز الإسباني، باستعراض تاريخه مع الصفقات السوبر الستار، أو ما تعرف بصفقات الغلاكتيكوس، وما أكثرها منذ صعود اسمه على الساحة في بداية القرن الجديد، حين تعهد بإحداث زلزال في إسبانيا، بنقل أفضل لاعب في العالم آنذاك لويس فيغو من موطن الأعداء «كامب نو» إلى «سانتياغو بيرنابيو»، وفعلها بمجرد فوزه بمقعد الرئيس، مرورا بأساطير العقد الأول للألفية من نوعية زيزو ورونالدو الظاهرة ديفيد بيكهام نهاية بالدون كريستيانو وباقي الموديلات الخالدة من موسم لآخر.

غرور مبابي يودي بأبطال العالم إلى الهاوية!

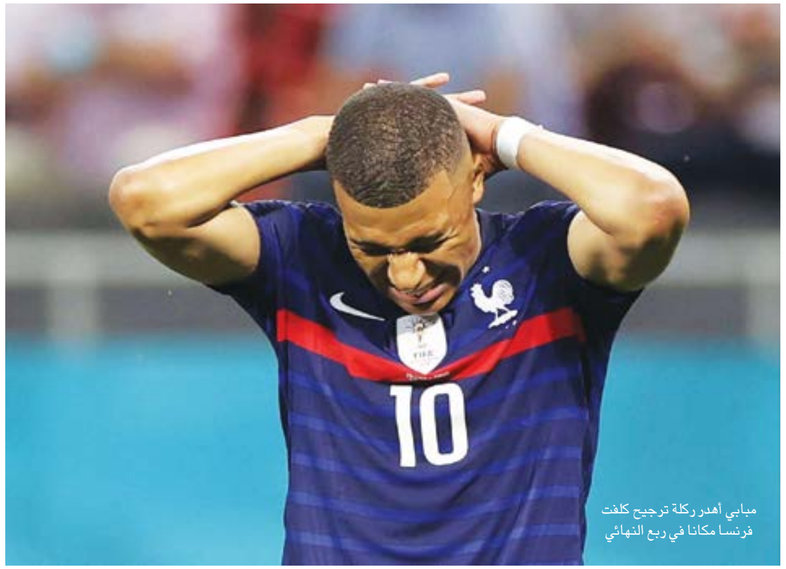
مبابي أهدر ركلة ترجيح كلفت فرنسا مكانا في ربع النهائي

لندن – «القدس العربي»: جواد صيدم

لطالما ذهبت ترشيحات الفوز بكأس الأمم الأوروبية لأبطال العالم فرنسا. فهم على الورق المنتخب الأكثر كمالية وشمولية وإقناعاً من حيث الأسماء والنجوم. فمنذ تتويجهم بكأس العالم 2018 لم نر لهم منافساً حقيقياً قادراً على مجاراة غرفة ملابسهم المدججة بالذخائر. ورغم وصف بعض النقّاد للأزرق بأنه المنتخب الأقل إقناعاً من حيث الأداء للحصول على لقب بطل العالم، إلا أن ترسانته البشرية لطالما كانت قادرةً على مجاراة كبار منتخبات العالم وإيقافهم، نظراً لمهارتهم التقنية البارزة وحسّهم التكتيكي العالي الذي سمح بمرونتهم للتجاوب مع خصوم ذي أشكال وأنواع مختلفة. وبالحديث عن بنك أسماء منتخب الديوك فهو حرفياً كمن يمارس «كوربير مود» على لعبة الفيفا ويأتي بصفوة نجوم العالم في المراكز كافة بفريق واحد!

فقد أبى ديديه ديشان مدرب المنتخب الفرنسي إلا أن يأتي بأفضل أسماء لبطولة اليورو الحالية التي لم تبد سهلةً من البداية. لكن الترشيحات لم تفارق منتخب الديوك للظفر بلقب البطولة، بفضل كمية نجومه، فخط الهجوم وحده كان يبعث بصداع للمتابعين والمحللين خصوصاً بعد عودة كريم بنزيما الذي بات في أوج عطائه خلال الموسمين الماضيين.

وعند الحديث عن أي بيئة عمل تحمل الكثير من الموظفين المميزين الذين يأبون جميعاً إلا أن يكونوا الرقم واحد في مؤسستهم، تجد نفسك أمام جو معكر يحمل معه طاقةً سلبيةً وملوثة تؤدي إلى انشقاقات وتفريقات في جسم المنظومة، ما يؤثر على أداء الموظفين الذين ينتابهم شكٌ مستمر في قدراتهم نظراً للضغوطات المحيطة.

إذ يمكننا القول أن هذا الاستنتاج هو جزءٌ من سبب خسارة الديوك أمام سويسرا، وهو المنتخب ذو القدرات المتوسطة والذي لا يملك نصف الذخيرة البشرية التي تملكها فرنسا. فرغم إبداع الديوك أمام المنتخبات الكبيرة إلا أنهم دائماً ما كانوا يخشون المنتخبات المتواضعة والمتوسطة التي يصعب تنبؤها والتي عادةً ما تذهب للمعركة ولا تحمل شيئاً تخسره.

السبب الثاني للإقصاء من سويسرا يكمن في المدرب الذي غيّر الرسم التكتيكي بأكمله بعد خسارته للاعبين اثنين في مركز الظهير على مجاراة غرفة ملابسهم المدججة بالذخائر. جوٍ ورسم جديد يحتوي على خمسة مدافعين لم يعتادوا عليه. فكان بالإمكان الإبقاء على قلبي دفاع ووضع قلب دفاع أعسر كظهير أيسر متحفظ كأكيمبيمبي أو لينغليه من دون الزج بثلاثة قلوب وخسارة لاعب في الوسط لوضعه في مركز الظهير الأيسر، كما حدث مع رابيو. عدا عن سوء التبديلات وتوقيتها، فإخراج غيزمان، القلب النابض للفريق، قبل الأشواط الإضافية كان خطأً فادحاً من ديشان بحسب أسطورة التدريب جوزيه مورينيو. لكن السبب الأبرز والأهم في رأيي كان لاعب الماضي والحاضر والمستقبل كيليان مبابي. حديث الشارع والإعلام اليوم وخاطف الأضواء أينما حل وارتحل. فهذا ليس غريباً نظراً لجودته الأعلى بالعالم والتي تجعله دائماً نداً قوياً لنجمي الكرة الأبرز رونالدو وميسي. إذ يعتبر كنزاً وفيراً من الطاقة المنتجة والمال لمن تمكن ويتمكن من الظفر بخدماته، نظراً لصغر سنه ولما حققه من إنجازات ليومنا هذا. لكن المتابع للتفاصيل الصغيرة في حياة مبابي يرى أنه لم يسيّر موهبته في الاتجاه الصحيح، بل أنه وقع في فخ الغرور المفرط داخل وخارج المستطيل الأخضر إلى درجة تصل إلى النرجسية! وكثيرة هي الأمثلة على ذلك، لكن ما يمكننا قوله هو أن مبابي وصل للعالمية بسرعة فائقة جعلت اختلاف بيئاته وفارق الشخصيات التي يحتك بها يومياً قبل وبعد الشهرة المفرطة تحوله إلى شخص آخر. إذ تغيرت وجهته واهتمامته في الحياة بصورة شاسعة، ونظراً لحب بيئته المتغطرس في الحياة الفارهة وعدم قدرة عائلته أو المقربين منه على السيطرة على انفجاره للعالمية وتوهج اهتماماته، تحول مبابي إلى الفتى الذي نعرفه اليوم.

ولعل أبرز مثال على ذلك كان في اليورو المنصرم. إذ شهدنا فيه ذلك النجم الساطع بشخصية ضعيفة تفتقد للحسم كما عهدناها. فقد يختلف النقاد والمحللون على سبب تيه مبابي في البطولة هذه، لكنني أرى أن رؤيته لنجوم تحظى باهتمام ومكانة أعلى منه في غرف الملابس نظراً لسيرتهم وخبرتهم الأطول والأعرق، كما غريزمان وبنزيما، لم تتناسب مع آماله وقناعته المتمثلة في أن يكون تسليط الضوء المستمر عليه وأن يكون الرقم واحد من دون منافس. ما جعله يشك في قدراته، فرأينا بطئاً منه في اتخاذ القرار أمام المرمى، إذ لم يسجل ولا هدف في البطولة بأكملها. إذ تيقنت من استنتاجي بعدما رأيت مبابي يتقدم لتسديد ركلة الجزاء الخامسة أمام سويسرا. فإن كان قراره الشخصي أو قرار المدرب، فهي خطوة استراتيجية تضع نجم الفريق الأول لتنفيذ ركلة الجزاء الأهم، فإما أن يسجلها ويأخذ الضوء بأكمله، وإن حدث ذلك فقد يكون ذلك ظلماً لجهود باقي اللاعبين، فمبابي لم يسجل طوال البطولة، أو أما تأتي بالنتيجة العكسية وتضيع الركلة ويودي النجم بفريقه إلى الهاوية. لكن بغض النظر، فركلات الترجيح يملك فيها كل طرف 50% من الحظ، لكن المقصد أن مسلسل أحداث ضياع مبابي في هذه البطولة ختم بالطريقة المناسبة نظرا لتواضع أدائه.

بُعد مبابي عن العقلانية والمنطق وواقع أدائه والتفكير الزائد بالشهرة والأضواء والمركز الأول والصخب الإعلامي شتته في بطولة اليورو المنصرمة. فإن تغاضى عن تلك الأمور ووضع جل تركيزه على أدائه لتمكن من تسجيل الفرص الكثيرة التي أهدرها، ولتمكن من إنهاء البطولة وهو متوجٌ بالكأس. لا يمكننا تحميل مبابي كل أسباب الهزيمة بالطبع، لكن موهبته الفذة وقوة زملائه جعلت كافة النقاد والمحللين والمشجعين يرشحون فرنسا للظفر بالبطولة. لكن يبدو أن مراهقة مبابي المتأخرة وغروره الزائد أودى بأبطال العالم إلى الهاوية!

خلدون الشيخ

أنس جابر... يا لها من لحظة في تاريخ التنس التونسي والعربي!

في حين تركزت أنظار الملايين من عشاق كرة القدم في بلداننا العربية على القارة الأوروبية، وتحديداً في استاد «ويمبلي» التاريخي في شمال العاصمة البريطانية لندن لمتابعة أبرز منافسات كأس الامم، كانت النجمة التونسية أنس جابر على بعد أميال قليلة في جنوب العاصمة على ملاعب عموم انكلترا في منطقة ويمبلدون، تحقق انجازاً تلو الآخر في لعبة التنس.

في ظهيرة يوم الجمعة الماضي، عززت أنس انجازها في أعرق مسابقات التنس، بطولة ويمبلدون، ثالثة البطولات الأربع الكبرى من حيث التقويم السنوي، بفوزها على بطلة 2017 الاسبانية غاربين موغوروزا عندما تغلبت عليها 5–7 و6–3 و6–2 وبلغت الدور الرابع في انجاز تاريخي، فبعدما بلغت الدور الثالث للمرة الاولى في البطولة الانكليزية قبلها بأيام باقصاء فينوس ويليامز الشقيقة الكبرى للنجمة سيرينا، واصلت أنس مشوارها بنجاح محققة فوزها الـ32 هذا العام، وهو الاعلى ضمن دورات رابطة المحترفات بالتساوي مع البيلاروسية أرينا سابالينكا، والمثير ان الانتصار جاء في الملعب الرئيسي لويمبلدون «سنتر كورت»، الممتلئ بالمشجعين، حيث استعرضت أنس مهارتها أمام نخبة من المتفرجين وعشاق التنس، بينهم كيت ميدلتون زوجة الامير ويليام حفيد ملكة بريطانيا، وعدد من أعضاء العائلة المالكة، حيث حظيت بتصفيق حار من الحضور لعدة دقائق عقب نهاية المباراة، ما دعا معلقة «بي بي سي» إلى القول: «هذا يوم فخر لأنس جابر... أفضل أيامها... يا لها من لحظة في تاريخ التنس التونسي... يا لها من لحظة في تاريخ التنس في شمال افريقيا». وتُقدّم أنس مستويات مميزة هذا الموسم وأصبحت الشهر الماضي أول لاعبة عربية تحقق لقبا ضمن دورات رابطة المحترفات بتتويجها في دورة بيرمنغهام الانكليزية. وقدمت في مباراتها الاخيرة إحدى أجمل لقطات البطولة عندما تابعت كرة صعبة من زاوية ضيقة من الجهة الخارجية للشبكة نحو الخط الخلفي.

وأصاب أنس التوتر خلال اللحظات الاخيرة من انتصارها على موغوروزا، في الملعب الاسطوري الذي تلعب فيه للمرة الاولى في مسيرتها، وتفيأت خلف الملعب عندما كانت تستعد لترسل كرة حسم المباراة، خسرتها قبل ان تنهيها بنجاح عند الفرصة الثانية، لكنها قالت بعد سؤالها عن حالتها ضاحكة: «انا بخير، بإمكاني أن ألعب مباراة أخرى. انا سعيدة. أول مرة ألعب فيها على الملعب الرئيسي وسط أجواء وطاقة رائعة»، وتابعت مبتسمة: «إنه أفضل يوم في مسيرتي الاحترافية. لا اقول ذلك لتأتوا وتشجعوني في الدور المقبل ولكنه افضل ملعب رئيسي لي».

ولا تخفي أنس (26 عاماً) رغبتها في أن تشكل مصدر إلهام للنساء العربيات ليمارسن التنس ويحترفنها، من أجل ان يرتفع عددهن ضمن دورات رابطة المحترفات ويصبحن قوة ضاربة على الأمريكيات والاوروبيات. وقالت: «أن أكون اللاعبة العربية الوحيدة (في هذا المركز المتقدم) ضمن دورات رابطة المحترفات ليس سهلا. ربما هناك من يشاهدني الآن ويريد أن يكون مكاني. أحاول دائما ان الهم الأجيال الأخرى». وأقرّت ان النجم المغربي السابق هشام أرازي ساعدها، وانه كان يراسلها على «إنستغرام» منذ بطولة استراليا مطلع العام. وقالت: «قدمّ لي بعض النصائح. وقال لي أشياء اختبرتها خلال مسيرتي حتى الآن. وقلت له إنه يجب أن نلتقي ونلعب». ولم تخف انها لم تشاهد الكثير من مباريات التنس عندما كانت تكبر وزوجها الحالي كريم كمون هو من كان «مهووسا برولان غاروس».

وأنس المولودة في قصر هلال في ولاية المنستير، في 1994، سبق أن سمعت بمواطنتها سليمة صُفّر التي احتلت المركز 75 في التصنيف العالمي عام 2001، إلا انها لم تشاهدها تخوض المباريات. وأكدت النجمة التي ستشارك في أولمبياد طوكيو: «لا يهم إن كان من تونس أو مصر او المغرب، أريد أن ارى المزيد من اللاعبات العربية». وفي بطولة أستراليا، أصبحت أنس أول لاعبة عربية وأفريقية تصل إلى ربع نهائي إحدى البطولات الكبرى، وهي أيضا العربية والأفريقية الأعلى تصنيفا في تاريخ رابطة محترفات التنس على الإطلاق بحلولها حاليا في المرتبة 24. وفازت على صعيد الشباب بـ11 لقباً فردياً وبلقب زوجي واحد. ووصلت إلى نهائي بطولة الكريملن (2018) ونهائي بطولة تشارلستون (2021)، كما وصلت إلى نهائيات الفردي مرتين للناشئات في دورة رولان غاروس الفرنسية عامي2010 و2011، وفازت باللقب في النهائي الثاني. هي أول لاعبة عربية تفوز بلقب الفردي للناشئين في البطولات الكبرى منذ فاز المصري إسماعيل الشافعي بلقب ويمبلدون في 1964. وأصبحت عنصرا أساسيا في بداية جولة رابطة محترفات التنس في 2017، وفي 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 2019 حصلت على لقب أفضل سيدة رياضية عربية لعام 2019. أنس ما زالت ترفع اللواء عالياً فَمزيداً من التألق.

@khaldounElcheik

مجتمع

ارتفاع نسبة الأمية بين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

عبد معروف

ارتفعت نسبة الأمية داخل المخيمات الفلسطينية في لبنان، خلال السنوات القليلة الماضية، بعد أن تشابكت الأزمات المعيشية وآلام اللجوء. وقد أضيف إلى كل ذلك، تراجع المجتمع الدولي وخاصة وكالة «الأونـروا» عن الاهتمام بأوضاعهم إلى جانب حالة الانهيار العام التي يتعرض لها لبنان، والتي تصيب اللاجئين الفلسطينيين أكثر من غيرهم.

وكان مجال اكتساب العلم خلال العقود الماضية، مصدرا للفخر وحافزا للفلسطينيين وخاصة في لبنان، وكان العلم بمثابة بديل مؤقت عن جواز السفر. فبعد نكبة فلسطين عام 1948 فقد الفلسطينيون ممتلكاتهم، ومصادر رزقهم، فتوجهوا بحماس شديد للدراسة والحصول على شهادات علمية أو مهنية، تمكنهم من الحصول على وظائف توفر لهم مداخيل تغطي تكاليف حاجاتهم الحياتية، لهذا كانت ترتفع بشكل طردي نسبة المتعلمين وحملة الشهادات، وتقل نسبة الأميين.

عرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة «يونيسكو» الأمية تعريفاً بسيطاً جاء فيه: «يعتبر أمياً كل شخص لا يجيد القراءة والكتابة». ومعظم البلدان لا تزال تعتمد هذا التعريف كمعيار في إحصاءاتها عن الأمية. ولفتت بعض الأبحاث بأن الشخص قد يجيد القراءة والكتابة من دون فهم لما يقرأ ويكتب، فغيرت يونيسكو تعريفها للأمية وأضافت معيار الفهم، فجاء تعريف الأمية كالآتي: «الشخص غير الأمي هو الشخص القادر على قراءة وكتابة وفهم نص بسيط وقصير يدور حول الوقائع ذات العلاقة المباشرة بحياته اليومية».

وكانت «يونيسكو» ثبتت سنة 1971 تعريفاً للأمية جاء فيه: «يعتبر ليس أمياً كل شخص اكتسب المعلومات والقدرات الضرورية لممارسة جميع النشاطات التي تكون فيها الألفبائية ضرورية لكي يلعب دوره بفعالية في جماعته، وحقق في تعلم القراءة والكتابة والحساب نتائج تسمح له بمتابعة توظيف هذه القدرات في خدمة نموه الشخصي ونمو الجماعة، كما يسمح له بالمشاركة الناشطة في حياة بلده».

التنمية الاجتماعية والاقتصادية

تعتبر مشكلة الأمية من أهم العقبات التي تواجه التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وهي أهم مظهر من مظاهر التخلّف الإنساني. وتشكل الزيادة السكانية المستمرة عاملاً مهماً من عوامل تفاقم المشكلة في غياب الإجراءات الحاسمة لمحو الأمية.

وبالرغم من الجهود التي بذلتها الدول النامية لمحو الأمية والقضاء عليها، إلاّ أن ملايين الأفراد صغاراً وكباراً ما زالوا لا يتمتعون بمزايا التعليم ويعيشون فضلاً عن ذلك في حالة فقر مدقع، هذا وفي القرن الحادي والعشرين لا يمكن للمجتمع الدولي أن يقبل باستمرار وضع لا يحترم فيه أحد الحقوق الأولية للإنسان وهو ما يشكل انتهاكاً للقيم الاجتماعية والإنسانية.

ويواجه الفلسطينيون في لبنان اليوم أزمة تعليمية حادة، ومن عوارضها انخفاض المستوى التعليمي، والانتشار السريع للأمية بين الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 16 سنة، والاهمال والفوضى التي تعم المدارس الابتدائية والمتوسطة، وتدني معدلات النجاح في الشهادات الرسمية، حيث لم تزد معدلاتها في الشهادة المتوسطة عن 41 في المئة، وانخفاض حاد في عدد التلاميذ فبلغت نسبة الزيادة في عدد التلاميذ في مدارس «الأونروا» خلال السنوات الماضية 1.21 في المئة، وارتفاع عدد الطلاب الذين يهجرون الدراسة، حيث بلغت معدلات التسرب في السنوات الأخيرة حوالي 20 في المئة، ويتعرض تعليم الفلسطينيين في لبنان للخطر بفعل عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة مرتبطة أساسا بالظروف التي مر بها اللاجئ الفلسطيني وبالحروب التي تعرض لها خلال السنوات الأخيرة وبطبيعة الظروف التي يعيشها لبنان بشكل عام والتي تنعكس سلبا عليه، وهذا ما قاد إلى تزايد نسبة الأميين بين الفلسطينيين في لبنان وتدني مستوى التعليم لدى قطاع الشباب دون سائر الدول المضيفة. ويؤكد مدراء المدارس ان القدرة على الاستيعاب وتعلم اللغات الأجنبية قد تدنت، وهذا ما يبرز من خلال نتائج الامتحانات الرسمية.

ورغم تزايد عدد المؤسسات التعليمية في المخيمات الفلسطينية سواء تلك التابعة لوكالة «الأونـروا» أو منظمة التحرير الفلسطينية أو المؤسسات الدولية، إلا ان اهتمام اللاجئ الفلسطيني بالتعليم انخفض بشكل ملفت. ووفقا لتقرير المفوض العام لوكالة «الأونـروا» فإن عدد الطلاب الفلسطينيين المسجلين في مدارس«الأونروا» بلغ 40814 طالبا يدرسون في 72 مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانويتين.

والمعلوم ان هذا العدد من المدارس قد تضائل نسبة للسنوات الماضية وبلغ 87 مدرسة ابتدائية ومتوسطة. ولا يقتصر التراجع في عدد المدارس فحسب، بل ان هناك انخفاضا حادا في مستوى التعليم، وانخفاضا في عدد الطلاب في المدارس الثانوية وارتفاع عدد الذين يهجرون الدراسة، وازديادا خطيرا في نسبة الأمية في الأعمار الصغيرة.

مدارس الأونروا

وتؤكد دراسة حديثة شاملة للوضع التعليمي للفلسطينيين في لبنان ان مستويات التعليم آخذة في الانخفاض خاصة بين النساء والصغار (40 في المئة بين الأطفال الذين تتروح أعمارهم بين 7–18 سنة) وينخفض الالتحاق بالمدرسة بسرعة بعد سن 11 عاما خصوصا بين الذكور. وتروح نسبة الأمية بين الأطفال بين 10.7–20.2 في المئة وهي نسبة تميل إلى الارتفاع دائما.

ويؤكد المتخصص التربوي الدكتور نور الدين الأطرش، ان جملة من العوامل تزيد من نسبة الأمية الفلسطينيين في لبنان، فالأوضاع السيئة لمدارس «الأونروا» وتقليص خدماتها التربوية خلال السنوات الأخيرة هي من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انحدار المستوى التعليمي التي اشتهرت به، ذلك لان انخفاض مستوى مدارسها، والذي يترافق مع اقبال التلاميذ الفلسطينيين في الصفوف الابتدائية لتلقي تعليمهم فيها بسبب الظروف الاقتصادية وغلاء الأقساط في المدارس الخاصة هو أكثر خطورة اليوم لأن ذلك الاقبال يتم رغم علم الأهل بتدني المستوى التعليمي وتفشي حالة الفوضى والاهمال في هذه المدارس.

ويقول الدكتور الأطرش لـ«القدس العربي» إن تقليص «الأونـروا» خدماتها التعليمية ووقف المنح لطلاب الثانويات أدى إلى تخفيض عدد المدارس ودمج أكثر من مدرسة بمبنى واحد، وأدى إلى عدم تطوير خدمات التعليم المتبقية، كما ان الأوضـاع دفعت العائلات إلى تشجيع أبنائهم نحو الهجرة والعمل المبكر لعدم قدرتهم على تأمين مصاريف الدراسة. وأمام ذلك يبدو ان هدف نظام التعليم في «الأونـروا» بـات موضع تساؤلات، فهي تعطي مبررا لفشلها في عدم تحسين نظامها التعليمي وضبط الأوضاع في مدارسها إلى العجز في ميزانيتها. ومن المعلوم ان البرنامج التعليمي في «الأونروا» من أكبر البرامج على مستوى الخدمات ويستهلك ما يقارب نصف ميزانيتها تقريبا.

وأعـرب الكتور الأطـرش عن اعتقاده أن تزايد نسبة الأميين بين الأعمار الصغيرة تشكل ظاهرة خطيرة بين الفلسطينيين في لبنان وتؤثر على مستقبل أجيالهم.

لافتـا إلـى أن وثـائـق الأمم المتـحـدة ويونيسكو، حددت التزامات قانونية دولية متعلقة بحق التعليم، وشددت على حق كل شخص في الانتفاع بتعليم جيد النوعية، بدون تمييز أو استبعاد. إلا أن هذه الوثائق والقـرارات لم تجد تطبيقا فعالا وكاملا في مخيمات الـلـجـوء، فاقتصر التعليم للفلسطينيين في لبنان، على فئة محددة، ضمن تمييز واستبعاد واضح على عكس ما أقرته المواثيق الدولية.

وبلغت مـعـدلات الأمـيـة في مخيمات وتجمعات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، ما يـقـارب 30.5 في المئـة، بحسب تقرير وكالة غوث وتشغيل اللاجئين، حيث بلغ عدد الطلاب الفلسطينيين المنتسبين بشكل رسمي للمؤسسات التعليمية في لبنان، 52.5 في المئة فقط.

وحسب «الأونـروا» أيضا، فإن نسبة التسرب المدرسي لدى فلسطيني لبنان، وصلت إلى 18 في المئة، حيث يفضل بعض الطلاب، ترك التعليم والإلتحاق بسوق العمل المتواضع، من أجل تحقيق كسب مـادي، يساهم بتغطية المعيشة.

أما أسباب إنحدار العملية التعليمية، فتكاد لا تحصى، فمن جهة، ترتفع تكاليف التعليم في لبنان، حتى وإن كـان بشكل مجاني أو شبه مجاني، فالكتب والمستلزمات المدرسية، بالإضافة إلى وسائل النقل، تحتاج إلى ميزانية معينة، خاصة إن كانت العائلة ذات دخل محدود، ومكونة من عدة أفراد، من جهة أخرى، الإمكانات المتواضعة، التي تكاد أن تؤمنها وكـالـة «الأونـروا» بـالإضـافـة إلـى النقص الحـاد في المـواد التشغيلية والمستلزمات التعليمية، اثرت وبشكل مباشر على المستوى التعليمي، وبالتالي هروب الطلاب من المـدارس ذات الطاقات شبه المعدومة.

وفي ذات السياق، تعود بعض أسباب الأمية والتسرب المدرسي، للظروف المعيشية الخانقة داخل المخيمات، إذ نوه تقرير وكالة الغوث، إلى أن 35 في المئة من أطفال مخيم شاتيلا يعانون من قصر النظر، بسبب الرطوبة والظلام والانقطاع الدائم للكهرباء، ما يسبب خللاً حاداً في العملية التعليمية التي افتقدت أقل وأبسط عناصرها.

وبما أنه لا يمكن فصل التطورات التي لحقت بالمجتمع اللبناني عن الوضع التعليمي الفلسطيني، منها الحروب والأزمات المتتالية في الساحة اللبنانية، التي أعاقت عملية التعليم بأشكال مباشرة، وغير مباشرة.

من ناحية أخرى، يتوزع نحو 39 ألف طالب وطالبة من اللاجئين، على 87 مدرسة ومنشأة تعليمية، مخصصة لهم على امتداد الأراضي اللبنانية، ما يوضح حالة الاكتظاظ في الصفوف، الأمر الذي يعكس وبشكل حتمي، الضعف في سير العملية التعليمية.

وبين تدني خدمات «الأونروا» التعليمية، وضعف المنشآت والأبنية المدرسية ولوازم التعليم، والضـغـوط والاهـمـال، مـرورا بالانعكاسات السياسية والأزمات المحلية، والأوضاع الأمنية يتهاوى مستقبل الطالب الفلسطيني، أمام المجتمع وهيئاته الحقوقية.

كذلك لا يمكن إغفال سياسة التوظيف المعتمدة ضد الفلسطينيين في لبنان، حيث يعتبر البعض أن شهادة الفلسطيني «بلا جـدوى» إذ لا يسمح له بالعمل في كافة المجالات والمؤسسات اللبنانية، وفي هذه الحـالـة، يفضل الآبـاء أن يتعلم أولادهـم «مصلحة مـا» يجنون منها القليل، كي يتمكنوا من إعالة أسرهم.

وعلى الرغم من الاهتمام العالمي بالتعليم، إلا أن فلسطيني لبنان ما زالوا يعانون من صعوبات في الحصول على التعليم الكافي من أجل بناء مجتمع واع، قادر على مواجهة التحديات التي تفرضها عليهم آلام اللجوء.

مانتي

المكوّنات

مكونات العجين :
3 أكواب دقيق
كوب ماء
نصف كوب زيت نباتي
رشة ملح

مكونات الحشوة:
نصف كيلو لحم مفروم
بصلة كبيرة مبروشة
فليفلة حلوة مبروشة
ربع كوب زيت زيتون
ربع كوب دبس رمان
ملح حسب الرغبة
ملعقة صغيرة سبع بهارات
ملعقة صغيرة قرفة ناعمة
نصف ملعقة صغيرة بهار أسود

طريقة التحضير

نعجن جميع المكونات مع بعضها البعض ونتركها لترتاح حوالي نصف ساعة بدرجة حـرارة الغـرفـة. نرقق العجينة بالشوبك ونقطعها إلى مربعات صغيرة الحجم.

نجهز الحشوة لمزج جميع المكونات مع بعضها البعض.

نشكل حشوة اللحمة على شكل كرات صغيرة ونضع كل كرة في منتصف العجين ومن ثم نغلق العجينة من الطرفين.

نـرص المانتي بصينية للخبز مدهونة بالزبدة، ثم ندهن وجه العجين بالزبدة أيضا وندخلها إلى الفرن لحين يصبح لون العجين ذهبيا.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

هل يعود الشعر الأبيض للونه الطبيعي بالتخلص من التوتر؟

يعتقد البعض أن التعرض لموقف صعب كالخوف أو الحـزن، يتسبب في تغير لون شعر الرأس إلى الأبيض. وبالرغم من وجود أدلة علمية تخالف هذا الاعتقاد، ربطت دراسة حديثة بين الحالة النفسية والإصابة بالشيب. فما النتائج التي توصلت لها؟

بالرغم من نفي بعض الخبراء في السابق لمسألة تغير لـون الشعر كـرد فعل للتعرض للضغط النفسي، قـدم علماء في جامعة كولومبيا الأمريكية مؤخرا «أدلـة إحصائية تربط الضغط النفسي بالشيب» وفقا لموقع «ساينس ديلي» العلمي.

فعلى عكس دراسـة سابقة على فئران التجارب تؤكد أن الشعر الـذي تحـول للون الرمادي لا يعود بشكل طبيعي للونه الأصلي مرة أخرى، فوجئ العلماء تلك المرة أنه بانتهاء عوامل الضغط النفسي يمكن للون الرمادي أن يختفي ليعود لون الشعر إلى سابق عهده.

فبمشاركة 14 متطوعا، قام الباحثون بمتابعة التغيير في لـون شعر كل متطوع ومعدل ما يتعرض له أسبوعيا من ضغط، ليلاحظ فريق البحث تحول الشعر الـرمـادي لـدى بعض المتطوعين للونه الطبيعي بشكل تدريجي بالتزامن مع تراجع ما تعرضوا له من ضغط نفسي.

ويشرح الأستاذ المساعد للطب السلوكي في جامعة كولومبيا مارتن بيكارد، أن الشعر أثناء وجوده في بوصيلاته تحت الجلد يكون عرضة للتأثر بحالتنا الجسدية والمزاجية وما يفرزه الجسم من هرمونات بدافع الضغط العصبي.

ويؤكد الباحث على أن فهم الآلية التي تسمح بالشعر الرمادي بالعودة لحالته الأولى «يمكن أن يثمر عن أدلة بشأن قابلية البشر للتقدم بالعمر بشكل عام، وكيفية التأثر بالضغط العصبي». ويـرى بيكارد أن ما توصلت له الـدراسـة مـن نتائج يضيف «أدلـة متزايدة» على أن عملية التقدم في السن «ليست عملية بيولوجية ثابتة ولكن يمكن على الأقل في جزء منها أن تتوقف أو حتى عكسها بشكل مؤقت» على حد تعبير الباحث.

وكـانـت أحـد طلبة بيكارد والمـشـارك في الدراسة، أيلت روزينبرغ، قد نجح في تطوير طريقة لالتقاط صور تسجل أقرب التفاصيل لأجزاء من الشعر بهدف تحديد مقدار فقدان الصبغ (مقدار الشيب) فيها، إذ أن استخدام العين المجردة وحده لا يكفي لملاحظة اختلاف اللون «إلا لو كان التغير جذريا». ويقول بيكارد: «نعتقد أن الشعر يحتاج للوصول لعتبة قبل أن يتحول للون الرمادي. ففي منتصف العمر عندما يكون الشعر قريبا من تلك العتبة بسبب السن البيولوجي وعوامل أخرى، يقوم الضغط بالدفع لتجاوز العتبة ويتحول الشعر للون الـرمـادي». ولكنه يضيف أن تراجع الضغط العصبي من على عاتق شخص يبلغ من العمر 70 عاما تحول شعره للرمادي بالفعل منذ سنوات، على سبيل المثال، ربما «لن يكون كافيا للعودة إلى لونه الأصلي». (dw)

الحمل

حـاول من حين لآخر أن تغير أسلوب حياتك

الثور

من الممكن توليك بعض المسؤوليات الصعبة

الجوزاء

تستعيد جزءاً من عافيتك التي فقدتها منذ مدة

السرطان

حاول إعادة النظر بأمور لا يراها زملاؤك

الاسد

الشريك يتصرّف بطريقة غريبة هذا اليوم

العذراء

عليك بممارسة الرياضة يومياً

الميزان

سيتغير موقف بعض الأصدقاء اليوم تماما

العقرب

نقاشات تثير أفكاراً جديدة لتحسين العمل

القوس

سوء التفاهم مع الآخرين يولد مضاعفات

الجدي

هناك بعض الأخطاء المرتكبة في العمل

الدلو

تتغير مقاييس كثيرة عبر تجربة مررت بها

الحوت

يزيد احترام مديرك وزملائك لك

جديد الطب

جهاز تركي يشخص سرطان الرئة والغدد اللمفاوية بدقيقة واحدة

تمكن علماء أتراك من جامعة بولو أبانت عزت بايصال، بولاية بولو غربي تركيا، من تطوير جهاز استشعار قادر على التشخيص المبكر لسرطان الرئة والغدد اللمفاوية. وبفضل جهاز الاستشعار الحيوي، سيكون بإمكان الأطباء حساب قيم الدم وتحديد ما إذا كانت هناك خلايا سرطانية في الرئة والغدد اللمفاوية، بدون الحاجة إلى إجراء عمليات جراحية. وقال البروفيسور الدكتور أركان يلماز، مدير مركز تطبيقات وبحوث أجهزة الكشف عن الإشعاع النووي في جامعة بولو أبانت عزت بايصال، إن جهاز الاستشعار الحيوي تجاوز بنجاح، جميع الاختبارات وأثبت فعاليته في تشخيص الخلايا السرطانية في الرئة والغدد اللمفاوية.

وأضاف «سيكون جهاز الاستشعار الحيوي قادرًا على الكشف بسرعة عما إذا كانت هناك خلايا سرطانية في الرئة والغدد اللمفاوية، من خلال إجراء تحليل دم بسيط مشابه تمامًا لاختبار السكر». وأردف: «نجحنا في تطوير جهاز استشعار حيوي يمكنه الحصول على نتائج مؤكدة في دقيقة واحدة، وقمنا باستخدام الجهاز المشار إليه بالفعل على عدد من المتطوعين واكتشفنا بشكل مبكر وجود خلايا سرطانية في الغدد اللمفاوية والرئة».

وأشار يلماز إلى أن مركز تطبيقات وبحوث أجهزة الكشف عن الإشعاع النووي في جامعة بولو أبانت عزت بايصال، سوف يزود الرأي العام لاحقًا بمعلومات مفصلة حول طريقة عمل الجهاز.

وأوضح البروفيسور أن عملية استخراج براءة الاختراع وتوثيقها لا تزال مستمرة في هذه المرحلة، وأن مركز تطبيقات وبحوث أجهزة الكشف عن الإشعاع النووي سوف ينتقل إلى مرحلة الإنتاج المتسلسل للجهاز بعد استخراج الوثائق المطلوبة.

وشكر كل من ساهم في نجاح هذا المشروع، وقال: «هذا العمل يعتبر مشروعًا ناجحًا وفعالًا يساهم في الكشف المبكر عن الخلايا السرطانية في الرئة والغدد اللمفاوية، الأمر الذي يساهم في شفاء المصابين». بدوره، قال عضو هيئة التدريس في جامعة بولو أبانت عزت بايصال، الدكتور أرجان سلجوق أونلو، إن الدراسات التي أجراها فريق البحث في مركز تطبيقات وبحوث أجهزة الكشف عن الإشعاع النووي اعتمدت على تطوير التكنولوجيا الحيوية لرصد والكشف المبكر عن الخلايا السرطانية. وأكد أن الدراسات التي قادتهم إلى تطوير الجهاز المذكور، مكنتهم أيضًا من جمع بيانات مهمة حول الخلايا ونشاطها الحيوي وتغيير بياناتها الجينية.

وزاد «في بعض الأحيان، يكون من الصعب متابعة الإشارات من هذه البيانات الجينية بالتقنيات الحالية. ومع تطوير هذا الجهاز، بات لدينا فرصة لرصد التغيرات في البيانات الجينية في تكوين الخلايا السرطانية».

وقال الدكتور أرخان بوداق عضو الهيئة التدريسية في جامعة بولو أبانت عزت بايصال، إن الجهاز المبتكر يعتبر الأول على المستوى المحلي والعالمي، فضلًا عن كونه منتج صديق للبيئة.

وشدد نائب رئيس جامعة بولو أبانت عزت بايصال، البروفيسور الدكتور كامل كوريل، على أن الجهاز قادر أيضًا على تشخيص الالتهابات أو الكتل السرطانية الحميدة أو الخبيثة الموجودة في الرئة والغدد اللمفاوية. وتابع، «كما هو معروف، فإن طريقة التشخيص النهائي لفهم ماهية الكتلة، تعتمد على أخذ خزعة من المريض. إلا أن هذه الطريقة قد تترك آثارا جانبية ومخاطر معينة لدى المريض».

وأضاف: «نعتقد أن الجهاز المطور في مختبراتنا، سوف يساهم في تسهيل الكشف المبكر عن الكتل السرطانية من خلال إجراء عملية تحليل للدم تظهر نتائجها خلال دقيقة واحدة». (الأناضول)

رغم تقدم التطعيم «دلتا» تنتشر عالميا وتتسرب إلى دول عربية

تسارعت أرقام الإصابات بسلالة «دلتا» في مختلف أنحاء العالم، وسجلت دول عربية أرقام إصابات متفاوتة. فما هي تفاصيل الأرقام؟ وهل تعيد النسخ المتحورة من فيروس كورونا ما كان عليه العالم من إغلاق قبل أشهر؟

وتثير النسخة المتحورة من فيروس كورونا المعروفة باسم «دلتا» هلعا عالميا، ففي الوقت الذي شرعت فيه دول كثيرة عبر العالم في تخفيف الإجراءات الاحترازية، وسمحت بعودة كاملة أو جزئية لحرية التنقل عبر الحدود، قامت دول أخرى بإعادة القيود جزئيا بسبب انتشار الإصابات أو ظهور مخاوف حقيقية لعودة انتشار الفيروس، إذ يأتي انتشار هذه النسخة المتحورة في شهر الصيف الذي يكثر فيه السفر.

مخاوف عربية

أعلنت عدة دول عربية عن إجراءات جديدة لمواجهة المتغيّر، وصرّح مسؤول بارز بوزارة الصحة العراقية أن سلالة «دلتا» دخلت البلد فعليا، وأن المؤشرات أثبتت وجودها من «خلال زيادة عدد الإصابات بين فئة الشباب وارتفاع عدد الموجودين في ردهات العناية المركزة في المستشفيات، حيث زادت من 300 إلى 500 حالة إصابة من الشديدة والحرجة في عموم البلاد».

وأضاف أن «الإصابات كانت بحسب المسحات الطبية أقل من 10 في المئة وأصبحت حاليا بحسب الموقف الوبائي أكثر من 12 في المئة، وهذه الزيادة تدل على دخول السلالة الهندية لكن لم يتم حتى الآن إثباتها مختبريا».

كما أعلنت وزارة الصحة التونسية هذا الأسبوع الكشف عن 18 إصابة بسلالة «دلتا» منها سبع إصابات تم رصدها في ولاية القيروان أكثر المناطق تضررا بالوباء، حيث تشهد نسبة إصابات تفوق 400 لكل 100 ألف ساكن ما يجعلها في مستوى إنذار «مرتفع جدا».

وبعد استقرار في عدد الإصابات، سجلت تونس ارتفاعا ملحوظا في انتشار الفيروس، وكان الرقم الأكبر يوم 26 يونيو/حزيران عندما تم تسجيل أكثر من 4600 إصابة في يوم واحد. ويزداد القلق في تونس بسبب ضعف حملة التطعيم، إذ لم تتجاوز نسبة الملقحين 3.9 في المئة من عدد السكان يوم 24 يونيو/حزيران، فضلا عن الانتقادات الموجهة للسلطات في الرعاية الصحية.

وفي الإمارات التي تسيّدت المنطقة العربية في عدد الملقحين، وتجاوزت دولا أوروبا، ومنها المغرب الذي تشير أخبار إلى أن اللجنة العلمية المكلفة بتتبع الفيروس تتابع الوضع عن قرب. وسبق للسلطات أن وضعت لائحتين تحيّنان بشكل دائم بخصوص الدول التي يمكن السفر منها دون الحاجة إلى حجر صحي، ومنها دول تنتشر فيها النسخ المتحورة.

انتشار سريع عبر العالم

اكتشفت سلالة «دلتا» في الهند في شهر شباط/فبراير الماضي، وبسببها توقفت الهند عن تصدير نسختها المحلية من لقاح أسترازينيكا، وبسببها قفز عدد الإصابات في البلد إلى أكثر من 30 مليونًا، واقتربت الوفيات من 400 ألف حالة.

ويصل عدد الدول التي اكتشفت فيها السلالة المتحورة إلى أكثر من 90 دولة، وزاد خطر السلالة عندما تحورت وأضحى هناك متحور «دلتا بلس» الذي ظهر في الهند مؤخرا، وتشير تقارير إلى أن هذا المتحور ظهر في دول أخرى خلال الأيام الماضية.

وتعتبر إندونيسيا من الدول التي تسببت فيها «دلتا» بأوضاع صعبة باتت تقترب من حدّ «الكارثة». وسجلت إندونيسيا أكثر من 20 ألف إصابة مؤخرا. وصرّح جان جلفاند رئيس وفد الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر في هذه الدولة قائلا: «تدفع السلالة دلتا إندونيسيا يوما بعد يوم للاقتراب من حافة كارثة كوفيد–19».

كما عادت الإصابات في البرتغال إلى الحال الذي كانت عليه في شهر شباط/فبراير. وارتفعت الإصابات في بريطانيا بشكل كبير رغم حملة التطعيم الناجحة. كما أعلنت روسيا عن حصيلة قياسية جديدة من الوفيات اليومية الناجمة عن فيروس كورونا في موسكو وسان بطرسبرغ. وبحسب الأرقام الرسمية، سجلت موسكو 124 وفاة، وسان بطرسبرغ 110 وفيات.

ورغم الهلع العالمي، إلّا أن الدول الأوروبية لا تزال تستبعد إعادة الإغلاق التام الذي شهدته خلال فصل الشتاء الماضي، وسط تأكيدات أن بعض اللقاحات المنتشرة في أوروبا قادرة على محاصرة هذه النسخ المتحورة، وسبق للسلطات الصحية في أكثر من بلد أن وعدت بالسيطرة على فيروس كورونا بشكل كامل خلال صيف هذا العام، لكن ذلك لا يظهر ممكنا مع ظهور السلالات الجديدة. (Dw)

منوعات

نار الثأر التي تؤججها الدراما الجنوبية فتنة تنتظر شرارة البدء

كمال القاضي

تُعد قضايا الثأر من القضايا الرئيسية في صعيد مصر، فهي على المستوى الواقعي تُمثل أمراضاً مُزمنة تهدد استقرار المواطن وأمنه. وبرغم الجهود المُكثفة المبذولة للقضاء عليها إلا أنها ما زالت مستوطنة وباقية في جسم المجتمعات القبلية والريفية، ولعل من دواعي استمرار مشكلة الثأر في المناطق الجنوبية تحديداً، تلك المعالجات السطحية والساذجة التي تتطوع الدراما بتقديمها فتُشعل النيران مُجدداً في قلوب الخصوم كلما خمدت. فعلى عكس ما يقصد الكُتاب والمخرجون والنجوم تأتي النتائج في غير محلها، حيث تتأثر بعض الشخصيات التي تستقي ثقافتها من الشاشة الصغيرة بما يُعرض من مظاهر الكبر والغطرسة وتتقمص أدوار الأبطال في المسلسلات فتزداد مساحة التنافس والتناحر في الواقع الجنوبي المُعاش فعلياً فتنقلص فرص الصُلح بين العائلات المُتنازعة وتبقى نيران الغضب مُستعرة في النفوس.

آخر ما تم عرضة من مُسلسلات في هذا الخصوص كان «نسل الأغراب» للمخرج محمد سامي وبطولة أحمد السقا وأمير كرارة وإدوارد ومي عُمر، ولأن ما أثير حول المُسلسل من مشكلات تتصل بالموضوع والأداء وحجم الإنتاج والمردود السلبي للحدوتة المُلفقة كان زائداً عن الحد، فقد أخذت القضية حيزاً أكبر مما تستحق على المستوى النقدي والجماهيري، ولهذا انتقلت العدوى سريعاً لمحيطات الثار في المناطق الموبوءة بالمرض فتجددت النزاعات والاشتباكات واستيقظت الفتن النائمة، في دلالة واضحة على التأثيرات السلبية العميقة، وكان من الممكن أن تؤدي إلى كوارث كبرى لولا المُعالجات الأمنية الفورية التي حالت دون التمادي في الصراعات العائلية والقبلية في المناطق النائية التي تقل فيها الخدمات الثقافية والترفيهية وتتراجع فيها التوعية المُجتمعية.

ومن النوعيات الأخرى الحديثة للدراما الصعيد والثأر والدم، مسلسل «موسى» لمحمد رمضان وتسمية الخشاب والذي عُرض أيضاً في توقيت متزامن مع مسلسل «نسل الأغراب» في الموسم الرمضاني الفائت وكان له نفس الأثر السلبي برغم أنه على المستوى الموضوعي تعدد في أطروحاته وجوانبه، لكنه لم يبتعد بأي حال عن النقطة المحورية المثيرة للقلق والتوتر والباعثة على إحياء الثار القديم ولو بعد حين، حيث أزمة المُحاكاة والتقليد الظاهرة في المُجتمعات الجنوبية تزداد وضوحاً وانتشاراً أمام المُستجد من الأعمال الدرامية ومداراتها وشخصياتها الكاريزمية التي تلفت النظر وتكون مدعاة لإعادة إنتاج الشخصية الدرامية بتفاصيلها وسماتها واقعياً وفعلياً ونفسياً بالاستهواء، أي أن الحالة الدرامية قد تستهوي البعض فيعايشها ويستغرق في تفاصيلها، وهذا وارد في أي مجتمع مهما كانت درجة تقدمه، ولعل السينما الأمريكية قدمت نماذج أكثر وضوحاً في مسألة التأثير والتأثر عبر أفلام الأكشن والعنف التي غزت العالم كله فصارت نمطاً سلوكياً مُقلداً في معظم المُجتمعات بما فيها المجتمع الأمريكي نفسه.

الشبه تماماً من الصورة المعروضة على الشاشة وهو مكمن الخطورة، لأن كل ما يتعلق بهذه الصورة الافتراضية من تفاصيل جوهرية أو فرعية يتم استنساخه وفق المُعطيات المتوافرة في العمل الدرامي مع إغفال الفروق الجذرية بين لعبة الخيال وطبيعة الواقع!

ولم يكن مسلسل «الضوء الشارد» هو العينة الوحيدة التي أخذت بالباب جمهور المجتمعات الجنوبية، لا سيما البسطاء من الناس فيها، وإنما كانت هناك أعمال سابقة اتسع مجال تأثيرها بشكل ملحوظ كمسلسل «سلسال الدم» لرياض وعبلة كامل ومسلسل «ذئاب الجبل» للنجمين الكبيرين الشقيقين حمدي وعبد الله غيث، مع أحمد عبد العزيز وسماح أنور ومجموعة متميزة من نجوم الأداء التمثيلي والحضور القوي، وبالفعل أحدث «ذئاب الجبل» ضجة مدوية إبان عرضه الأول. فقد زادت مُعدلات المتابعة الجماهيرية للحلقات وتناوله النقاد تناولاً جاداً مما ضاعف تأثيره الشعبي وأوضح ظاهرة التقليد أو التأثر بالحالة الدرامية في عمومها، بخلاف التأثر الخاص بأداء النجوم والأبطال في طريقة الكلام والحركة والأداء الزعامي في تعاملهم مع قضاياهم الشخصية، وهو ما يُفسر علمياً ونفسياً بالاستهواء، أي أن الحالة الدرامية قد تستهوي البعض فيعايشها ويستغرق في تفاصيلها،

وبالعودة لأصل الموضوع في الدراما الصعيدية فالنماذج كثيرة ومُتعددة وأوجه التفاعل لا حصر لها، خاصة مع المسلسلات الناجحة والتي تصدر بطولة بعضها الفنان السوري جمال سليمان وأحدث تأثيراً منقطع النظير سواء في مسلسل «سيدنا السيد» الذي قدمه منذ سنوات أو غيرة من أدواره المُعتبرة والمتميزة، ولو رجعنا بالذاكرة لسنوات سنجد مئات المُسلسلات من هذا النوع الجذاب قام ببطولتها نجوم كبار، فنور الشريف على سبيل المثال قدم في بداياته مسلسل «مارد الجبل» وسعيد عبد الغني قدم مسلسل «الغربة» وقدم عبد الله غيث مسلسل «البركان» في أول ظهور تلفزيوني درامي لإلهام شاهين منذ أكثر من أربعين عاماً، عن قصة الكاتب الكبير ثروت أباظة «شيء من الخوف» حيث جسدت إلهام دور فؤاده الذي قدمته شادية سينمائياً مع النجم الكبير محمود مرسي في فترة الستينيات.

وبشكل عام فإن الالتفات لظاهرة المُسلسلات الجنوبية التي تدور أحداثها حول قضايا الثأر في صعيد مصر مسألة ضرورية وحتمية وإعادة النظر فيها واجبة ومهمة منعاً لزيادة العنف وحرصاً على تقليل التوتر بالمناطق المُلتهبة لضمان السلامة العامة للمواطن.

شوق العودة للقاء الجمهور أثمر

«هلع» عرض كوميدي موسيقي

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

يجتمعون في الفضاء المسرحي بعد طول انقطاع، وفي داخلهم يتحرك هدف ضمني هو الانتقام من كورونا وأيام الحجر المنزلي التي أطبقت على قلوبهم. «هلع» عرض مسرحي يضم مجموعة أصدقاء من أيام المدرسة، فرّقتهم الدراسة الجامعية والسفر، وراح كل منهم باتجاه ريحه ومساره المستقبلي. المفارقة أن لقاءهم في منزل «رالف» بعد تسع سنوات من الفراق أتى في زمن الفيروس اللعين. وحينها اختلطت الحوارات بين الشخصي وبين واجبات التصدي لكورونا والاحتراس منها. ومن بين الأصدقاء الستة برز «هلع» وليد ومبالغته في الوقاية لحدود إقفال مصعد البناية، ومنع استعماله على سبيل الحرص.

ضحك كثير يتخلل «هلع» رغم وجود الخائف حتى التطيُّر من كورونا. الشابات والشباب يعبرون عن مقاومتهم للحجر بأسلوبهم الحيوي المشوق، وبالموسيقى والغناء. إنها يوميات الحجر التي تتكيف بكلام الأغنيات مع موسيقى بروداوي الجميلة. والجميع في عرض «هلع» يغني ويرقص ويتحرّك وفق كوريوغرافي جذابة رسم خطوطها روي عازار.

«هلع» عرض مسرحي غنائي كوميدي، يحمل نبضاً شبابياً نصاً، وحركة وتعبيراً. وفيه أتقن المخرج سني عبد الباقي توزيع حضور الممثلين على الخشبة. ساعدته مميزاتهم الجسدية والتعبيرية على استخراج ما لديهم من امكانات كامنة، فبعضهم يأكل المسرح بنظرة عين، وآخرون بصمت بليغ.

في «هلع» قرر الكاتب والمنتج والممثل سامر حنّا، مع مجموعة الممثلين ليال الغصين، وماريا بشارة، وميليسّا دانو وترايسي يونس وبالتكاتف والتضامن مع المخرج سني عبد الباقي، أن يشغلوا خشبة مسرح المدينة بنبضهم. إنها مسرحية تغلي شوقاً للعودة إلى المسرح من قبل مجموعة ممثلين من جيل الشباب، بعد أن اقفلت الانتفاضة وزمن الحجر المنزلي وتفجير المرفأ الأفق أمامه. وكان لا بد من الاقتحام المميز هذه المرّة بالكوميديا والغناء، والتضامن للانتصار على كورونا وتداعياتها.

عروض «هلع» على خشبة مسرح المدينة من 3 إلى 18 من شهر تموز/يوليو الجاري. وهنا حوار مع المخرج سني عبد الباقي وكاتب النص والممثل سامر حنا:

سني عبد الباقي: بعد الحجر تشوق لعرض كوميدي

سني عبد الباقي يوقع تجربته الأولى في الإخراج بعد حضور لـ12 سنة كممثل محترف في العديد من الأعمال المسرحية. فماذا عن حوافز الإقدام على هذه الخطوة النوعية في حياته المهنية؟

● تعرّفت إلى سامر حنّا خلال مشروع «همسات» الذي تولته المسرحي الذي كتبه. قرأته وأحببت الحبكة والشخصيات، ولبيت دعوته لتولي مهمة الإخراج. وتعريفاً «همسات» هو العرض المسرحي الذي جرى في الفضاء الإفتراضي، وكان بهدف جمع المساعدات المالية لدعم المسارح والفنانين المسرحيين المتضررين من تفجير المرفأ. وفي هذا العرض شاركت بمونولوغ كما الزملاء الممثلين.

○ **العرض كوميدي وتناول مرحلة الحجر المنزلي وعلاقتنا بفيروس كورونا. هل كان سهلاً تظهير الكوميديا التي لم تخل من مسحة درامية؟**

● نحن حيال عرض من نوع «لايت كوميدي»، كشخص عاش الحجر المنزلي، كنت بشوق لحضور مسرحية كوميدية بعد عودة المسارح للعمل. فنحن جميعاً في لبنان مررنا ولا نزال بمراحل صعبة، وباتت ضحكتنا غالية، إن لم نقل ممنوعة عنّا. أن نضحك فهذا نوع من ثورة على الواقع.

○ **كم تأثرت شخصياً بالحجر المنزلي؟**

● تأثرت شخصياً ومهنياً. في الواقع كنا حيال عروض لمسرحية بعنوان «تحية صبحية» للمخرجة لينا أبيض، نص وإنتاج جوزيان بولس. وقد اضطررنا للتوقف عن العرض بفعل قرار الإقفال العام. كفنان أعمل في المسرح كونه يجمع الناس. إنها ميزة المسرح التي تفتقدها السينما. في العمق أشعر كفنان بنوع من الأذى حين أعجز عن جمع مجموعة من الناس في مكان عام كي يتمكنوا معاً من اختبار عمل فني.

○ **إذاً يفترض أن يكون حماسك لتقديم «هلع» أكثر من عادي؟**

● بمجرد أن أصبحت في مكان واحد مع مجموعة من الممثلين هدفهم تقديم عرض مسرحي، غمرني الفرح الكبير. شخصياً أتحمسّ للتمارين بطريقة مختلفة جداً عن جاذبية العروض. وعندما كانت لي فرصة العمل مع ممثلين يتمتعون بالموهبة عشتها بكل ما تستدعيه من حماس. خاصة وأني خلال التدريس الجامعي أركز مع الطلاب على إدارة الممثل. أؤمن بأن جزءاً من الإخراج هو إدارة ممثل، وهذا يضاف إلى كيفية تركيب المسرحية كنص ومشاهد. وهذا ما شكل بالنسبة لي دافعاً كبيراً للعمل.

○ **للعرض الكوميدي محاذير الوقوع في المبالغة، كم راعيت هذه الفرضية في «هلع»؟**

● خبرتي كممثل أثبتت لي أني أحصد الفشل حين أقرر إضحاك الجمهور. لكن حين العب على الخشبة مع باقي الممثلين أعيش تسلية رائعة ومفيدة، سواء ضحك الجمهور أم لم يضحك. وبالتأكيد للجمهور حرية أخذ ما يريده من كل عرض مسرحي يقرر حضوره.

○ **كمخرج كيف اخترت فريق الممثلين حيث لكل منهم ميزة خاصة به؟**

● المفارقة أنني في اليوم المقرر للكاستينغ أصبت بالكورونا، فوقعت مهمة الإختيار على الكاتب والممثل سامر حنا بالتعاون مع جوانّا طوبيا التي كتبت كلمات الأغنيات التي يتضمنها العرض. وكان اختيارهما موفقاً.

○ **لماذا يتضاءل حجم الممثلات ويذبن في كراسيهنّ وهنّ يتحدثن عن زميلتهن أيام الدراسة وزواجها؟**

● فقط للدلالة على مرور وقت طويل وهنّ يرغبن في الموضوع نفسه، ويكررن الأسئلة بطريقة أو بأخرى. إنهنّ زميلات دراسة لم يتمكنّ من إلتقاط أطراف للموضوع الأساسي الذي يجمعهن. وهذا ما نترك كشفه للمشاهدين في آخر العرض المسرحي.

○ **أين أضاف الإخراج للنص لتظهير اللحظة الكوميدية مشهدياً ومضاعفتها إنتقاماً من حجر كورونا؟**

● علمتني تجربتي كإنسان في السنوات الأخيرة أن المشكلة التي تدفعنا لليأس، يمكننا أن نتناولها بالضحك. تأكدت بالممارسة العملية أن نظرتنا للحياة كمصدر للدراما، يمكنها أن تتبدل بين تراجيديا وكوميديا.

○ **الغناء الجميل الذي أتى في السياق الدرامي للعرض المسرحي من تولى تنسيقه؟**

● تمّ بالتعاون مع مدربة الصوت ميليسّا دانو التي تلعب دور «شانتال». وإلى جانب كونها ممثلة، فهي خريجة المعهد الوطني الموسيقي ـ الكونسرفتوار.

وهنا تدخل ميليسّا دانو إلى الحوار لتشرح خصوصيات هذا العرض المسرحي: هذا النوع من المسرح الكوميدي والغنائي يحتاج للتدريب على التمثيل من خلال الصوت. والمطلوب إيصال الإحساس بالحالة من خلال الأغنية والصوت. إذ ليس جميعنا يمتلك موهبة الصوت، بينما جميعنا لديه الإستعداد للتمثيل من خلال الصوت والحركة معاً بعد التدريب المناسب.

تعاوناً بين مخرج وكاتب من جيل الشباب

غنائي نابض بالحياة يعاين أياماً من الحجر

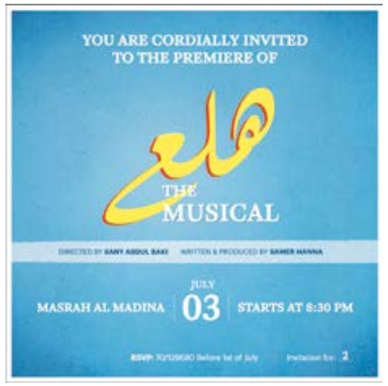

سامر حنا: الكتابة كسرت حدّة الحجر

يؤدي سامر حنا دور «رالف» في مسرحية «هلع» إلى جانب كونه الكاتب والمنتج معاً. معه نتعرف إلى حيثيات كتابته المبكرة لنص يتحدث عن كورونا والحجر المنزلي، فيما الحالة لا تزال تفرض نفسها محلياً وعالمياً.

● فعلياً كنت أمثل في عرض «كولوار الفرح» مع المخرجة بيتي توتل في مسرح «دوّار الشمس» حين حضر في أحد العروض فقط 30 متفرجاً. عرضنا وتسلينا كثيراً، لكننا فيما بيننا داخل الكواليس عبّرنا عن خشيتنا من أن المسرح سيقفل وأننا حيال العرض الأخير. عشنا الحالة فعلياً، وحين انتهى أقفلت الستارة، علمنا أن قرار الإقفال العام يبدأ تنفيذه في صباح اليوم التالي. بكينا جميعنا ونحن نودع بعضنا. وهكذا انضممت إلى والديّ في بلدة برمانا، وعشنا برفقة الشجر والوادي فقط لا غير. كانت رؤية الناس شبه مستحيلة، الأمر الذي تسبب لي بما يشبه الإختناق، ووجدت الحل بالكتابة. السبيل لكتابة السطر الأول انطلق من سؤال وجهته لنفسي، وهو أين أرغب أن أكون الآن؟ وإن لم تكن رغبة العيش مع الأهل موجودة فما هو البديل؟ فكانت الرغبة جامحة بأن أكون مع زملاء مقاعد المدرسة الذين ترافقت معهم لـ15 سنة متواصلة، ومن ثمّ تفرقنا، وهاجر أكثرهم. وهكذا التقيت مع أصدقاء الدراسة على الورق، وكنّا معاً مجبرين على العيش معاً ليومين متتاليين.

○ **يمكن القول أنك وجدت دواءك في الكتابة؟**

● كنت أحتاج لعمل ما أجد نفسي فيه. بغير ذلك كنت مدعوماً نفسياً وعاطفياً ومادياً من والديّ. في حين أن البعض من زملائي كانت عائلاتهم تحتاج لخروج الأب إلى العمل للتمكن من تأمين القوت اليومي. فالدولة لم ولن تساعد من يكسبون قوتهم يوماً بيوم. حاولت كتابة الكاراكتير الخاص بي خلال الحجر، والذي أبعدني عن النادي الرياضي وعن السهر الليلي. ووجدت تعزيتي بمن حولي، ومنهم الطلاب الذين كانوا في لبنان وأجبروا على البقاء بعد إقفال المطار. وربما خسر بعضهم دراستهم والمنحة المخصصة لهم. بعيداً عن النص المسرحي أشكر الله بأن ظروف الحجر بالنسبة لي، لم تكن ذات وقع قاس كما حالها على آخرين.

○ **نجحتم جميعكم بترك انطباع بأنكم فُرحون بالتعبير عن مرحلة كورونا؟ لماذا برأيك؟**

● صحيح. لقد تناولنا مرحلة بالغة الصعوبة من حياتنا، لكننا رغبنا بأن نظهر للجمهور أننا تخطيناها وأنها أصبحت من الماضي. مع العلم أن ملايين البشر لم تكن تؤمن بأن اللقاح سيكون قريباً، بل سلمت أمرها للحجر بدون نهاية. ربما كنا ساذجين في توقعاتنا.

○ **ماذا عن مسيرة النص والمراحل التي مرّ بها بينك وبين المخرج سني عبد الباقي؟**

● تحول لعدة نصوص. وفي كل مرة كان يطرأ عليه تعديلات. ربما بلغ عدد إعادة الكتابة العشر مرّات. ثمة مشاهد كانت تحذف، لنعود ونضيفها في كتابة تالية. الكتابة المتكررة هدفت لإيجاد التوازن بين مفاصل العرض جميعه. فعلى سبيل المثال تراجع زمن العرض من ساعة ونصف إلى ساعة وخمس دقائق. حذفنا وأضفنا، وصولاً إلى العرض الذي شاهدته والذي وجدناه «فريش» وجميل.

○ **هل نال النص رضى اسم مسرحي مشهود له؟**

● لنا أصدقاء ومخرجون كان رأيهم حاسماً وهم شاهدوا التمارين الأخيرة كما المخرجة لينا أبيض والمنتجة جوزيان بولس. تقديرهما للعمل الذي قدمناه مدّنا بالراحة والدعم.

○ **وسامر حنا هل تُسجل أول نص مسرحي بإسمك؟**

● بل سبق وتناولت نصاً من بروداواي، تمّ ضبطه وللبنننه وذلك في بداية سنة 2019. إنها مسرحية موسيقية «يا ما ميا» عُرضت لسبع ليالي في دوار الشمس. تشجعت لتقديم «هلع» فالناس تحتاج للمسرح، ونحن نتشوق للعمل حتى وإن كانت نسبة الحضور في الصالة هي 50 في المئة حماية من الوباء ومع كمامة.

○ **الإنتاج لك والعمل الموسيقي يلزمه مال. من أين الجرأة في أوضاعنا الحاضرة؟**

● منذ كنت في الثامنة عشرة من العمر وأنا أنتظر من يثق بي ليسلمني عملاً مسرحياً. أنا الآن في الثامنة والعشرين، وقد أكتشف أنني أخلق الفرص لذاتنا خاصة في لبنان. جميل أني وجدت المساندة من جوزيان بولس التي آمنت بقدراتي من الكتابة الأولى للنص. قرأت النص وطلبت منها تمثيل دور الأم. نصيحتها كانت بأن يقتصر النص على جيل الشباب. ومنحتني دعمها في كافة الخطوات التي يحتاجها العرض المسرحي. جوزيان بولس والدتي الثانية في المسرح.

○ **وماذا عن الدعم المالي؟**

● حصلنا على دعم من صندوق «همسات» الذي تشرف عليه لينا أبيض، واغاثا عز الدين وجوزيان بولس.

○ **يبدو أنك منحاز للمسرح الموسيقي؟**

● نعم. وهذا ما نما عندي منذ الطفولة مع ديزني. للموسيقى قدرة تعبير يعجز عنها الكلام. لم أدرس الموسيقى لكنّ أذني موسيقية.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 143 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 33 - Issue 10314 Sunday 4 July 2021
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10314 الأحد 4 تموز (يوليو) 2021 – 24 ذو القعدة 1442 هـ

بسبب موقفه من crop-top ماكرون يوصف بـ«خميني فرنسا»

باريس–«القدس العربي»: آدم جابر

في أيلول/سبتمبر الماضي، دعا وزير التعليم الوطني الفرنسي جان ميشيل بلانكير إلى ارتداء «زي جمهوري» داخل المؤسسات التعليمية في البلاد. وقتها اكتفى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بالحث على «الحس السليم» قائلاً إنه لا يتدخل في كل شيء، وذلك فيما يتعلق بموضوع حركة «الإثنين 14 سبتمبر» والتي تهدف إلى مكافحة المضايقات والانتقادات التي تتعرض لها الفتيات المراهقات بسبب لباسهن.

وهو موقف يبدو أن الرئيس الفرنسي قد أعاد النظر فيه. فرداً على سؤال حول ارتداء ما يُسمى Crop-top (قميص قصير) في الشارع أو في المدرسة، خلال مقابلة مع مجلة «إيلي» الفرنسية نُشرت يوم الخميس الماضي، أوضح إيمانويل ماكرون أنه ضد هذا النوع من اللباس وأن «اللباس اللائق» هو الذي يجب ارتداؤه في المدارس. وقال ماكرون: «في المنزل أو مع الأصدقاء، هذا شيء. وفي المدرسة فإن اللباس اللائق مطلوب لكل من الفتيات والفتيان. أنا لست مدافعا عن الزي الرسمي، لكن أي شيء يشير إلى هوية أو رغبة في الصدمة أو الوجود لا مكان له في المدرسة». وقد أثارت تصريحات الرئيس الفرنسي هذه ردود فعل واسعة على منصات التواصل الاجتماعي، بما في ذلك من قبل العديد من الشخصيات السياسية.

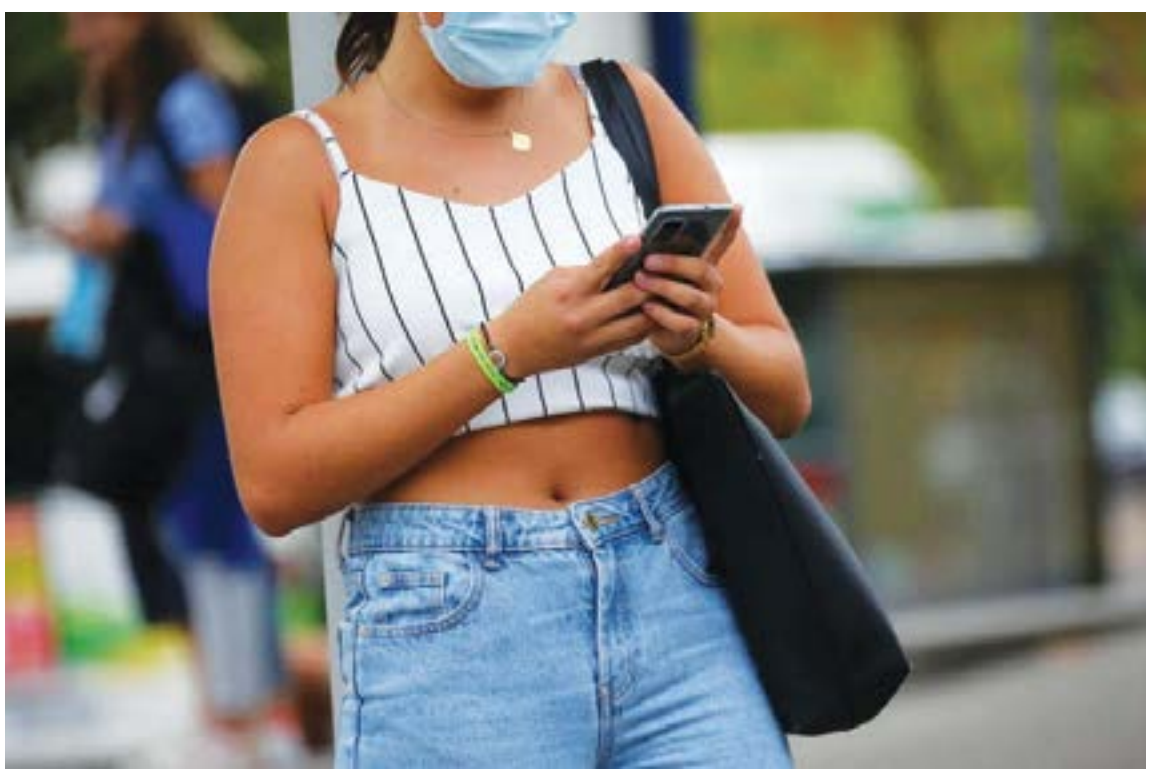

فعلى مستوى الحكومة قالت مارلين شيابا، كاتبة الدولة المكلفة بالمواطنة، في تصريح إذاعي إنها لا تريد أن تدخل في جدال مع الرئيس ماكرون حول موضوع مع أو ضد ملابس crop-top.

وهو موقف حساس بالنسبة لشيابا كاتبة الدولة السابقة المسؤولة عن المساواة بين المرأة والرجل، التي دعمت في ايلول/سبتمبر الماضي بشكل لا لبس فيه حركة «الاثنين 14 سبتمبر».

وقد قررت العديد من الفتيات الصغيرات في جميع أنحاء فرنسا ارتداء تنانير صغيرة بشكل عفوي، وذلك لتأكيد حريتهن في مواجهة الأحكام والأفعال المتحيزة ضد المرأة.

وانتقدت عدة شخصيات تصريح إيمانويل، حيث وصف زعيم اليسار الرديكالي جان ليك ميلانشون الرئيس الفرنسي ماكرون بأنه «خميني فرنسا». وقال «يوجد مفكران فيما يتعلق بالأزياء.. آية الله الخميني وإيمانويل ماكرون، الذي قرر أن يحدد الملابس اللائقة التي يجب أن ترتديها الفتيات والشابات».

شابة موريتانية تكسر التقاليد وتمارس حرفة الميكانيكا المقتصرة على الرجال

نواكشوط–«القدس العربي»: عبد الله مولود

إنها الثلاثينية الشجاعة سعداني بنت اعبيدنا التي قررت كسر تقاليد مجتمعها ودخلت إلى الحرف المقتصرة على الرجال: سعداني تدير بنفسها ورشة لميكانيكا إصلاح السيارات بمدينة نواذيبو شمال موريتانيا.

لفتت الأنظار وهي ترتدي بزة الميكانيكي المحترف، وقد علتها أوساخ زيوت السيارات؛ ترتدي قفازاتها وتصلح هنا وهناك السيارات التي تتوافد على مرآبها: لقد اكتشف أصحاب السيارات أن الشابة الميكانيكية سعداني متقنة لفن الإصلاح ومستقيمة في تعاملها.

سعداني اعبيدنا متزوجة وأم لثلاثة أطفال وهي حاصلة على شهادة فني عالي في صيانة السيارات وتخصصها هو إصلاح المحركات.

وقد تلقت سعداني عدة دورات تدريبية في ورشات كبرى لزيادة خبرتها وكفاءاتها ولتزيد من حظها في ولوج عالم التشغيل.

ورغم ما حازته من خبرة مؤكدة، فلم تجد من يوظفها لكونها امرأة ولأنها تتقدم لحرفة مقتصرة في أذهان الجميع على الرجال، لما تتطلبه من قوة بدنية ومن تحمل كبير للمشاق يعجز عنه أقوى الرجال.

لكن الشابة الطموحة لم ترضخ لهذه العراقيل، فقررت أن تشتغل لنفسها فافتتحت ورشة للميكانيكا لكسب قوتها.

واختارت سعداني مجالا لا يصدق أحد إلا أنه مجال خاص بالرجال بل بالأقوياء منهم: فإصلاح المحرك يتطلب حمله ووضعه على طاولة الإصلاح بل وتحريكه يمنة ويسرة، وفتح اللوالب وقياس القطع وتحديد مواقع تثبيتها وغير ذلك مما يستلزم الجهد والخبرة.

وتواجه الموريتانيات اللائي يسعين لممارسة نشاط بدني أو للدخول لمهن مقتصرة على الرجال، السخرية والوصم بالعار: فالمرأة في المخيلة الموريتانية كيان لطيف وضعيف يجب أن تبقى مصانة في المنزل، ولا يسمح بها ببذل جهد بدني إلا في مجال الماكياج والزينة، أما حمل الأثقال وممارسة المهن القاسية، فتلك أمور تذم المرأة إذا مارستها، بل توصف بأنها «امرأة متروجلة» أي فيها الرجولة أكبر من الأنوثة.

لم تخضع سعداني لتلك الضغوط واستطاعت أن تكسر الحاجز فباعت حليها وممتلكاتها واشترت تجهيزات لورشتها.

وقد زادت مثل هذه المبادرات، الحصة النسوية في اليد العاملة النشطة في موريتانيا حيث ارتفع معدلها من 29.5 في المئة عام 2010 إلى 31.5 في المئة عام 2020. ورغم هذه الزيادة الطفيفة فإن أكثر من 50 في المئة من نساء موريتانيا النشطات يعانين من البطالة ويبحثن عن شغل. وتؤكد إحصائية لوزارة التشغيل الموريتانية أن معدل تشغيل النساء لا يتجاوز 27.22 في المئة بينما وصل معدل تشغيل الرجال عام 2017 إلى 59.71 في المئة.

وحسب آخر مؤشرات للجنس في موريتانيا منشورة عام 2014 فإن نسبة اللائي يتولين مواقع قيادية في القطاع الخاص الموريتاني لا يتجاوز 4.5 في المئة في كافة المؤسسات والمقاولات الخصوصية المحلية.

وبهذا يظل مطلب المساواة بين الرجال والرجال في المناصب القيادية هدفا يجب تحقيقه.

ويعمل مختبر الإسراع التابع لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية على استكشاف فرص لزيادة المبادرات النسوية في مجال خلق النشاطات المدرة للدخل كمبادرة الشابة سعداني التي حققت اخترقا كبيرا لمجال مغلق وفتحت أبواب أمل أمام النساء المحترفات، بل إنها شكلت نافذة يمكن أن تحدث عبرها تغييرات لصالح تموقع جديد للمرأة في مجال الأعمال.

وقد وجهت اعبيدنا نداءات لأخواتها في موريتانيا بل وفي أفريقيا «أدعو من منكن تسعى لتنفيذ مشاريع خاصة أن تتقدم وأن تترك الخوف جانبا، وألا تردها العراقيل وألا تثنيها المثبطات الكثيرة فقد آن الأوان لنسائنا، ليكن مستقلات ماليا وليصبحن مسيرات لشركاتهن ومقاولاتهن».

وأضافت «عليكن أولا، التوجه للدارسة والتكوين والتدريب: فلن تنال المرأة مرادها، بالاعتماد على أنوثتها فقط، بل بالاعتماد على المعرفة والإتقان وبالقناعة بدورها الحيوي كمنتجة لا مجرد دمية أو سلعة للاستمتاع».